الأعمال الكاملة

للشاعر

محمود حسن إسماعيل

المجلد الثالث

الديوان الثامن : **التائهون**

الديوان التاسع : **صلاة ورقص**

الديوان العاشر : **هدير البرزخ**

الديوان الحادى عشر : **صوت من الله**

الديوان الثانى عشر : **نهر الحقيقة**

الديوان الثالث عشر : **موسيقى فى السر**

الديوان الرابع عشر : **رياح المعيب**

الهيئة المصرية العامة للكتاب
٢٠٠٥

إسماعيل، محمود حسن، ١٩١٠ - ١٩٧٧
الأعمال الكاملة للشاعر محمود حسن إسماعيل. - القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٨.
مج ٣ : ٢٤ سم. (الأعمال الكاملة)
في رأس اللسان ديوان الشعر العربي المعاصر
تدمك ٤ ٣٣٦ ٤٢٠ ٩٧٧ ٩٧٨
١ - الشعر العربي - تاريخ - العصر الحديث
(أ) العنوان
(ب) السلسلة
رقم الإيداع بدار الكتب ١٠٢٦٥ / ٢٠٠٨
I.S.B.N - 978 - 977 - 420 - 336 - 4
ديوي ٨١١,٩

• الكتـاب : الأعمال الكامله للشاعر محمود حسن اسماعيل (الجزء الثالث)

• المؤلف : محمود حسن اسماعيل

• طبع فى مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

• الطبعة الثانية : ٢٠٠٨

• الإخراج الفنى : مادلين أيوب

• الغلاف: صبرى عبدالواحد

الديـــوان
الثامـــن

التائهون

الوحدةُ الكبرى ، طريقُ نضالنا
للنصر . . ، مهما كابدَتْ أسْفَارُهَا . .
سنَسيرُ . . نقتحمُ العواصف والدجَى
مَهْما تكاثف حولنا أستارُهـا . .
سنَسيرُ . . نخْتَرقُ السدودَ ، وننْبَرى
حتَّى كهوف الكيْدِ . . نحنُ دمارُها ! !

محمود حسن إسماعيل

قُومِي إلى الصَّلاَةِ

(مع القدس الحزينة . وهي تذرف غضب السماء على رجس المعتدين ! !)

وعادت الطُّيورُ فى المَساءْ
فلم تجدْ فى القُبَّة الضياءْ
ولا صدَى الترتيل والدعاءْ
فهزَّت الأَوْتارَ بالنداءْ :
يا «قُدْسُ» يا حبيبة السماءْ
قُومِى إلى الصَّلاه . .
وبارِكِى الحياه . .

• • •

وردِّدِى التَّسبيحَ فى المآذن

وأيقظى الأجراسَ فى المدائنِ
وكبّرى لله . . لا تهابنى
قومى إلى الصلاه . . وباركى الحياهْ ! !

• • •

لا توقفِنى الدُّعاءَ للرَّحمان
مهْمَا لقيتِ من أذى الشيطان
ردّى عليه إثمَهُ ، وقومى
وواصلى الحديثَ للنُّجومِ
فلم تزلْ فيكِ خُطا الإسراءِ
سابحةً فى الطهر والضياءِ . .
يا قدّس . . يا حبيبة السماءِ
قومى إلى الصّلاه . .
وباركى الحياه ! !

• • •

ولم تزلْ أسوارُكِ الحزينةْ
تصغى إلى أقداسها الدفينةْ

ولم تزلْ مناجياتُ الرُّسلِ
في أُفْقِكِ الطاهرِ منذ الأزَلْ
ما زالَ صوتُ اللهِ في فضائكِ
والأنبياءُ في صدَى نائكِ . .
قومي إلى الصلاةْ . .
وباركي الحياةْ ! !

• • •

قُومي . . ومهما اشتدَّت الجراحُ
فكلُّ ليلٍ بعده صباحُ
وكلُّ هولٍ بعده سكينَةْ
تمحو ظلامَ البغي والضغينَةْ
وترجع الشفاءْ . . . للشَّنْو والحياةْ
قومي إلى الصَّلاةِ ، والترتيل ، والدُّعاءِ
يا قُدْسُ . . يا حَبيبةً للأرضِ والسماءِ ! !

بيعة الزحف

مارس ١٩٦٥

من أنغام الهيمة

بايعت كلَّ نبضةٍ في بدني
وكلَّ نورٍ في دروب وطني
وكلَّ زَحْفٍ للضحى قرَّبني
وكلَّ صَخْرٍ ثائرٍ جدَّدني
وكلَّ خطوٍ ردَّ كِبْرَ زمني
وكل عهد من يقينٍ مؤمن . . .
فكلُّها . . من كل حرٍّ ثائرْ

وكلُّها للغـدِ . . روض عاطـرْ

وكلها للشعب . . نبـع زاخرْ

وكلُّها للعُرْبِ . . فجر هادرْ . . .

على «فلسطين» له بشائـرْ ! !

مهما تَغِبْ . . لابُـدَّ أن تبادِرْ ! !

وكلُّها . . . ضوءُ الصباحِ السَّائرْ

بايَعْتُها للحقِّ . باسم «ناصِرْ»

قيامة الثأر

«انشدت على أرض سيناء الثائرة فى المهرجان الدرامى الذى اقيم فى «العريش» من أجل معركة الحق والحرية مساء ٢٢ مايو ١٩٦٧»

مشردون أبداً ..
وتائهون أبداً ..
مهما طلبتُمْ لخطاكمْ سكنَا ،
مهما نهبتُمْ فى سُراكمْ وطَنا ،
فالأرض تحت رِجْسكم نَارٌ
وصمت قبرٍ ، همسه جبارٌ
وحين ينقَضُّ لديه الثأرُ
ستصبحون بَدَداً ..

محيّـرون أبـــدا
وضائعـون أبـــدا

* * *

مشـرودن أبـــــدا
وتائهـــون أبـــــدا
ولعنة الأكوان تَجرى فى خُطاكم سَرْمدا . .
مـلءَ الدروب ، والغيـوب ، باغتتكـم رصَدا
ينسـَلُّ من أوزاركم ، من كل أُفْـق أو صـدَى
شبّتْ سَدُومُ من حشاكم نارَهُ
وجرّعتْكُمْ قبـل «موسَى» عـارَهُ
وفرّقتكُمْ كى تـذوقـوا ثـارَهُ . .
. . فى ظلُمات أنـكـرتْ من غيظـها وجودكم
وأنْشبَـت فى الريـح من أصفادهـا قيودكـمْ
تقذفكـم بوَيلهـا ، وليلها الضّريـر
فى القلق المنبوذ تحت ضيعة المصير
فى أهة مصلوبة على صدَى . .
وصوت ذل مستطيـرٍ ردّدا . .

مشتتون أبدا

مفتتون أبدا

• • •

مشردون أبدا . . وأبداً مشردين !

مضيّعون أبدا وسرمداً مضيّعينْ !

بكل نور شعَّ للإنسان ، كنتم جاحدينْ

لكل إلهام من السماءِ ، رحتم مفسدين

لكل دين أرسل اللّه ، ذهبتم منكرين

عن كل شرع من نبى جاءَ ، قمتم معْرضين

وكلُّ هادٍ مرَّ بالدنيا ، وقفتم ناقمين . .

«موسى» يناجى اللّه فوق سينا ،

وأنتم للعجل ساجدينا ؛

محيّرين التّيهَ أربعينا . .

حتى نُسِختُم فيه أجمعينا !

وحين جاءَ خاتمَ الهُداةِ

من النبيين إلى الحياة ،
بذرتُمُ السُّمَّ على الراحات
وكنتم مزاحفَ الحياتِ
لمن سرى للنور فى الآياتِ
فعاودتكمْ لعنة اللُّعْناتِ
وعدتُم للتيه والشتاتِ . .
لا تبصرون فى الضلال أحدا
ولو تَخذتُمْ كل إفك سنَداً . .
الكون فى طريقكم تبدَّداَ
والناس صاروا لعنَاتٍ وعِداً ! !
ممزَّقون . . أبـــدا
مطاردون . . أبـــدا

• • •

مشـردون أبـــدا

مشردون أبـــــدا

وتائهون أبـــــدا

وفي يديكم لم يزل دم السماء ينزف الخطيئةْ

على ترابٍ لم تزل أقداسه رغم الدجى مضيئه

مـــشى عليـــه عـــاركم بخطوة أفّاقة دنيـــئه

متاهةُ ، دُنْس طهرُ الكون من أرجاسها الخبيثةْ

وتانهـون أبـــــدا

وفى يديكم لم يزل دم السماءِ ينزف الخطيئـةْ

على تراب لم تـزل أقداسه رغم الدجى مضيئه

مشى عليه عاركم بخطوةَ أثّاقـة دنيئـه

متاهةً ، دنّس طهرُ الكون من أرجاسها الخبيثةْ

حطّتْ بكم خيانـةٌ ستحصـدون ويلُها

ونـوْبـة للتيـه ، يـومـا تشربـون ذلّهـا . .

وتعبرُون دربَكُمْ على نعوش «بابـل» . . .

منذُ مراثى الذل تُشجـى وخـزَةَ السّلاسِلِ

وأنتُمُ فى كل أرض سيـرة القلاقلِ

والغـدر ، والضيـاع ، والشّـرور ، والبـلابِلِ . .

على سمـاءِ المسجـد الأقصـى وفى محرابـه

وفى سفوح جبل النار وفى هضابه

وفى ضفاف دجلة والبأس فى عبابِهِ

وفى ثرى دمشق ، فى زمجرة لغابـه

وفى حمى الذيل ، وهول النار فى شبابه
فى ثورة دكّتْ ظلام الرق من قبابهِ . .
. . قيامةُ الأحرار هبّت للفدا
لتدفن اللصوص فى غياهب الردَى
فيرجعون للمدَى
مشتّتين أبدا
مضيّعين أبدا

• • •

مشرّدُون أبدا
وتائهون أبدا
مهما استجاروا . . فالجيرُ لعنة الأقدارِ
ولعنة الشعوب من سرّاهم الغدارِ
ولعنة السماءِ فى العشّى والإبكارِ
ولعنة الذل . . رمتها قبضة الأحرار
. . يومَ يدق الهول باب تائهٍ مشردٍ مخذُولْ

وتصبح الزنود كالرياح فوق تيه «إسرائيل»

تزفّها للتيه من جديد

ملعونةً في خطوها الشريدِ

ورايـة النصر بكـفّ الثـائـر

تحدو ضحاها عزمات الناصر

تشدو . . وتشدو أبدا

مشـردون أبـــدا

وتائـهـون أبـــدا

وقالـــت حبـــة الرمـــلَ

«من وحى رمال «سيناء» وقد عبرها الشاعر
يوم ٢٢ مايو ١٩٦٧ ، وهى تتوهج بنار
البطولة والنضال ، تأهبا للثأر . »

وقالتْ حبّةٌ للرّمْـل ، مـرّ بها كليـم اللّـهْ :
على شفتَىّ ، سرُّ اللّعنة الكبرى لشعبٍ تاهْ
وظَلّ يدورُ ، ... لا تهديه خُطْوَتُهْ . .
ولا تسقيه غيـرَ الذلّ حيْرَتُـهْ . .
وما زالتْ رياحُ التّيـه فى الدنيـا تُشَتّتُـهْ ،
وكلُّ مقابر الأشباح ، والأرواحِ تمقتُـهْ ،
تطاردُهُ بكلّ مكانْ
وتلعنُهُ بكل لسانْ

ولا تبقى له دَرْباً إلى إنسانْ ؛
يصافحُ منه ، غيرَ فحيح خائنةٍ . .
. . . تدُسُّ السمَّ . . ثم تنوحُ شاكيةً له بَلْواهْ ! !

• • •

سأحكيه . . لِمَنْ ؟ وجميعُ ما في الكون يعرفهُ ويَدْريهِ
وما زالتْ شِفاهُ الشمس باللَّعَنات فوقَ الطُّورتورويه
وما زالت رمالُ التيه حوْلى للدجَى والريح تحكيهِ
وتعرفُه خُطا الأبطال شبَّت نارُها بالموتِ ، تُغْنيهِ
وتُرجِعهُ إلى التشريدِ في الآفاقِ ، والذلِّ الذى يلْقاهْ ! !

• • •

سأحكيهِ . . لظلِّ التين في سيناءَ والزَّيتونْ
لينسَخَهُ لظًى للتائه المتبجِّحِ الملعونْ
فيَحْرِقَ كلَّ ما تركَتْهُ من دَنَس خطا صهيُونْ . .
. . على أرض ، تألَّق نورُها الوَهَّاجْ
وخصَّتها السَّماءُ بقبْلةِ المعراجْ . .
وكان ترابُها إسفاءَةَ الوَمْضِ

تفضُّ عبيرَه لسريرة الأرض . .
وكانت برْزَخَ الدعَوات والصلوات والرسُلِ
فصيرها الأنلُه مرتعَ الشذَّاذ والهَمَلِ
وظنُّوها لهم ولإفكِهِم وطَنَا . . ! !
. . ستصبحُ فى غدٍ لوجودهم كفَنَا !
وأسمعُ فى صدَى الصحراءِ صيّحة فارسٍ ينقَضُّ كالقَدَرِ !
تُزمجرُ فى سماء «القُدْسِ» هادرةً ليوم عاصفِ النُّذُرِ
يوثّبُ عارَ خُطوتِهم ، ويقذفهم لذُلٍّ لا تَقَرُّ خُطاهُ ! !
ويَرفعُ رايةَ الأحرار فوق مَسابِح الشهُبِ
ترِدُّ كرامة التاريخ والأيام والعَرَبِ ! !

محمد لافي عليها المسيح

«سيمشي إليهم زائد الرياح»

«منايا مكفّنة بالصّباح . .»

فلسطينُ . . جُرْحٌ بصدر السّحابْ
وحقدٌ يَؤُزُّ الربى ، والهضابْ
ودقٌّ يضجُّ على كلّ بابْ
سَمعتُ به صولَةَ الزاحفينْ
تذيب الأسَى من جباه السنينْ
وصوْتَ الجبابِرةِ القادمينْ
تردّدُهُ شهقَاتُ الترابْ
وتشدُو به خيّمة اللاجئينْ ! !
فلسطينُ في الأرض كِبْرٌ جريحْ

وترنيمةٌ ردّدتْها السُّفوحْ
«محمّدُ» لاقَى عليها «المسيحْ» . .
وردّا إلى خطوةِ التائهينْ
رياحَ المذلّة في العالمين
وتيهَ المَضلّة في الضّائعينْ . .
ومهما تواروْا بزيفِ المُسُوحْ
ستَسْتلُهُمْ نقمةُ الثائرينَ ! !

* * *

سيَمشي إليهم زئيرُ الرّياحْ
منَايا مكفّنةً بالصّباحْ
تصبُّ بها الشمسُ فوقَ البطاحْ
سَوادَ المصيرِ على الغاصبينْ
وريحَ الزّوالِ علىَ الظّالمينْ
وتَصعقُهُمْ فجأةً الغاضبينْ
علَى وطَنٍ تُربُهُ مستباحْ
ألَمّتْ به حِفْنَةُ الضائعين ! !

فلسطـيـــن

سَيَظَلُّ يَنْهَشُ فى عُرُوقِى ثَارُهَا
حَتى تُكَبِّرَ لِلصَّبَاحِ بِيارُهَا . .
حَتى يَعُـودَ اللَّيْـلُ فَـوْقَ تُرابِها
أَشْلاءَ لَيْـلٍ ، شبَّ فيه نَهارُهَـا . .
حَتَّى تَـذُوبَ مَعَ الظَّـلام خِيامُها
وتَعُودَ تَكْتَسِحُ الدُّجَى أَسْوارُهَا . .
حَـتَّى يُداهِمَها الضُّحَى بِيَمِينِـهِ
وبِها يفُـكُّ مِنَ الْقُيُود إِسَارُهَـا . .
حَـتَّى يُـراقَ دَمى علَى جَنَبَاتِـها
وبِه مِنَ التَّـارِيخ يُغْسَلُ عارُهَـا . .

حتّى يُهلّلَ فرحةً شهداؤها

للبعثِ يحملُ فجرَهُ أحرارُها . .

حتّى يبيدَ الفاسدُونَ بأرضِها

وتبيدَ طيّ رفاتِهم أوزارُها . . .

حتّى تُزمجرَ بالفيالقِ حومةٌ

عربيّةٌ لا يستريحُ أوارُها . .

حتّى تعودَ إلى الديارِ ، غريبةً

لكتائبِ الأبطالِ تظمأُ نارُها ،

ويكبّرَ الجبلُ الخليلُ لموكبٍ

تهفو إليه سهولُها وقفارُها

ويدُ العروبةِ في السماءِ كأنها

بشرى من الرحمنِ عاد مزارُها

فيها مع الأقدارِ موعدُ أمّةٍ

غضبتْ وأضرمَ ثارَها ثوّارُها

فيها مصيرُ عصابةٍ ، يفنى المدَى

والنّبعُ كانَ وما يزالُ شعارُها :

فيها فَنَاءُ الغَاصِبِينَ ، وإنَّهُ
لنَهايَةٌ للظُّلْمِ حَانَ قَرارُها
فيها فلَسْطِينُ الجريحَةُ أجْهشَتْ
بِقَضِيَّةٍ فى البَغْىِ طالَ حِوارُها
فيها ليَوْمِ الزَّحْفِ غضْبَةُ مارِدٍ
يُبْلِى الطُّغَاةَ المعتدين شَرَارُها . .
قُلْ يا «جَمالُ» . . ونحنُ شَلالُ اللَّظَى
نَحْنُ المَنَايَا جُدِّدَتْ أعْمَارُهَا ! !
الوَحْدَةُ الكُبْرَى طريقُ نِضالِنَا
للنَّصْرِ . . مَهْما كابَدتْ أسْفَارُهَا
سَنَسِيرُ نَقْتَحِمُ العَواصِفَ والدُّجَى
مهما تَكاثَفَ حَوْلَنَا أسْتَارُهَا
سَنَسِيرُ نَخْتَرِقُ السُّدُودَ ، ونَنْبَرِى . .
حتَّى كُهُوفِ الكَيْدِ نَحْنُ دَمَارُها !
نَهْوِى عليْها باتِّحادِ صُفُوفِنا
فيَعُودُها قبلَ اللِّقاءِ خَسَارُها

شَـقَّتْ «كلُوباترا» التآمُرَ مثلمَـا
شَـقَّ المُحيطَ المُثْلهِمُ فنارُها
صَمَدَتْ لِحيَّاتِ المكائدِ . . أيـةً
لِلْبأسِ كلَّ كُلِّ حرٍّ غارُها
وقفَتْ لها كُلُّ العروبة وَقْـفةً
جبّـارَةً غذَتِ النِّضالَ ثِمارُهَـا
فَسقى لهـــا النَّصْرُ الأبِّى ، وذابَ فى
فَشَلَ الدَّسائِس ما أرادَ حِصارُهَا ! !
وغـدا لإسرائيل غَضْبَةُ زاحفٍ
يالهَوْل يفْهَقُ بالْجَحيم سعارُها
غَضَبَتْ تـرابَ الأنبيـاءِ بِرِجْسِها
وهِى الَّتى أغْـرى بهـمْ أشرارُهـا
ما زال فى خَشَـبِ الصَّلِـيـبِ وَقُدْسِـهِ
عارُ الْجريمةِ دَقَّـهُ مِسْمارُها !
أرْضُ السُّرَى والقُـدْس كيـفَ يدُوسُها
رِجْـسٌ ؟ ويَخْفُـقُ فى ثراه مَنارُها ؟

أرضُ النُّبُـوّات التى لَـوْلا الضُّحَى

مِنْ كفِّها ، طَمَسَ العقولَ غُبارُها

كانتْ مَصابيحَ الوجُود . . وظُلْمَـةً

فى الغرب يصـخَبُ كالْخِضَمِّ مَدَارُها

كانتْ نهاراً عالِماً . . من حَوْلِهِ

لَيْـلاتُ جَهْـلٍ ما يزاحُ سِتارُها

غـذَتِ الحياة ونَـوَّرَتْ أرْجاءَهَـا

وعلَى الضِّياءِ تفتَّحَتْ أبْصارُها

دارَ الزَّمانُ بِغَـدْرِهِ وبِبَطْشِـهِ

وطغَـى الدجَى وتألَّبَ استعْمَـارُها . .

وأتَى الصَّباح . . وتلْـكَ آيَـةُ فَجْرِهِ

لِلعُرْب يَسْطَعُ فى الظلام نَهارُهَـا

فِى كُلِّ يوم للْقُيودِ مقابـرٌ

وَمَغَـاوِرٌ يَهْـوِى بها فُجّارُها

وقيامةٌ تئد الدُّجَى عَرَبِـيَّةٌ

فى الْوَحْدَةِ الشَّمّاءِ هَـبَّ مَسَارُها

يَحْدو مَقالِدَها ، وتحدو خَطْوَهُ

عَيْنُ السَّمَا ، وتُعينُهُ أقْدارُها

١٥ مايو ١٩٦٠

التائهة

عاريةٌ . . طافتْ بزُنّارِ
مُجَدّل بالخزى والعار[1]
مرجومة النظرة . . فى لَمْحها
تابوتُ أرجاس وأوزار
يشدّها التيه إلى لا مَدَى
يُرْخى عليها وهْمَ أستار
فلَوْ سرَتْ كانت خناً هارباً
من ندمٍ فى النفْس دوّار
ولوْ هفَتْ يوما على تائب
غنى له الاثم بقيْثار

(١) من ديوان (لابد) .

وانسلّ فى تَوْبَتِه عاصياً
يستلّ فردوساً من النار . .
ولو رنَتْ للخُلْد . لم تبْقَ فى
سمائه دَعْوةَ أبْرارِ ،
إيمانُها يُخْزى صلاةَ الضحَى
لو شبّها معبَدُ أطْيار
ويُخْجِلُ الليْلَ ، ولوْ ناغمَتْ
آناؤُه اللهَ بأسحار . .

* * *

تاهتْ . . فلوْ سارتْ ، لكانت سُرَى
مصفّداً فى وهْمِ أسفار
أنَاقُها سَمّ خِياطٍ على
جفنِ شليل الكف محتارِ
ودَرْبُها غيْبٌ بلا شاطئٍ
يأويهِ فى لُجّةِ أقدارِ
تزُجُّها اللعنةُ أنّى شكت
حيرتُها ، فى قلْبِ إعصارِ ،

فى غيهبِ ، سعْرَ قيدُ الدجى
فى ليلهِ المنتقمِ الضارى
فلا سماءُ اللهِ مدّت لها
تهْويمةً من طيفِ أنوار ،
ولا الثرَى ، وهو احتضانُ المدَى
والتّيه ، واساها بأشبارِ ! !
بنْتُ الخطايَا السُّود ، دارتْ بها
رَحيقَ اقْاقين أشْرار
مِنْ غابرِ الدّهر لها سيرةٌ
ضاقتْ بأوطان وأسفار
نهارُها يجتَرُّ زيْفَ الرُّؤَى
فهْوَ ظلامٌ فاسقٌ – عارِ
ولَيْلُها معصيةٌ جنّحتْ
كالبُوم فى اطلال أوْكار . .
تنعَبُ فى تَجْوالها مثلَه
على خَراب شاردِ الدار !

* * *

ملعونةٌ تقتات من عِرْضها
قُوتَ الصَّدَى من أيِّ مزمار
وتشرب السُّحْتَ على نشوة
يَرْغُو بها إبريقُ خَمَّار
وتَذْبَحُ اللهَ على درهمٍ مقدَّسٍ
اللعنةُ ثَرْثار
قالتْ : يداهُ - جلَّ - مغلولةٌ !
غلَّتْ يديْها كفُّ جبّار ! !
وطاردتْها لَعَناتُ الورى
بعاصفٍ كالهول دوّار
تَلْقى به في الذُّلِّ أنّى مشتْ
ويلٌ هشيم لاذَ بالنار . .
تلعنُها الأرضُ ترامتْ لها
في زاخرٍ بالحِقد موّار
ينهَشُ أمْنَ الروح في جنبها
من غيْر أنياب وأظفار . .

يلعنُها الأفقُ بـوادِ للنَّدى
من كـلِّ أبعادٍ وأقطار
تخْطُو . . وترتَـدُّ على موْجِهِ
كـذرَّةٍ فى صدر تيَّار . .
يلعنُها اللهُ . : فكـم مُرْسَـلٍ
كانـتْ له تأويلَ كفَّار ! !

• • •

تهادلَـتْ سِينا على نَرْبِها
لعلَّـه يومضُ للسَّـارى
فأطفأتْ كل سنـاً بالسنـا
لاح لجوّابِيـنَ فجّـار
وعشّشَـت فى نانِها غيْهباً
مستَخْفِيا من غيْر أوكار . .
غنى لها مُوسى بألواحِه ،
ونافخَ الطـور بمزمـار
وكلّمَ اللهَ . . فأصغَـتْ له
ثاكلةً تُصْغى لحفّار !
جبينُه للنُّور . . وهْىَ الدّجَى
يُمْعن فى تابوت أغْوار ! !

وجاءَها عيسى بِرفْـقِ الهدَى

فلَم يزِدْها غيْرَ إصرار

وغيرَ تاريخ صليبِ الأسَى

يَصِرُّ منْ لَوْح ومِسْمار

وأُنْزِلَ الفرقانُ نوراً على نور

من الرحمن مُخْتار

فـواصلَـت كيْدَ السمـا لعـنـةٌ

منبـوذةً تبحـث عن جـارِ

ودارتِ الدنيا . . وفى غفْلَـة

نَامَتْ على أجفان غدار

حطَّتْ على أرضٍ لها سجدةٌ

لله صارَتْ سجْدَةَ العار . .

وفى غدٍ . . أرقبُ خَبْلَ الضّحى

تـزأر فى غَضْبَةِ أحـرار

تدق بابَ العارِ . . تهوِى بهِ

وترفعُ الراية للنّار .

١٩٦٥

اللاجئون

«بين الخيام ، والظلام ، وهدير السيول فى أرض
المعراج... وفى شتاء مقرور الرياح ، مسعور العواصف،
جرفت أمطاره خيام اللاجئين.»

١٩٥١

اللاجئـــون

« بين الخيام ، والظلام ، وهدير السيول في أرض المعراج . .

وفي شتاء مقرور الرياح ، مسعور العواصف ،

جرفت أمطاره خيام اللاجئين(*) . . »

١٩٥١

بكى عليَّ الصَّدى واللَّحْنُ والوَتَرُ

ولَمْ أزَلْ لِعذَابِ الشِّعْرِ أنْتَظِر

أوْ مَتْ إلىَّ سواقيهِ . . فقلتُ لَهَا

ماتَ الرَّبيعُ ، ومَاتَ العِطْرُ والزَّهَرُ

دُورِي عَلَى نَوْحِكِ المهجورِ فِي أُفُقٍ

ناحَ التُّرَابُ عَلَيْهِ ، واشْتَكَى الحَجَرُ

(*) من «دار وأصفاه» .

لاَ تَرْقِبِي عَائِدًا بِالنَّأْيِ ، أَوْ بَنَفَا
تُعْطِيكِ بَعْضَ الهَوَى مِن شَجْوِهِ الذِّكَرُ
وَلاَ تَظُنِّي صَلاَةَ الوَحْيِ آتِيَةً
إِنَّ المُصَلِّينَ بِالإِلهامِ قَدْ عَبَرُوا . . .
إِنَّا غَرِيبَانِ سَاقَ الظُّلْمُ أَدْمُعَنَا
إِلَى فِجَاجٍ بِهَا يَسْتَوْحِشُ القَدَرُ
فِي رِحْلَةٍ لاَ تَعِي الأَيَّامُ وِجْهَتَهَا
وَلاَ يُتَاحُ لَهَا حِلٌّ وَلاَ سَفَرُ
وَلا دِيَارٌ ، وَلاَ أَهْلٌ ، وَلاَ سَكَنٌ
وَلاَ حَيَاةٌ ، وَلاَ عَيْشٌ ، وَلاَ عُمُرُ
كَأَنَّنَا فِي خِضَمِّ الرِّيحِ عَاصِيَةً
مِنَ الغُصُونِ رَمَى أَجَالَهَا الشَّجَرُ
تَلَفَّتِي . . هَاهُمُ فِي الأَرْضِ إِخْوَتُنَا
تَعَاوَرَتْهُمْ خُطُوبُ الدَّهْرِ والغِيَرُ
كَانُوا بِأَوْطَانِهِم كَالنَّاسِ . . وَانْتَبَهُوا
فَمَاهُمُ مِنْ وُجُودِ النَّاسِ إِنْ ذُكِرُوا

مُشَرَّدُون بِـلاَ تيـهٍ . . فلَـوْ طَلَبُـوا

تَجَدُّدَ التِّيهِ فى الآفَـاقِ ما قَدَرُوا

يلْقَى الشَّريدُ فِجاجَ الأرْضِ واسِعَةً

لكِنَّهُم بِمدَى أنْفَاسِهِـمْ حُشِـرُوا

فى خَيْمَةٍ مِنْ نسِيجِ الْوَهْمِ ، لَفَّقَهَا

ضَمِيـرُ بَـاغٍ بمجـد العُـرْبِ يأتَمِـرُ

أوْهَى وأوْهَنُ حبْلاً مِنْ سِيَاسَتِهِ

لَوْ مَسَّهَا الضَّوْءُ لانْقَـدَتْ بِهَـا السُّتُـرُ

تغْـدُو الرِّيَـاحُ بِهَا نَشْوَى مُقَهْقِهَـةً

كأنَّـهَـا بِشُـقُـوقِ النَّمْـلِ تنْحَـدِرُ

أو أنها حِينَ تَـذْرُوهَـا سَنَابِكُهَـا

أضْغَاثُ شَيْءٍ تَلاَشَى . . مَالَهُ أثَرُ !

تَهْتَزُّ إنْ ذَاقَـتِ الأحْـلامَ صفْحتُها

بِنَسْمَـةٍ لِظِلاَلِ الْخُلْـدِ تَـانَـزِرُ

وتَنْشِبُ الذُّعْـرِ فى الأوْتَـادِ هَارِبَـةً

فِي صدْرِ سَاكِنِهَا إنْ زَارَهَا الْمَطَرُ . . .

فكيف لاقتْ زئيرَ السَّيْلِ ؟ كيْفَ

غدَتْ ؟ وويْلُهُ كنِبالِ الموْتِ ينْهمرُ

وإثمُهُ لمْ يَدَعْ في الدَّهْرِ ثاكلةً

في جفْنِها دمْعةٌ للنُّكْلِ تدَّخرُ

جفَّتْ دُموعُهُمُ منْ طُولِ ماذرَفُوا

فجاءَ يذْرِفُ عنْهُمْ كلَّ ماسَتَرُوا

وينفُخُ الصُّور منْ بُوقٍ يَصُبُّ به

هَوْلَ العذاب فلا يُبقي ولا يذر

لعلَّهُ يقْظةُ الأحْرارِ ، أرْسلَهَا

أتانُ بعْثٍ به قدْ واعدَ القدَرُ

لعلَّهُ الصَّيْحة الكُبْرَى تَدقُّ علَى

بَاب الجهاد ليومٍ أمره عَسِرُ ،

تُلْقَى بِهِ عُصْبَةُ الشُّـذَّاذِ آخِـرةً

علَى مُدَاهَا نِشَابُ الغربِ تنْتَحِر

وتُمْحِي قصَّةً صَـهْـيُـونُ لَـفَّقَها

وكَمْ لِبُهْتانِها مِنْ زَيْفِهِ صوَرُ

لَعَلَّهُ الْهَوْلُ ، وَالرَّحْمَنُ أَرْسَلَهُ
لِتَسْتَرِدَّ بِهِ أَمْجَادَهَا مُضَرُ
لَعَلَّهُ عِزَّةٌ جَاءَتْ مجَلْجِلَةً
لِكَيْ يصيخ إليها النَّائِمُ الخَدِرُ
يَا مَنْ لقومٍ عَلَى الأَوْحَالِ يَنْهَشُهُمْ
غُولُ الشِّتَاءِ بِرِيحٍ فَجْرُهَا عِكِرُ
مَلْعُونَةُ اللَّمْسِ مَنْ مَسَّتْهُ رَاحَتُهَا
عَضَّتْهُ أَفْعَى سَرَى مِنْ نَابِهَا الْخَطَرُ
إِنْ لَمْ تُذِقْهُ الرَّدَى هَوْنًا . . . فَرَحْمَتُهَا
أَنْ تَبْذُرَ السُّلَّ فِيهِ ثُمَّ تَنْحَسِرُ
كَانُوا عُرَاةً فَغَطَّى الْبَرْدُ أَعْظُمَهُمْ
وَالْجُوعُ خَفَّ لَهُمْ بِالْمَوْتِ يَعْتَذِرُ . . .
وَكَبْكَبُوا فِي مَخَاضَاةٍ يُشَلُّ بِهَا
خطو الرياح ، وتنعى نارها سقر !!
ما بين طفل تمد الراح نظرته
وأُمه في مطاوي النزع تنفطر

وَغَـادَةٍ تُمْهِلُ الأَقْـدَارُ فِتْنَتَهَا
فِي بَغْتَةِ الأُفْقِ لَمْ يُـدْرِكْ لَهَا خَبَـرُ
طَارَتْ وَعَادَتْ . . وَصَارَتْ فِي مَفَازِعِهَا
حَمَامَةً فِي مَـدَارِ الصَّيْدِ تَنْسَحِـرُ
وَطَيْـفِ عُرْجُـونِ شَـيْـخٍ فِي تَهَارِيـهِ
مَعَ الْعَصَا كَانَ شَيْخاً ، ثُـمَّ يَنْتَشِـرُ
أُسْطُـورَةٌ تُخْجِلُ الدُّنْيَـا حِكَايَتُهَا
بَلْ نَغْمَةٌ فِي حَشَا الأَحْرَارِ تَسْتَعِرُ
عَمَا قَرِيـبٍ يَـدُ الْقَهَّـارِ تُطْلِقُهَا
نَارًا بِهَا عُصْبَةُ الأَشْرَارِ تَنْـدَثِـرُ
وَتَستَـرِدُّ فِلَسْطِـيـنٌ بِبَارِقَـهَـا
مُرَقْرَقَاتٍ بِمَجْـدِ النَّصْرِ تَزْدَهِرُ
وَيَمْلِكُ الْعَـرَبُ الأَحْـرَارُ أَرْضَـهُـمُ
وَاللهُ أَعظم . . إِن الحـقَّ منـتصـرُ !

خيمة البهتان(١)

لاجيء من عرب فلسطين الأحرار يستصرخ
لخاه العربي من وراء خيمته
١٩٥٢

أخي قد مزقت ريح الدجى بيتي وأيامي
وساقتني على الأرض بهذا الهيكل الدامي
وهذا الشبح المطرود في هذا الأسى الطامي
ينادي : أين ملك الله تخبط فيه أقدامي ؟
وأين الأرض تحملني ، وتدفن بعض آلامي ؟
وبعض خطاي في هذا الدجى المتفجر الهامي
هنا في كبوة الأقدار بين السيل والويل
وبين عواء شيطان طريد الجن مختل

---

(١) من «نار وأصفاده» .

يقعقع للرعـود السـود مأخـوذا من الهول

سمعت فحيح ثعبان على رئتّـى منسـل

تدفق جسمه المقرور بين حفائـر السل

وبين شتاءِ بستان بدفءِ الموت مخضل .

* * *

هنا فى خيمـة البهتان والطغيان والزور

لدى مأوى كلحد الميـت فى النسيان محفـور

رميـت كدعـوة وقـفـت على درب المقادير

يصب التيه فى خلدى خطا الظلمات فى الدور

فأشرب حيرتـى وبكـاى مـن كـف الأعاصـير

وأذرف أدمعى الخرساءَ فى صمت الدياجير !!

* * *

أخى . . . قد غال ذئب الجوع أطفالى مع الفجر

ويعثرهم جنـون السيل بين مداخـل الصخر

فلا أدرى لهم شجنا على نعش ولا قبر

كما كانـوا هنا . . عادوا ، بلا سكن ولا عُمْـر

ظللت أنوح . . . يا رباه ! بعض ندائك للجمر . . .

فجاءَ الموت يَفْغَرُ فاه للظلمات والقفر !

* * *

سلوهم . . واسألوا ما شئتم الإسلام والعربا . . .

وكيف على تراب الذل لم يتمزقوا غضبا !

وكيف غدت «فلسطين» بهم تتجرع النوبا

تنوح على سلاسلها وتشكو القيد واللهبا

وهم لمذابح الطغيان ساقوا اللهو واللعبا

وقالوا : الشرق ! قلْت : صحا على أفواهكم كذبا

من خطايا التائهين

مَن هؤلاءِ ؟ دوّخوا الترابا(*)
وأشبعوا وجهَ الثرى عذابا
فى كلّ يومٍ يطرقُـون بابا
ويفجأون الزمن المنسابـا
فيمسخون الخلْد والشّبابا
ويُثكلون سحـرهُ الوثابا
سيّان إن هُمْ نادموا الأترابا
أو عاشرُوا الوُحوش والذّئابا
سيّان يلقـوْن المنـى قبابـا

(*) عام ١٩٤٨ .

أو يرضعون حظها يبابا . .
صار الوجودُ حولهم سرابا
وسحرُهُ أضحى لهم عذابا
ونارُهُ صُبَّت لهم شرابا
فأينما حلّوا رأوْا خرابا
وصادفوا الهُمـوم والأوصابا
والغُمّـةَ الهوجاءَ والضّبابا
ونِقمةً لا تعـرفُ المتابـا
ولا تذوقُ الندم الصّخّابا . . .
وأينما طافُـوا رأوا حِجابا
وظُلمـةً لا ترفـعُ النّقابـا
سدّت عليهم سدلها المُرْتابا
وضيعـت فى قلبها المآبا . . .
سُبحـان من فرّقهم شعابا
وقَـدّر التيـهَ لهم عقابـا
ويْلٌ لهم قد عبـدُوا الترابا

وألّهُوا من الحصى أربابا
وقدّسوا من زيْفه كتابا
ويعشروا صلاتهم أسرابا
فى كلّ أرضٍ تنشد المحرابا
وترصدُ الدينار أين غابا
ولو طوت لمعته الشهابا
ودفنت فى برقها السّحابا
الإثمُ من أجسادهم تحابى
وقبّل الأبواب والأعتابا
وشقّ عن مزاره الأثوابا
ومسّهُ تيهُ الهوى فذابا

• • •

مدّت فلسطينُ لهم رحابا
وأفسحت لضيْفهم جنابا
فأترعوا السمّ لها والصّابا
وحيّرُوا فى أمرها الألبابا

أمضت إليهم سيفها الغلابا
فساقهم فى نارها أحطابا
سيصبحُ التيه لهم ركابا
ويتركون الله والأعرابا

فـي عـــام النـكـبـــة

مع صحوة الشرق وصيحة النفير لتحرير فلسطين

عام ١٩٤٨

تعالوْا بعدما شهرَ الكفاحـا

لنسكبَ فوق هامته الصِّباحاَ

ونعصرَ من جوانحنا رحيقـاً

يرُشُّ له للواكب أين راحـا

ونحشُدَ عزةَ التاريخ نـوراً

يقبِّلُ في سواعده السلاحا

صحاَ . . . والمجد صاح به ، فلبى

وهبَّ يزلزل الدنيا صياحا

صحاَ ، ولكل ساكنة هبـوبٌ

يروعُ الدهرَ لو تركَ الجماحا

صحاً ، وعليه للتاريخ سرٌ

لغير ضحى المعارك لـن يباحـا

ودرْعٌ فى الصدور الشم عاتٍ

لغير ضحى المواكب لـن يتاحـا

صحاً .. والشرق فى فلك جديد

يدورُ على مضاجعه رياحـا

ويوقظُ كل نعسان ، ويمضى

لغفلته فيكسحها اكتساحـا

وما كانت به سنةٌ ، ولكنْ

هَى الدنيا تريدُ له الطماحا !

تلفّتَ حوْلهُ ، فراى عويـلا

وقدْساً للفجائـع مستباحـا

وأرضاً شعّ نور الله فيهـا

يسيلُ فضاءُها الدامى نواحـا

ويُذْبحُ طفلها بيدَىْ طغـاة

مشوّا فى الأرض بغياً وافتضاحا

انظل الشرقُ حيرَتهمْ ، فمروا

على أشياء نخوته وقاحـا

اضلّهم الإله . . فكيـف جاءُوا

بضلّتهم يريدُونَ الصلاحـا

وكيفَ . . وضاقت الدنيا عليهم ،

بنوْا للتّيه أرْوقةً فساحـا ! ؟

تلفّتَ قلبُ مصر إلى الرزايـا

تصب على عروبته جراحـا

وما كـادَ النفيرُ يصيـحُ حتى

رأينا الجيشَ يقتحم البطاحا

يزمجرُ فى السهول كأن جنّا

تجـانبهُ التوثّبَ والمراحـا

ويزأرُ فى المسير كأن بوقاً

من التاريخ جـاوبهُ فصاحـا

وهللَ للقتال ، كأنّ عيـداً

وأعراساً ترف له صبَاحـا

تذكرَ خيلَ رمسيس ، أضاءَتْ

سنابكها دُجى الدنيا قِداحا

ورنَّ بسمعه للماضى ، فحيّا

وكبر للمنيّة أيـن لاحا

ودَمدَمَ للصراعِ ، فقلتُ بحرٌ

منَ الأهوال أقسمَ لن يزاحا !

تذيقُ الأرضَ خطوتُهُ عذاباً

وتسقى الجو خطرتُه جراحا

ويَنفذُ فى العباد كأن حتفاً

وأقداراً تسدّدُه رماحا

كأن جنوده أطيارُ غيب

ونصرُ اللهِ مدّلها الجناحا

مضى للظلم يخترق البطاحا

ويسبق فى توثّبه الرياحا

ويجتاح البلادَ كأن وعداً

بمصرعها – على قدَميه – طاحا !

تراوغهُ السهـــوبُ فيذْريهـــا

ويَرشقُ في مقاتلها السلاحـا

ويَرْمِي الموت أينَ سرَى ، سواءٌ

أدَكَّ الليلَ أم دهَس الصباحـا

بصاعقةٍ تَشُقُّ لهـا خطاهـــا

يدٌ لليأس لم تخفضْ جناحـا

نمتْ عربيةَ الماضي خطاهـــا

وأرْضعتْ المخاطرَ والكفاحـــا

وأشربت القتـالَ ، فلـوْ أتيحتْ

لها الدنيا ، لمـا تركتْ براحـا

لغير السيف لم تخفـق غراماً

وغير الهوْل لم تعشقْ مِلاحا

مضوّأةً بسحر الشـــرق حتى

لتعشى دارةَ الشمس التماحا

سقاها منْ ضفـاف عبٍّ منـها

حداةُ الدهر وانطلقوا رماحـا

(*) هكذا لغتي .

وهبُّوا والبريَّةُ فى ظَـــلام

يغشّى الأرضَ أفئدةً وساحـا

فيا أجنـــادَ مصر – وذاك بعثٌ

أعيدوا مجْدَ واديكمْ كفاحـــا

ودكّـوا الثائهينَ وفى ربُاهـمْ

أديروا النصرَ أقداحاً وراحـــا

وما صقلَ الشعوبَ ولا جلاها

ولا أسقى مواردها الفـلاحـــا

سوى نغم الجيوش وقد ترامتْ

لنار الحرب تمتشقُ السلاحا

إلى ضمير الإنسانية

زفـــرة على فلسطيـــن الدامـيـــة

«مع صرخة فلسطين وجراحها الدامية بعد

الغدر الانجليزى عام ١٩٣٧»

صوتٌ بأرض القُدْس مُشْتَعِلُ الصدَى(*)
كادت لـــه الأكبـاد أنْ تتوقَّـــدا
لَـــا نـأوْه صارخـــاً بين الـورى
أسْيَـانَ يَرْزَم تحت نيرانِ العِـــدا .
جزِع «المَسيحُ» له ، ولولا طهرهُ
ما مـدَّ للرَّحَمَـــات كفـــاً أوْيَـدا !

---

(١) هكذا أغنى .

رُهبانهُ فى الغرب .. منبعُ حكمةٍ
ما غلّفتْ يوما لملتمس الهدَى
رشفُوا من الإنْجيل فيْضَ رشادِهِ
وتخشّعُوا حَوْل الهياكل سُجّداً
وشدَوْا بملْحمة السّلام ، ورنّموا
مَزمُورَه للكون خلّاب الصدَى . .
لكنّ شعبَهُمُ أثار عجاجةً
فى الشرق طافحة بأهوال الردَى
فإنا التعاليمُ التى هتفوا بها
من سَوْرَة الأطماع قد ضاعت سُدَى !
وإذا بلحن السّلم بين شِفاههِمْ
عصفتْ به شهواتهم فتبَدّدا
يا يوْمَ «بلْفُور» وشؤمكَ خالدٌ
ما ضر لو اخلفت هذا الموعدا ؟ !
عاهدتَ أعزالَ الجسوم ، سلاحهُمْ
ما كان إلا الحقُّ صاح مقيّدا

وتركتَهُمْ رهـن المطامع تبتغى
منهم على حُـرِّ الوطـن أعْبُـدا
ثاروا بأرض الله ، ثـورة عاجز
سمع القـوىُّ شكاتـه فتوعَّـدا
هاجوا على الأصفاد هيجـة ناسكٍ
زحمتـه آثـام الصبـا فتمـرَّدا
ضجُّوا على «نابلُس»(*) حتى كاد من
صخبِ الأسى والحزن . أنْ يتنهَّدا
عجباً ! يكاد الصخْـر يدمع رحمةً
لهمُ ! وقلـبُ الادميِّ تصلَّدا
ومعالم الإسـلام بيـن ربوعهمْ
كـادت تزمجـر لهْفَـةً وتوَجُّدا
بسطت إلى قـدم النُّزيلِ رحابها
فبغَـى على قسماتها وتـهـدَّدا
وهو الذى لولا نعيم ظلالها

(*) جبل نابلس .

لمضَى على كتَف الوجود مشرّدا !
تخذوا الرصاصَ شريعة قدسيةً
وقذائف الأرواح نهجا مرشدا
لم يرهبوا التاريخ فى استعمارهم
أنّى سطَوْا ، وكنّوه . . أروعَ سيّدا
لطَموهُ فى القُدْس الحرَم ، لطمةً
كادت لها الأجبال أن تتهدّدا
مهْدُ الشرائع من قديم . . ماله
اضحَى لأحرار البرية مَوْقدا
فى كل مُرْتَبع ، وكل حنيّةٍ
تلقَى صريعا فى التراب ممدّدا
هانتْ على البطل المجاهد نفسُهُ
فسعَى لخوض الموت يطلب مَوردا
ألقَى إلى اللهب المسعّر رُوحَهُ
وكذا يكون الحرُّ فى يوم الفِدا ! !

* • •

الله فى وطن النبوّة ! ! نال من
شرّه الطغاة اليوم حظاً أنكدا
الفتنة الشعواءُ هاجتْ قلبه
لم تُبْقِ فيه كنيسةً أو مسجدا
شرعتْ من الرّقّ البغيض سلاحها
تتفزّع الأقدار إمّا جُرْدَا . . .
والشرقُ ! ويح الشرق ! نام أسودُهُ
عن ثأثر فى «القدس» ضجّ وأرعدا
شلّتْ عزائمهمْ ، ونامَ جهادُهُمْ
وتصرّعوا فى كل مهدٍ هُجّدا ! !

لحـــن مـن النـــار

١٩٦١

مَهْـدَ البطولاتِ ، أرضَ العَرَبْ

أرضَ العلا من قديم الحِقَبْ

ضجّت من الثأر نار الدماءِ . .

هيّا نشُـقُّ إليه اللَهَبْ

زاحفـين ، عائـديـن للحمىً

رافعـيـن صوتنا إلى السّمـا

هزّتْ فلَسطينُ حُـرّ النداءِ . .

هيّا ولبّيـكِ أختَ العَرَبْ ! !

• • •

لَحن من النار فـي كل فَـمْ
دوّتْ أناشيـدهُ بالقَسَمْ
مهما تَـرامَـى عليـكِ الظـلامُ
إنّا سنغدو لهيبَ القِمَمْ
ناسفيـن من طريقـكِ الردى
عاصفين كالرياح بالعِدا
فجـرٌ ستَنْشَـقّ عنـه الخيامُ . .
والليلُ يطويه نورُ العلَمْ ! !

* * *

فجرٌ على القُدْسِ ضاحى السَّنَا
هزّتْ له النصرَ أعلامُنَا
نَمحو بـه من تـراب الوُجودِ
ثـأراً تُـفَـدّيـه آجالُنَـا
راجِعـيـنَ كالرُّعودِ للوطَنْ
قاهرينَ كلَّ أسوار الزمَـنْ
يومٌ يُناديكِ عَـبْرَ الحدودِ
عادت لأحرارها أرضُنَـا ! !

تكبيرة الزحف

مع أرض المعراج فى ذكرى أول ليلة

دنست ترابها أقدام صهيون(*) . .

وفى ليلةٍ فجرها فى السفوحِ ،
ظلامٌ يغنّى ، وضوءٌ ينوحْ
وفَحُّ المنايا على دربها
سكونٌ شقىٌّ وأشلاءُ ريحْ
وأشباح رقص ، أثيم الظلال ،
توهج فى كل أُفقٍ جريحْ
تململَ فيها زوالُ القبور
وكاد البِلَى عن شجاهُ يَبُوحْ

* * *

(*) من قاب قوسين .

سمعتُ بها غضبَ الأنبياءِ

مزاميرَ ويْـلٍ عتيٍّ صداهْ

وأبصرت ألواحهم فى الفضاءِ

محاريـب تصرخُ فيها الصـلاهْ

وتسبيحهَ من ضفاف السماءِ

يصبُّ على الأرض سخطَ الالهْ

ويرمـى عليها دخانَ الشقاءِ

أعاصيرَ حقـدٍ تـوَرُّ الحياهْ

• • •

تلاطَمَ فيها عويلُ الغيوب

وضجَّتْ بها شهقاتُ القدرْ

ولاحت مآذنُها فى الظلامِ

وقـد أذهلتْها عوادى الغيرْ :

سواعدَ مشلولةً فى الفضاءِ

تجمَّدَ فيها دعـاءُ البَشَرْ

تمدُّ إلى الله راحاتها

وتزأرُ فى صمْتها المستمرْ !

• • •

هنالك والنبعُ ساهٍ ، حزينْ

كحلْمٍ تخطّاه صحوُ الجفُونْ

رأيت الخطايا عرايا تسيرُ

وتنسلُّ من أعين النّائمينْ

وتزْحفُ حيّاتُها فى الدُّروبِ

لتنْهَشَ بالنّيء ظلّ السُّكونْ

وتبْذُرُ فيه عُوَاءَ الرياحِ

وتسقى أعاصيرها بالجنونْ !

• • •

بقايا من الذُّلّ فى كل أرضٍ

يُحرّكُها النّيء أنّى يشاءْ

ويَدْفعها البَغْىُ فى راحتَيْه

ظلاماً مَهينَ الخُطا فى الفضاءْ

تنسلّ منها ترابُ الوجود
ولم يبْقَ فيها لخطوٍ رجـاءْ
فكيف استبدّتْ بغايا الحُظوظ ؟
فألقتْ بها فوق أرضِ السماءْ !

• • •

تلاقت شرائمُهـا عنـد سفحٍ
تزمجر لعنتُهـا فى حَصَاهْ
وتجـأرُ فيـــهِ دَوالى الكُرُومِ
وتعصرُ نيرانهـا للسُّقـاهْ
ويُصفى لها جبلٌ ، كم صفَتْ
لمَسْرَى النبوّات يـومـاً ذُراهْ
تنفّسَ من دنَس الـواغـليـنَ
لهيباً إلى النار يعوى لظـاهْ

• • •

تلفّتَ من غمَـرات الظـلام
ومن عـارِه فى جبينِ الوجُودْ

فابصرتْ فجراً عنيدَ الضياءِ
تـزمجـرُ أضواؤه بالرعودْ
وتـزحـفُ راياتُـه بالدّمـاءِ
لتجرُف بالهوْل كل الحدودْ
وتغسـلَ بالنـور . مالْوثـنْـيّـةْ
خطا التائهين بأرض الجُدود ...
غداً يزأر الليلُ من حوْلهمْ
ويرتدُّ فيهم ضلالُ السّنينْ
ويكتسحُ الفجـرُ أيامَـهُـمْ
بـيـومٍ يكبّـر للعائديـنْ
وتخـفـقُ بالنّصْر هالاتُـهُ
على كلّ دربٍ سقاه الأنينْ
فلسطينُ ! حانَ شُروقُ الصّباح
ودوّى أذانُـكِ للزّاحفينْ ! !

١٩٦٤

رايـــة العـــرب

كم سقيْنا بالدم الفادى ثراك
ومع الأجيال سـفْنا شهداك
١٩٦٥

فى طريق الشمس عودى ، وأعيدى
عزة الشرق ، على وجه الوجود
وارحفى بالنـور ، والنار على
صرْخة للثـأر فى باقى القيـود !

* * *

من قديم الدهر ، حياك الاله
وبصوت الوحى نادتك سماه
واصطفى أرضك من بين الثرى
فحبتْـها بالرسـالات يـداه

بسناها شعَّتِ الدنيا هـدىً

وبها ثارت على الذُّل الجبـاهُ

ومضت تسقى الليالى من ضُحاها

وتُذيب الرِّقَّ من وجه العبيدِ !

* * *

فى ظـلام الدرب فى الماضى الطويلِ

كم حضنتِ العهد جيـلاً بعد جيلِ

ومحا خطْوكِ فى إصرارِهِ

من طريق الفجر ، ليلَ المستحيلِ

وضربت السيرَ ، حتى سطعـت

شمسُكِ الكبـرى على كلِّ سبيـلِ

وتلاقى الأهـلُ بالأهـلِ علَى

صيْحةِ الحـقِّ لأحلامِ الجدودِ !

بِصباح الوحدةِ الكبرى الأبيَّـهْ

عُدْتِ من حلْم اللَّيالى العربيَّـهْ

فازاري بالنـور في كـل شـرًى

لم تـزل فيـه من اللّيـل بقيّـهْ

وعلى كل تُرابٍ ، لم تزلْ

فيه للغرب بقايا الهَمَجيّهْ

واستعرّى حرّةَ الخطو ، إلى

أن ترىْ شمسكِ عادَتْ من جَديدِ !

• • •

كم سقينا بالدّم الغاديَ ثراكِ

ومع الأجْيَال سقْـنَـا شهَـداكِ

ويدُ اللهِ على كـلّ يدٍ

تزرع الفُرْقَةَ ما بين خُطَـاكِ

طال فيك البيْـنُ ، حتّى أنّنَـتْ

ساعةُ الجَـمْعِ . . فدقّتْها يَـداكِ

والتَـقَـيْـنَـا أُمّةً واحدةً

تعبر الأيّامَ من غيرِ حُـدودِ !

• • •

فإنا شارفتِ أرضاً ، زمجرتْ

ظماً للفجْرِ من قلب الخيامِ

فارشقيها بشعاعٍ مؤمنٍ

يستردُّ النُّورَ من أعتى ظلامِ

ويُذيبُ العارَ ، أنّى خطرتْ

لرؤاهُ حسرةٌ فوق الرُّغامِ

وضُحى المِعْراجِ يمحو دَمْعَةً

لم تزلْ تصرخُ في القدْسِ الشهيدِ

وحـــدة المسيـــر

على طريق الزحف فى كفاحنا الكبيرْ
بروحنا ، وبأسنا نجـدد المسيـرْ

• • •

نحطم السـدود من طريقنـا
ونضـرم الكفـاحَ من عـروقنـا
ونبعـث الحياة من شروقنـا
قـويـةً ، عـتـية الجـنور

• • •

كفاحنـا فى كـل يـوم صاعـدٌ

تعلُو بـه الجباهُ والسواعد
وعزمُنا فى كل أرضٍ شاهـد
بما سيبقى آيةَ العصور

• • •

إيماننا لا يعـرف المحالْ
وبأسُنا لا يعرف الكلالْ
وشمسنا لا تعرف الزوال
وان تَحدَّتْ نورها الدهور

• • •

من كل نبض فى دمانا ثائرٍ
وكل عزمٍ فى خطانا قاهرِ
وكل لمحٍ ، من جبـيـن ثائـرِ
شـدَّتْ قوانا وحدةُ المَسيرْ

• • •

على النضال كبّرتْ أيامُنا

وللفداءِ أقسمتْ أعلامُنا

لابدَّ . . ما تريد أحلامُنا

يأتي به صباحُنا النضيرْ ! !

١٩٦٦

إلـى الأمـــام يـــا عـــرب

٨ يونيه ١٩٦٧

إلَى الأمـام . . خطُونـا . . إلَى الأمَـامْ
إلى الأمام . . زحفنا . . إلى الأمام
إلى الأمام واسحقوا العدوان
إلى الأمام واسحقوا الطغيان

* * *

إلى الأمام . . واضربـوا . . إلى الأمام
وحطموهم . . واضربوا . . إلى الأمام
صبُّوا عليهم غضبةَ الأحرار
شقوا خطاهم باللظى والنار

فى كل شبر ، فى الرمالْ . .

فوق السهول و الجبال . .

شدُّوا عليهم . . واضربوا . . إلى الأمام

وحطِّموهم . . واضربوا . . إلى الأمام .

* * *

الله ، فى صف القتال . . يرجم

يَسقيهمُ نارَ الزَّوال . . منكُمُ . .

من كفكُمْ ، من باسكُمْ ، من جُنْدكُمْ

من جُنْدِهِ من السَّماءِ فَوْقَكُمْ

شدُّوا عليهم واضربوا . .

وبددوهم واضربوا

* * *

الثار نادى ، فازحفوا . . إلى الأمام !

والحق نادى ، فاقصفوا . . حَشْد الظلام .

مهما أَمدَّتهم خطا الطغيانْ

أو ساعدتهم عصبة الشيطانْ . .

فالله ، يحدو النصر فى صفوفكمْ
والله يلقى البأس فى كفوفكُمْ . .
فى كل أُفـق يمّمَتْ زحوفُكُمْ . .
وزمجـرت فى زحفها جيُوشكـمْ
ليُهْلـك القـادرة الأثيمَـةْ
ويقذفَ الدمارَ والهزيمةْ
لعصبَةِ ، الضّلاَل ، والجَريمه !
سيـروا بنصر الله للأمام
إلى الأمام ابداً . . إلى الأمام
صبـوا . . عليهم لعنـة السّمـاءِ
بالمـوت . . بالدمار بالفنـاءِ
فلن تعودَ النـارُ عنهم أبَـداً
حتى تعودَ حرّةً أرضُ الهدَى . .

الديـــوان
التاســـع

صـلاة ورفـض

رَفْضُ الهَزِيمَة

«أنشدت في مهرجان الشعر العربي

الثامن بالقاهرة ١٩٦٨»

. . أرفضُ أنْ أتوهَّمَ نعشَ خيالٍ ،

. . عبرَتْ فيه !

. . أرفضُ . . حتى صوتَ القَدَرِ ،

إذا ما انحدرَتْ من أيديهْ !

. . أرفضُ . . خطوَ العُمْرِ ،

إذا لم تُصبحْ عدماً ، لا يدْريهْ !

. . ترفضُ روحي ، كلَّ رُؤاها

يرفضُ زَمَني ، أنْ يحياها

يرفضُ صمتي ، همسَ صداها
يرفضُ غضبُ النّأي سُراها
. . يرفض وهْمي ان يتمثّلَ ،
طيفَ أسًى منها يُخزيهْ !
. . يرفضُ انْ يلقاها شبَحاً ،
ريحُ اللّعنةِ لا تطويه !
يرفضُ وتَرِي انْ يعزفَها
يرفضُ خلَدِي انْ يعرفها
وإذا قدرٌ ، دامي الخطوة ،
مَرَّ عليَّ ، ودَسَّ أساهْ !
وغفا قدرٌ . . كانَ بصدري
سدُّ زوالٍ ، لوْ لاقاهْ !
ودَنَتْ منّي أقْعَى التّيهْ ! . .
هتفَتْ ، وامسي لا احكيهْ :
ارفضُ انْ اتوهّمَ نعشَ خيالٍ عبَرتْ فيه ! !
ترفُضُ مِثلي . .

. . أرضٌ سمعت نجوى الله على شفتيها

أصغتْ ، ورنتْ ،

ثم أضاءتْ حلكَ الدنيا ، من خدّيها

ثم تهادى خطوُ الرُسلِ ،

يُدفقُ نوراً بينَ يديها

عانقَ فيها كلُّ نبيٍّ مرَّ أخاهْ . .

وغدتْ كلُّ حصاةٍ فيها ، قدّسَ صلاهْ . .

حين أتاها حادي النورِ ،

يَشُقُّ ضُحاهْ . .

. . فوق سفينٍ ، عبرتْ لُجَّ الغيبِ ،

وطارتْ دون شراعْ ، .

غير نداء الأفقِ الأعلى

سبَّح في يُمناه شعاعْ . .

فدنا منه ، وشرب الحقَّ من الآياتْ

ومضى يُنقذُ وجه الأرض من الظلماتْ

كلُّ ظلامٍ مرَّ عليه ، توهَّج نوراً منه وثابْ

غيرَ وُجوه أبت اللعنةُ ملء دُجاها أن تنسابْ

حملتْ حقدَ الكونِ وسارتْ ،

تَنْدُ الطهرَ بكل ترابْ

ثم رماها التّيهُ . .

فألقتْ عارَ خُطاها في المحرابْ !

مهما نهبَتْ مني ، مهما ،

بنْتُ الغدر . . ولا أرْوِيهْ !

أرفضُ . . أن أتوهّم نعش خيالٍ عبرتْ فيهْ ! !

• • •

أرفُضُ . . نورَ الشمسِ ،

إذا أحْلامي لم تقْطِفْهُ شرارْ

وتجرّعُهُ غضبَ الْعزّة ،

وتُلَقّنُهُ حقدَ النّارْ . .

وتجسّدُهُ فوق سَماها ،

بفْتَة هولٍ ، في إعصارْ . .

كلُّ زماني فيه يَدُورْ

كلُّ وُجودي فيه عبورْ

كُلُّ دروبي فيه سَعيرْ

كلُّ كياني فيه أسيرْ . .

كلُّ الماضي . .

كلُّ الآتي . .

كلُّ حياتي قيْدَ خُطاهْ . .

. . حتى يسحَقَ هذا الليلَ ،

ويُهْلِكَ في جنبَيْ دُجاهْ !

. . حتّى يورقَ في مَسْراه ،

صوتٌ ، كُبِّلَ فيه صَداه ،

في مئذنةٍ . . .

وقفتْ تَجْأرُ في الظلماتِ بلا كَفَّيْنْ

لا تَسْبيحَ ،

ولا ترتيلَ ، يعجُّ به ثاني الحرمَيْنْ

ذُبحَ النورُ عليه ،

وعاد رُفاتَ دعاءٍ من شفَتَيْنْ

وغدا الرّجسُ ،

يدوسُ ثراهُ ، وينهش فيه بالقدمَيْنْ

. . مهمـا دنّس باغٍ فيـهْ :

مهمـا فجـرت أمُّ التنيـن ،

ارفُضُ . . حتى ان أتوهّمَ نَعْشَ خيالٍ . .

. . عبرَتْ فيه ! !

• • •

يرفُضُ شيءٌ . .

ظلّ يغنّي فوق جبينيَ طولَ العُمْرْ

ثوبَ كِبْرَ الشمسِ ، وناب ،

فأنبتَ فيه إباء الدهْرْ

لمعَ النّجْمُ ، وشابَ سَناهُ ،

وكل شعاعٍ منه يمرّْ . . .

خلقَتْ منه صلاةُ البيدْ

ألفَ لهاةٍ ، ألفَ قصيدْ

تُبْدِئُ منه ، ثم تُعيدْ

هبَ العزْةِ فى التّفريدْ !!

شىء . . منه انتفَض الأمْسُ ،

وشقَّ حشاىَ على سِكّينْ

واتى يَزْأرُ فى شفتَيْه ،

قسَمُ الثار بالف يمينْ :

. . لَنْ اتركها ، وخزْةَ عارٍ فىَّ لعينْ !!

لن اتركها . . ، يُطرق منها أىُّ جبينْ !!

ترفض أرضى . .

ترفض عِرْضى . .

ترفض كبْرٌ فىَّ طعينْ !!

يرفض وَجْهى

يرفض لهبٌ تحت جراح القلب دفينْ !!

يرفض كلُّ وجودٍ حَوْلى ،

كلُّ حراكٍ ، كل سكونْ !!

يرفض ان يحياها قدراً . .

لم تسحَقْهُ رياحُ جُنون !!

حتى يصْعَقَ يومُ الثـارِ ،
خُطاهـا السُّودَ بكـل بنيـهْ !
حتى ينْفُضَ حقدُ الرَّمْلِ ،
صداها الأثمَ من أيديهْ . . . .
حتّى يـرفـعَ وجْـهُ القُدْسِ ،
آذانَ النَّصْرِ إلى حاميهْ . . . .
. . أرفُضُ !!
. . حتّى إنْ أتوهَّمَ نعش خيالٍ
. . عبرَتْ فيهْ !!

٢١ / ٤ / ١٩٦٨

السَّـــلامُ الـذي أعـــرِفُ

«قصيدة الشاعر في مهرجان الشعر الدولي المنعقد صيف ١٩٦٩ بمدينة «استروجا» بجمهورية مقدونيا (يوغوسلافيا) مثل فيه الجمهورية العربية المتحدة ، مع شعراء العالم من دول الغرب والشرق»

. . مِن الشرق . . جئْتُ
ومن كل أرضٍ أتيْتُ
ولستُ نبياً على كَفِّهِ تسطع المعجزاتْ
ولا مُـرْسَـلاً في يـمـيـنـي كتـــابْ
يُضـيءُ الوجـودَ ، بآياتِهِ البيِّنـــاتْ . .
ولا حـامِـــلاً شُعْـلـــةً في يَـــدَيَّ
تَـدُقُّ السَّمـــاءُ بهـا كـلَّ بـــابْ . . !

. . ولكننى . . ؛ مِنْ دُروب الحياة انطلقْتُ ،
ومِنْ كـلّ جـرْحٍ لإنْسانِهـا قـد سـرَيْتُ ،
ومن كـلّ وجْهٍ تضجُّ بـه صلواتُ العَبيـدْ ،
ومن كلّ سـاقٍ تؤُجُّ بهـا وَخـزات القُيـودْ ،
ومن كلّ طرفٍ به الزهر تنْبتُ فيـه القبورْ
وتُصْلَبُ فى عطـرِهِ نغمَـاتُ الزُّهـورْ . .
ومن كـل طِفْـلٍ . .
مـع المـوت يـرضَـعُ ثـدىَ البنـادِقْ
ويحتْضِن الـذعرَ بين الخنـادِق
ويبحـثُ عن أمّه فى رفـات الضّحـايـا ،
وفى نظراتِ المشانِقْ . .
فيلْهيه عنها عناق الشّظَايا ،
وضَمُّ الْحَرائِقْ ! !
. . . ومن حسرة الرّيح ،
وهى تقْصُّ لحتجاجَ السّنابِلْ
ونوْحَ الهشيم بحدّ المناجِلْ

وتُكْمِلَ النسيمُ بسمْعِ الجداولْ

وتروِي أساها ، لِدمعِ الفَراشِ ! . .

يؤبِّنُ موتَى زهورِهْ !

وحُزْنَ الطيورِ على عشِّها ! . .

فى مهاوى مصيرِهْ !

. . ومن كل صوتٍ ،

بحقِّ الشعوبِ يُسلِّى المنابرْ

وفى راحتيْه ،

مِن الظلم . . يهدرُ صوتُ الْجَنازِرْ

ويعصرُ من أدمع الكادحينَ الرَّحيقْ

ويمتصُّ ، يمتصُّ . .

حتَّى رفاتَ العروقْ . .

ويسرقُ من أوجه الطيِّبينَ ،

شعاعَ الطريقْ

ومن صَحْوَةِ الثائرينَ ،

اتِّجاه الشروقْ !

ويُرخي على وجهه ألفَ ستر صفيقْ
لينشبَ أظفارَه في الظلامْ
وينهشَ من كل قلبٍ حنين السلامْ
ويجري بزَوْرقه في الضحايا ،
يسوقُ الجياعَ ، حُفاةً ، عَرايا . .
وباسم الحضارة يبكي عليهمْ . .
وبالفوْتِ يَهذي ، ويجْري إليهمْ
يَمدُّ لهم فضلات الموائد ، حوْلَ الخيامْ
وهم من شقاءٍ ، وبؤْسٍ ، بقايا حُطامْ
يضجُّ الوجودُ بكاءً عليهمْ !
وأغلالُه صدئتْ في يَديْهم !
ودمع الرياء ، رحيقٌ من الظلْم غائرْ
تُفتّحُ بالزَّهْر فيه ،
نُعوشُ الضمائر !
. . مآسٍ على الأرضِ . .
يلُهو صداها بَحقّ المصيرْ

ويَخْجَلُ منها حياءُ العصورْ

تلهّى بها مستبدٌّ ، وقاتِلْ

ويباغِ بكفّيهِ شدَّ السَّلاسلْ

وترنيمةٌ فوق زور الشفاهْ

خداع السياسةِ فيها صلاه

تناجَوْا بها في صدور المعابِدْ

وفي حلقاتِ الموائِدْ

أباريقَ . . تُسكِر حقدَ الطُّغاهْ

وتذبحُ باسمِ الحياةِ الحياهْ

على زُورها مِنْ وجودي خجِلْتُ

واشعلْت نايي ، وطرتُ

جناحايَ . . نارٌ . .

على كلّ سلْمٍ . .

من الأرض يَسْلُبُ حقّ الحياهْ ؟ !

ونورٌ . . لِكُلّ سلامٍ . .

إلى العدل تَمشي خُطاهْ . .

منَ الشرق جئتُ

ولستُ نبيًا . .

ولا مرْسلاً فى يمينى كتابْ . .

. . . ولكنّنى . .

مِنْ ضمير الوجود انسللْتُ

ومن كل جَوْرٍ ،

وبغْيٍ على حقّه ، قد غضِبْتُ

ومن كلّ قهْرٍ

لإنسانه الحرّ ، ثُرْتُ !

ومن كل نبْرٍ !

لصوتٍ أسيرْ

تلاشَى حواليْه صوتُ الضّميرْ !

ومن كلّ أرضٍ . .

عليها يدُ الشر . . سلّطها مستبدُّ

وأرضٍ . .

عليها من القهر ، . حرٌّ ، وعبْدُ

وأرضٍ . .

عليها القداساتُ تُسْقَى للهانهْ

وتعوى بخطو الذئوبات فيها رياحُ الخيانه !

وأرضٍ . .

بها اللونُ يصبغُ وجْهَ المبادىءْ ،

. . فهذا بياضٌ ، سليبُ المساوىءْ . .

تلوذ بكفيّه كلُّ المرافئْ !

وهذا سوادٌ . . أبيٌّ ، وثائرْ !

على كلّ جائرْ !

يمرُّ به العدلُ خزيانَ حائرْ !

إذا هبّ يوماً

ودكّ السدودَ ، وشقّ الستورْ

ليسمعَ كالناسِ شدْوَ الطيورْ

ويَنْشقَ كالناسِ عطرَ الزهورْ

ويخْطوَ كالناسِ ،

من غير كرْه ،

وإطراقِ وجه وخطو أسيرْ ! !

.. تهبُّ عليه رياحٌ عتيّة

حدّتها قوى الشر للعنصريّه

تريقُ الدمَ الحرَّ فوق الذابحْ .

لفجْر الشعوبِ الأبيّ المكافحْ . .

وتمضى على جُثث النّور ،

والزهر ، والحبّ ،

تحت الظّلامْ ! !

تلُوكُ السّلامْ

وتبّحث عن ظلّه فى السّديمْ

وفوق النجومْ . .

وعن طيّفه فى كهوف القمرْ

وغاب القدر . .

. . وفى الأرضِ ،

تَغْوِى صباحاً ، بصوْت الوئامْ

وللرّق فى يدِها

كلّ يومٍ – لِشَعْبٍ – زمامْ !!

• • •

فيا أمّىَ الأرضُ !

ماذا جنَيْتُ ؟

ومنكِ – ومثلى جميع البرايا – وُلِدْتُ

سواداً . . وجِدْتُ !!

بياضاً . . وُجِدْتُ !!

إلى كل لونٍ إليك انتَمَيْتُ !

فماذا اهاجَ دُعاةَ الفوارقْ ؟

سوَى جَشَـع الظلْـم بين الخـلائِقْ !!

خـداعٍ . . بـه فى وجـودى كفـرتُ . .

ومن كلّ سُخْطى !

له ما عزَفْتُ !

ومن كلّ نبْضى . . وأرضى

ومن كل بُغْضى . . ورَفْضى

. . له ما عزفْتُ !!

* * *

من الشرق جئتُ

ولستُ نبياً . .

ولا مُرْسلاً . .

فى يمينـى من النـور شـُعْلَةْ . .

فمِـن كـلِّ دربٍ ، ومِن كلِّ بـابْ

ومـن كـل قيـدٍ ، يُـدوِّى زَوالُهْ

ومن كل قلبٍ ، يُضوِّى اشتعالُهْ

ومن كل شعبٍ ، يُغنِّى نضـالُهْ . .

ومن ألْفِ ليـلٍ طـويـلٍ . . وليـلهْ

تـدقُّ على الـرَّقِّ مليـون طبْلَهْ . .

وتـزأرُ كالـريـح فـوق الجبـــالْ

وكالموت . . تعصف بين مروج الزُّوالْ !

. . . لرَفضِ الخُضـوع لأغـلال غاشِمْ

ورفض الدموعِ لأحْضانِ راحِمْ . .

ورفض الحياةِ . .

إذا لم يَسُدْها . . سَواءً . . سـواءً

قطافُ الهبيرِ . . .

وريُّ البراعمْ . . ! !

ورفضِ السّلامِ . . .

إذا اجْتَرّ شوْقَ السّلاسلْ

واخفَى نيوبَ الذّئابِ

على عتباتِ الهياكلْ ! !

• • •

من الشرق جئتُ

ولست نبيا ،

ولا مرسلاً فى يمينى كتابْ ! !

وليسـت معى من سُلَيْمانَ :

اسْرَارُ قُمْقُمْ . . !

اسـلُّ بهـا الحِقْدَ من كلّ طـاغٍ

على النُّور يَجْثِمْ ! !

واستـلُّ اضغـانَـه من تـرابٍ ،

سقاهُ بكاسهْ

وأفْنِي ظَلاماً ،

يَدُور بطغيانه تحت شمسهْ !

. . وليستْ معي من مزامير داود نغْمهْ !

. . ولا من وَصايا الكليم معي أيُّ كلِمهْ !

. . ولا من أناجيل عيسى ،

وإصحاحها ، أيُّ رحْمَهْ !!

. . ولا من سنَا آية من محمدْ ،

حملْتُ لكم أيَّ نَجْمهْ !

لأجتاحَ ليلَ الطريقِ ،

إلى فَجْرىَ الحرّ . . بين الوجودْ

وأجتاح قيْد الشروق ،

إلى صحوتي . من جَديدْ !

فليَّلُ الطغاةِ ، أصمُّ الظلام

وحقد الطغاة ، ضرير الضرامْ

وما جئْتُ أشدو لهمْ بالسّلامْ !

فصوت السّلام بأيديهمْ

فى هزيج الكنائسْ !

وفى كلّ ليْقُونةٍ ، ضـوّأتها العـرائسْ !

وفى كل قرْعٍ لأجراسها

فى صلاة الأحدْ . .

وفى كل خدٍّ تناجى بخدّْ !

ومالى أراهم ،

. . وفى كل يومٍ تضج الملامهْ . . ؟ . .

إذا مـاتَ فـردٌ . . أقامـوا القيامـهْ !

وإن مـاتَ شعـبٌ . . أذلـوُا منامَـهْ !

وصاحوا علَى كل قبرٍ شهيدٍ ، وحرّ . .

هدوءُ الفناء ، نشيد السلامْ . .

وباسـم السـلام ، أبـادوا السـلامْ ! !

* * *

من الشـرق نـارى . . ونُـورى . .

وشمسى التى لا تغيبْ !

وضوئى الـذى بـثّ فجـرَ الحضـارةِ ،

عند المغيبْ !

. . فإنْ دَسَّ ليلٌ ضيائى ،

وغامتْ سمائى ،

فقد حطّم المارد الحرُّ اغلالَ امْسِهْ

واضرمَ فى كل قيْد لظاهْ

لتَخْضرَّ ايامه من جديدْ

وتفْترَّ ازهاره للوجودْ ! !

* * *

. . . فيا اصدقائى

. . إنا عاد حرٌّ ، إلى ارضه . . فى الصباحْ

. . وعادتْ مع النورِ ،

تبسمُ كلُّ الجراحْ !

. . وكفّتْ عن البغْى . . نارُ السّلاحْ

. . ونابت مع اللوْن . . كلُّ العناصرْ

وبادتْ من الأرضِ . . كل العجازرْ

. . وماتتْ عليها رياح التآمرْ

وسطَ العصاباتِ من كل باغٍ وغادرْ

. . وفكّتْ عُراها ، حبالُ الخيامْ ! !

ولم يبقَ فيها ، شريدٌ مُضامْ ! !

. . وغنّتْ مع الطيرِ ، أمٌّ وطفلُ

وسبّح للحبِّ . .

غصنٌ ، وظلُّ ! !

سأشْدو . .

ونشدو جميعاً . .

بلحْنِ السلامْ !

ويَشْدوه حقلٌ ، ودربٌ ، وبيْتُ

ونايٌ . . به منْ جراحي شدَوْتُ

ومن عالمي الثائرِ الحرِّ . .

جئْتُ ! !

استروجا (مقدونيا) في ٢٥ / ٨/ ١٩٦٤

غَضْبَةُ الثَّأر

«مَعَ كل قطرةٍ من دم كلّ شهيد عربيّ . .

وهي تتوهج لصرخة الفداء وغضبة الثأر . .»

[. . في الطريق إلى بغداد ١٩٦٨]

وما قيلَ بغدادُ ! !

. . حتّى سمِعْتُ انْتِفاضةَ رُوحي ،

يشُقُّ صداها ، انهماكَ السكونْ !

وما قيل بغْدادُ ! !

. . حتى رأيْتُ على الأفْقِ ،

طيراً يغنّي ، ويوقظُ كبْرَ السِّنينْ !

ويَهْزج فوق اخْتلاج العصورْ ،

بصوتٍ يُدَوّى ، اذاناً
من الله هزَّ القرونْ :
يَدُكُّ السُّبات ،
ويُحْيى الغفاةَ ،
ويَسقى الحياةَ . .
لهيباً يُضَوّىءُ للسائرينْ
ويغرفُ من كلّ فجرٍ تَوارَى ،
ضياء الحيارَى . .
وصَحْوَ السُّكارَى . . وهُمْ يعلَمون !
ويُحيى من الأمْس ما كفّنوهُ . .
وما ضيّعوهُ ، وما بدّدُوه . . وهم سادِرُونْ !
ويضربُ فى كل ماضٍ يراهُ . .
فتبكى عصاهُ
وتبكى خُطاهُ . . وتبكى العيونْ !
ويخترقُ الدهرَ فى سُبْحتَيْنِ
وسبّابتَيْن . . تَعُدّان خطو الضياءِ المبينْ !

على كلِّ أرضٍ دعاها الإلهُ ، فلبّتْ نداهُ . .

وكانتْ ثَـراهُ الأبِيَّ الأمـينْ !

وكانت شعاعاً لليّلِ الوجود ،

صحتْ من جديدٍ ،

على فجره غشْيَة الحائرينْ !

وكانتْ إباءً لوَجْهِ العبـادِ . .

صريرُ الجهاد ،

بها شلَّ أسطورةَ الغاشمـينْ !

وكانت ضِـراماً لـرِقِّ الوُجُـوه

فما لسوى الله تَجْثُو صلاةً . .

ويَعْنُو جبينْ ! !

وظلّتْ تـدورُ بنبْـعِ السَّمـــاءِ

وتُعطى ضحاها . .

وتُغْدِقُ في النور للشـاربـينْ !

. . ودار الزَّمانُ ،

ومهما تَدُرْ في يديه الخُطُـوبْ

ومهما أقاسيه بالكيد راحتْ تلوبْ !
سيَنْشقُّ فجرٌ من الليل عاتٍ
بأرض الأباةِ
يردُّ الضياء إلى الصامدينْ !
ويَخْضرُّ للثار يومٌ . .
أبيُّ الكرامةِ ، يَسقى الندامةَ للغادرينْ !

• • •

. . وما قبلَ بغدادُ ،
حتى تفجّرَ للطير لحنٌ ،
جريحُ التغنّى ، جريحُ الرنينْ ! !
يُهادِلُ أوتارَه بالجراح
ويستلُّ منها بقايا صِنَاحِ
أبَى الرّنينْ ! !
على نايِه غضبةٌ لا تَنامُ
ولا يعرف النومَ ثارٌ سقتْه لهيبَ الجنونْ !
. . فيغضبُ . . إنْ جرّعتْهُ الغناءَ ،

هياماً ، وسحراً ، تُغنّى به غفلة الغافلينْ !

. . ويغضَبُ إنْ ساورتْهُ الرياحُ

سُكارَى ، تَرَنّحُ من غير أكواب حقد دفينْ !

. . ويغضب ، إن نادمته السكونَ ،

لبارِيقُ شدْوٍ هواها يتَمْتِم للعاشقينْ !

. . ويغضَبُ ، إنْ مرّ ساقى الضياءِ ،

ولم يضرم الأفقَ حَوْلَيْهِ ،

. . منْ غضبِ الثائرينْ !

. . ويغضبُ من بسمات الثُّغورِ ،

وتحت الصدورِ ،

على العار يُشوى إباءٌ طعينْ !

ويغضبُ من نغماتِ الطيورِ ،

وعطر الزهورِ ،

وفى الأرض لاحتْ خطا المعتدينْ !

وفى كل ارضٍ يدُ الله مرّتْ ،

بها واستمرّتْ ،

تضىءُ على قَدَم المُرْسلينْ !

سقاها الأئلةُ رِيَّ التُرابِ ،
وذلَّ الرِّقابِ ،
وعارًا على قدْسها فاجرينْ !
. . هُنا سجدةٌ من جَبِينِ النبِّى ،
على ركعتَيْنِ ، على لعنتيْن على المُذْنِبِينْ !
. . هُنا كان مَسْراهُ !
اين اضياءُ ؟
واين السماءُ
تصبُّ العقابَ على الآثمِينْ !
. . هنا الله ، والنورُ ، والمعجِزاتُ ،
ودربُ الصلاة ،
تهيم به نِقمةُ التائهينْ !
هنا التُّرْبُ يغضبُ !
والأفق يغضبُ !
والثـأر يلْهَثُ ظمآنَ شـوقاً إلى الغاضبِينْ !

* * *

فيا طير مزِّقْ ، واحرِقْ ، بقايا الجناحِ

إنا لم تكبُكِبْ ، وتَغْضَبْ ،

نُيوبُ السِّلاحِ ،

وتزْحفْ سرَايا ،

وتُرْجِفْ مَنايا ،

تدكُّ الجُنُودَ ،

وتُفْنى الوجودَ على الغاصِبينْ !

فلا كنتِ يا عَرَبًا فى الحياةِ ،

ولا فى المماتِ ،

وزُلْنا على أرضنا أجمعينْ !!

. . وما قيلَ بغداد . .

حتى تلفَّت طيْرِى الجَريحُ ،

وحطَّ على قلعة الخالدينْ !

ينادى البطولةَ من كلِّ غيْبٍ !

. . ومن كلِّ صوْبٍ ،

. . ومن كل غابٍ اشَمَّ العرينْ !

ومن كل قلبٍ عنيد الكرامةِ ،

ازُّ القيود على مسمعيّهِ ،
هتافٌ لعينْ !
. . ومن كل بأسٍ ،
تلين للقادير إنْ لاطَمتْهُ
وإن لطمعته الرّدَى ، لا يلينْ !
وإنْ غافلتهُ ،
فإنّ الأمانَ لسرّ الغيوبِ ،
قضاءٌ من الله للمومنينْ !

• • •

عَدُوّ الظّلامِ ترصّدْتَ فيه خطا القيْدِ ،
حتى نسختَ الظلامَ بصبْحٍ مُبينْ !
وفُجرتها ثورةً من حياةٍ ،
بليل الطغاةِ ،
سقتْها يدُ الله نورَ اليقينْ !
ولم تُرْضكَ الأرضُ يومَ الوَداعِ ،
فحلّقْتَ حتى لمستَ النجوم بطهْرِ الْيَمِينْ !

وعانقتَ أطهرَ ما حُملتْهُ يدٌ فى الوجودِ ،
ولاقيتَ ربَّك حرَّ الجبينْ !

• • •

. . قُمِ اليومَ . .
واغضَبْ مع الغاضبينْ
فثارُ العروبة يشتاق كلَّ لَظَى الثائرينْ !
وينفُخُ فى كل حىٍّ ، وفى كل ميْتٍ ،
وبعض القبور ترشُّ الكرامةَ للعابرينْ !
وبعض الذى مرَّ تاريخُهُ ،
من الأمس يزْأرُ ،
حتى يجاوبَهُ الهامدونْ !
. . ومن غَضَبِ الأرض هذا الغِناءُ ،
شدَتْه الدماءُ
ودوَّت به ، تُوقظُ الحالمينْ !
. . ومن غضب العِرْض هذا البكاءُ ،
نراه الإباءُ ،

حنيناً إلى حَوْمة الزاحفينْ !

. . ومن غضب النّأى ألاّ يغنّى ،

ليومٍ يُجَلّجِلُ بالدارعينْ !

. . ومن غضَب الله ألاّ نسير إلى الثارِ . .

نمضى له باللظَى حاشدينْ !

. . نضمُّ الصفوفَ ،

ونلقَى الحتوفَ ،

بصوتٍ كَوَتْهُ إلى نقمةِ الثار نارُ الحنينْ !

ومهما لقينا !

ومهما فنينا !

فإمّا نكون ، وإمّا – بلا شرفٍ – لا نكونْ ! !

. . وحاشاكِ يا أمّةَ الحقّ ،

إنّ الصباحَ سيخلُقُ أنوارَهُ ،

مِنْ ظلام الجراح . .

ونَحْيا . . ونَحْيا . .

ويرتدُّ كِبْرُ الوجوه الأبيّة

يرتدُّ كبرُ الإباءِ الطعينْ

ويهزج فى القُدْسِ صوْتُ الأذانِ ،

سلاماً من الله

حيّا به عِزّةَ الظّافِرينْ ! !

سيـنـــاء

. . ولَوْ غافلَتْنى مقاديرُ غيْبٍ ،
على وجهها صيْحةٌ للنُّزوحْ !
. . وشقّتْ دُروبى جنازاتُها ،
بعطرٍ ، شذاه زوالٌ يفوحْ !
. . ولو شطّرَ الدهرُ إصغاءُ رُوحى ،
وصبّ الهمودَ لنايى الجريحْ !
. . ولو عشّشَ الهمُّ تحت ضلُوعى
وظلّ على رِئَتيّها يَنوحْ ! ! !
. . ولو قفزَتْ من دمى آهةٌ
مُسمّرةٌ كصليب المسيحْ !

. . ولو جسّدت نفسها حيّرتي

ابابيلَ جنٌّ بمهْوَى سفوحْ .

. . ولو جُدلَتْ من عُروقي سياطٌ

. . وظلّتْ بها لعناتي تصيحْ .

. . ولو كلّم الموْتُ انهارَ صمْتي

واصْغَى سكوني لِنَهْش الفَحيحْ .

. . ولو فاجأتْنَي لثغاءُ غيْبٍ

مدثّرةٌ بصفاءٍ كَسيحْ .

. . ولو داهمَتْني بأجراسها

مرنّحةٌ في ظلامٍ وريحْ .

ودكّت وُجودي بمقذوفةٍ

من النُّذُرِ العاوياتِ المسُوحْ .

. . ولو فغرَ التّيهُ اشداقَهُ

ليمْتَصَّ اسرارَ دربيَ الفسيحْ .

. . ولو كلُّ نائحةٍ من حَمامي

غفَتْ نارُها في هشيم السطوحْ ! . .

. . . . . .

لأنبتُ ناتي ، وارجَعْتُها

من العدم الهاجع المستريحْ :

ظوامىء ترضعْنَ وهْمَ العبيرِ

وتُرعِشْنَ كل جمادٍ ، وروحْ . .

. . وجئْتُكِ . . من كل حيٍّ ،

ومن كل ميّتٍ ،

ومنْ كل لحن ذبيحْ ! !

أناديكِ . . .

. . أنْتِ النداءُ الوليدْ ،

. . لسَمْعٍ ترنّمَ فيه ضريحْ ! !

١٩٦٧

مـن الثّـابُـــوتِ

مِن الجرح الذى . . ما زال نَهْشُ يديْهِ ،
إعصارٌ يُبَعثِرنى ، . . ويَجْمعُنى !
وينسَخُنى بذاتى طيفَ ذاتٍ منه . .
يُخْرسنى ، . . ويَسمَعُنى !
وَيجْعلُنى كمعْصيةٍ مغلّفَةَ بعفو اللهِ
. . يشفَعُ لى ، . . ويَرْدعنى !
ويَحملنى . . كتابوتٍ عتىٍّ الرفْض ،
يَقْبُرنى . . ونحو ضحاه . . يَدفعنى !
تداخلَ فىَّ مُهْتَلِكٌ
وحىٌّ ثائر الميلاد . . يَخفِضنى . . ويَرْفَعنى !
ويَخلُق من اسايَ مشانقاً للعطرِ

يَحسدُني . . وفوق الموت يَزْرَعُني !

أقولُ : أنا ! ! فيرفضني . .

وحين يطلُّ وجهُ الأمس فيَّ ،

. . رؤاهُ تفزعني ! !

فأسْـألُ نايَهُ المسجورَ بين يَدَيْنِ

تحترقانِ من فزعٍ . . ومن طربِ :

أذاتيَ هذهِ ؟

أم أنها الأوهامُ . . ،

ترحَمُني . . فتُرجعُني إلى نَسَبي ؟

أنا ابنُ الشمس ، والبيداء ،

والثاراتِ ، والراياتِ ، والغلَبِ !

أنا ابن السيف ، والغزواتِ . . ،

والصهواتِ ، والنَّجدات ، والغَضَبِ !

. . زئيرُ الأمس في خلَدي . . يعاتبني ويفْزعني !

وجرح اليوم في كبدي . . صداه المرُّ يلسَعني !

فهاتِ الناى مخموراً
بصوت الرفض والإصرار واللهبِ
لعلَّ نسيجَهُ العاتى . . من الثلبوت . . .
ينْزَعنى . .
[١٩٦٧]

مـن رَصـيـــفِ الوجـــوه

وقفتُ في الطّريقْ
كعابرٍ غريقْ
يخوض بحر الدمع بالنّسيانْ
ويشرب الوجود بالأجفانْ
خيالُه مصفّدٌ مشنّوقْ
وحسُّه ممزّقٌ مسروقْ
والنّاس حولَ حولِه عبيدانْ
مقصوفةٌ من رَوْضها الحيْران
لا يَعرف الضّحْوَ ، ولا تنهُّدَ الشروقْ
ولا رفاتَ الضوء من مصباحه العتيقْ

عيونٌ أكفانْ . مفقومةُ الزّوالْ

ولمحةٌ أزمانْ ، مهروءةُ الأسمالْ

وموجةٌ تلقُّتُ للصلوبْ

وخطوه من خطوهِ هروبْ

وفى مهاوى دَرْبه يَدانْ

بحَسْرة المزمار تعزفانْ

وتلْحِبانِ الهمّ فى جماجم إصغائها محروقْ

كأنّه تهْتَهَةُ الضّرير لاختلاجَه البروقْ

وذاتهُ من ذاتهِ مُروقْ

ومنْ مهاوى خزْيه عقوقْ

تصنُّمَتْ فى لَحْدها العروقْ

ونادَمتْ ذهولَهَا الرحيقْ

وغاب كلُّ شيءْ

عن وهْم كلّ شيءْ

إلاّ العُبورَ الأبلهَ المَسلوبْ

والزمنُ المُحرِّكُ للصبوبْ . .

فهل أنا في وجهه غريقْ !

أم أنّه في سَهْتَتي حريقْ ! . . .

. . . . . .

مَن أنتَ ؟ في صداىَ ، في عينَيَّ ؟

شابتْ صلاة الدَّرب في يدَى

فاحفرْ لها النسيانْ

واعبرْ . . بلا إنسانْ ! !

قفْ : : إنّني لستُكَ في وُقوفي

ولست من موتك في عكوفي

فالألم الزاحف لن يموتْ

والنغَـمُ الزّائف لن يَفُوتْ

يا أيُّها الهاربُ من مصيره

يا أيُّها الغاربُ في ضَميره

في كلّ شيءٍ نَعْشُكَ المُسَيَّرُ للذبولْ

على صواري زيْفِهِ يَلُوذْ

فامْضِ . . فانتَ واقفٌ مسمّرٌ الجراحْ
وانتَ نخْبُ للموتِ فى نعيمة الرياحْ !!

١٩٦٨

جبـــالُ الصَّمُـــودِ

لشمَخي للسَّماءِ في الحلكِ الثلجي *
وصدِّي ظلامَهُ عن جبالِكْ . .
أنتِ من جبْهتي خُلِقْتِ ،
ومن أعماق ذاتي حشدتِ كلَّ جَلالِكْ . .
فارْدَعي كَلَّ عاصفٍ هَبَّ يذْرو
من ضُحى السَّفْحِ ، حبَّةً من رمالِكْ . .
واسحقي كلَّ حيَّةٍ تَنْزِفُ السُّمَّ ،
لتَفْتالَ سجْوَةً من ظِلالِكْ . .
وانبُذي كلَّ يائسٍ ، غطَّ في ليلِ
غبيِّ الكَرَى ، ضريرِ المسالِكْ . .

وانفضى كل واقفٍ ، لم تذبْهُ
غضبةُ النار في جحيم اشتعالكْ . .
وامْحقى كلَّ ساكنٍ ، يلعقُ العارَ ،
ونُوديه إنْ ألَـمَّ ببالكْ . .
واحْرقى كلَّ آهةٍ تنفُثُ الهمَّ
، وتلْقيه عثرةً في نضالكْ . .
وازْجُرى غفوة المقادير . . إنْ ظنَّتْ
هدوءَ البُرْكان بعضَ مَلالكْ . .
اردعى ، واصعدى كما صعَدَ التاريخُ
نشوانَ من عتيِّ احتمالكْ . .
واشمخى في العيون ، والخَطْوِ ،
والأنفاسِ ، وامْضى أبيَّةً في صِيالكْ . .
. . . وإنا غرِّد النَّفيرُ ، لحيلى
ضجَّةَ الهول ، غفْوةً في خيالكْ . .
وازحلى بالتراب ، والناس ،
والآجال . . والموتُ صائحٌ مِنْ رجالكْ ؛

لا وُجودٌ لطَيفِ عادٍ على سَفْحي ،
ولا . . لن يكونه بعد ذلكْ !
اتسمَ النصرُ ، ان تذوقَ خُطا الأشرار
من بأسه عذابَ المهالكْ . .
وعلى القدس تعْتلي آية اللهِ
تُمسيءُ الصليبَ جنب هلالكْ ! !

١٩٦٨

سـأشْـــدو

. . . سأشْدُو !

. . . وشدْوى . . أعاصيرُ رَفْضٍ ؛ ونارٌ تدورْ !

على كلِّ صوتٍ بُجُرْحى يُسلى فراغِ الصدور

ويسرق مِن غضبةِ النَّار ، بركانَ حقدٍ يفورْ !

ويمرقُ كالإثم . . يحجبُ عنى اتانَ المصير . .

ويُغرى يدَى عن رَحيق الفداءِ !

وشوْقِ الدماءِ ، وعصف البنادقْ . . !

وشريانها يَسْتَرِدُّ الكرامةَ من كل باغٍ !

. . ومِن كل سارقْ . . !

ويلْغو بوهمى ،

وهيهاتَ يُصغى ضياعى وحُزْنى !

لأسْلابِ صيتٍ ،
صداهُ زوالٌ على كلّ أُذْنِ !
. . . فمعركتي . . .
. . . صوتُها فوق صوتِ الوجودِ ،
وصوتِ النشيدِ ، وصوتِ الوَتَرْ . !
وفوق الحياةِ . وفوق الممات . .
صداها يُدَوّي بصوتِ القَدَرْ !
. . سأشدو لكم . . .
وشَدْوِي مناجلُ مجنونةٌ بحصادِ الهَشيمْ !
تُعَرّي الجراحَ . .
لتسْتلّ منها قشورَ الرّياء ،
وزَيْفَ العصورْ !
وتهْتكَ ما برْقَعَتْهُ عليْها ،
وما كفّنَتْه بغَايا الستورْ !
وما سَمّرَتْهُ نعوش الحقيقة ،
في دَرْبِها . مِن ظلامٍ ، وزُورْ ! !

صَـــوتُ المَـعْـركَـــة

[١]

... ...

سمعتُكَ توقظ الموتى ،

وترعشُهُمْ ...

وتَنْشُرهُمْ ...

علَى خلَدِى ! !

وتَقرَعُ راحتاك البابَ

حوْل سكينةِ الأبَد ! !

تَـدُقُّ . تَـدُقُّ ،

حتَّى تُورق الأكفانُ بين يَدَيْكْ !

وتنزَعُ صمْتَها أبديّةٌ خرساءُ ،

ساحتُها تَطيرُ إليكْ !

وتزرَعُ نفسَها الأرواحُ ،

فوق جُذوعٍ رابيةٍ بلا أغصانْ

حدائقُها مسحَّرةٌ ،

تلوحُ بعطرها النّيرانْ !

. . يُطلُّ بزَهْرِها الشُّهداءُ ،

مِن ظمأٍ لنار صداكْ ،

وتصرُخُ آهةٌ للصبر

هالعةٌ ليوم لِقَاكْ ! !

[٢]

أنا قبلَ انْ اطأ الترابَ . . .

. . سمعتُ صوتكَ هادراً ،

كالموج ، يصرُخ فى عروقى

. . وسمعتُ نَهْشَ صداكَ ،

وهْو يَشُبُّ كالإعصار ،

فى أعماق ذاتى . . للتفجُّر والشُّروقِ !

. . وسمعتُ دَقَّ يديكَ ،

فى بابى المصفَّدِ بالقيود ،

وبالسُّدود الضاربات على رحيقى !

. . . وسمعتُ خطْوَكَ كالرياح ،

تُذيقُ صمتَ الذلّ ما شاءَتْ ،

من الندم العميقِ !

. . . وسمعتُ كفَّكَ ،

تلطمُ الوجهَ المكفّنَ بالهدوء ،

على سفينٍ في سلاسله غريقْ !

. . . وسمعتُ نارك في الفضاءِ ،

تذيق كلَّ صدًى سِواكَ ،

مجازرَ العدم السَّحيقِ !

. . وسمعْتُ زجْرَكَ للْهديلِ ،

يَقُصُّ نَوْحَ حمامةٍ ،

لسكينةِ الأقفاصِ جانيةِ الخُفوقِ !

. . . وسمعتُ جمركَ يلْسَعُ الأيّـامَ ،

وهي تَسيرُ في خلَدي ،

مُطَفَأةَ البَريقِ ! . .

شوهاءَ . . ثاكلةَ الوجود . . .

تئنُّ ضاحكة . . .

وترتعُ فى الطريق . . بلا طريق !

بكُماءَ ، غافلةَ السكونِ ،

تموت بين يديهِ ،

وهى تعبُّ زمْزَمَةَ الحريقِ ! !

• • •

. . زمجرْ على كبِدى ،

على جَسَـدِى ،

على روحى المزنَّر فى خيـــالكْ

. . واعصف على قلبى ،

على دربى ،

على وترى المصفّد فى حبالك !

. . وانْزِفْ لهيبكَ ،

فى دمى ، وعلى فَمى ،

واصهَرْ وجودىَ فى اشتعالك ! !

[٣]

... ...

من الله ، أنت !

من الروح ، أنت !

، ومن كل صمتٍ يُنادى صَداكْ

وفى كل صوتٍ إلَيّ أراكْ

وأسمع فى كل شىءٍ مَداكْ . .

فأسمعه فى دمى ثورةً للضياءْ

من النار والنارُ تشعلُ فجرَ الإباءْ

وفى خلَدى نبْضهُ كاحتدام الرياحْ

وكالعاصف المنْبرَى لاختراق البِطاح

. . وفى كبد ، مارد عبقرىُّ الجناح

يشدُّ من الليل نور الصَّباحْ

. . ويزار بالنَّار تحت العروقْ

ليَسْتَلَّ منها ضياء الشروقْ

. . وفى خطوتى درب عمر جديدْ

وفى نظرتى صحوة للوجودْ . .

تُنفْضُ عنه غبارَ الليالى السحيقةْ

وتمضى به فى هدير الحقيقةْ

جبينى جديدْ

ووجهى جديدْ

وإيماء عينى . . . جديدْ

وإصغاء سمعى . . جديدْ

وذاني شواظٌ على جلدها المستضام القديمْ

وكبْرٌ من الدور يسطع تحت الأديمْ

ينوِّر ليل الكهوف الضريرةْ

ويلسعُ كلَّ بقايا الكرَى في البسَّريرةْ

ويُوقظُها كي تشقَّ المصيرْ

وتوغلَ صامدةً في المسيرْ

ولسمعهُ طارقاً من حديث السماءْ

يدقُّ على كل بابٍ بأعتى النداء . . .

. . . .

فمن صوت جبْريلَ وهو يناجي «محمَّد»

ومن رعشة الوحي وهو لهيبٌ ومَوْقِدْ

ونار مجلْجلةٌ من سماء الغيوبْ

لمعركة الحق جاءت تشق الدروبْ

وتزار فى كل ليلٍ يتيم شليل الضياءْ

وفى كل يأس ذبيح الأمانِ جريح الرجاءْ . .

وفى كل قيْد . . على الذلّ أغفى وغنّى حديدهْ

وفى كل غُلّ . من القهر صلّى عليه عبيدهْ . .

ومن عنكبُوتٍ على الغار أرخى الستُوراَ

بأوْهَى خيوطٍ ، أدار الزمان ، وأحْيا الدهورا . .

. . ومن «بدْر» . . وهْى نعيمة كلّ المعارك

وصوْتُكَ فيها من الحق . . نارٌ تُشارِكَ . .

. . ومن كل خطو الذبيّينَ فوق الصحارى

وهُمْ يحصدُون الدّجى ، من وجوه الحيارَى . .

مِن الله أنت !

مِن الروح أنت !

ترنّمْ . . وجلجِلْ

وبالنور . . اقبلْ . .

ولملِمْ زئيركَ من كلّ ليلٍ توارَى بأرضكْ

ومن كل كاسٍ سقَتْها الضحايا . . فداءً لعرضكْ

ومن كل سيفٍ وضعنا مع البيد أنهار شمسهْ

ودرنا نَشاوَى بهالات شِعْرٍ تُغنّى لبأسهْ

ترُنمْ . . وجلجل

وبالنور . . اقبلْ

وهاتِ الطبولَ ، وهاتِ الخُيولَ

وهات البيارقْ

وهات الصدَى من مزامير «طارقْ»

وايقظْ عموريّةً من كراها

ورقّ نارها ، واسقنى من لظاها

بقايا ضحاها . .

وخذ نغمةً من سماواتِ حِطّينَ ،

واخضبْ نداكَ . .

وارغلْ مع الريح فى كل أفقٍ .

وفَجِّرْ إباءكْ . .

ودُرْ بالعصور ، وبوق النشور ،

على الهامِدين . .

وانشِبْ هديرك في كل كهفٍ على الشّامِتينْ

ولا تخْشَ ليْلاً بغفْلاتنا قد نسَجنا ظلامهْ

ورُحنا من الوهْم نشكو دجاه ونَبكي خيامهْ

ونحن الذين افترقنا فتُهنا ضياعاً بدربهْ

ودُسْنا بأقدامنا كل نورٍ هدانا بركبهْ . .

فكم صَحْوة للشعوب تردُّ من الموت صحو الحياهَ !

وكم يقظة من رمادِ الزوال ! . .

هي الفجر تخْضرُّ منها رُباهْ !

. . صَحَونا . ولابدَّ نسحق بالنور ليل الطريقْ

ونصعد ، حتى نردّ من الليل ضوءَ الشروقْ

فزِمجرْ كما كنتَ ،

حتّى تردّ إباء السِّنينْ !

وشُقَّ الصدورَ ،

واضرمْ بها غفلةَ الواقفينْ !

وغيّرْ هوانا . .

وغيّرْ رؤانا . .

واشعلْ منا ثورة لليقينْ

ولن يغسلَ العارَ . . .

. . إلاّ امتدادك فى كل شىّ !

ولن يرْجعَ الثارْ ! . .

. . إلا انتفاضك فى كل حىّ !

ولن يرجعَ الدارَ

. . إلاّ اقتحامكَ ذلّ الخليّ !

ومحْوُكَ لليأسِ من كل روح غبيّة :

فصوتُكَ فى كل روح حياه

وصوتكَ للنصر أتْقَى صلاه

فقاتلْ به فى العروق دم اليائسينْ

وأيْقظ به فى الدماء رؤى الهامدينْ

واعجلْ به النصرَ للصامدينْ

ويوم نردُّ الترابَ الحبيب لأقدامنا

وصوتك بالنصر يجرى نشيداً لأيّامنا

ستسمع من كل أفق أذانا يهز الشهُبْ

ويخضرُّ فى الأرض لحن البطوله . .

نحن العربْ ! !

١٩٦٩

القُـــدسُ تـتـكـلّـــم

حينَ رأيتُ ذابحَ النَّوْراةِ
وقاتلَ الهادينَ للحياة . .
وشاربَ اللعنة من آياتى ،
. . ينهش نورَ الله من هالاتى
ويَبْذُرُ الظلْمةَ فى ساحاتى
ويَغرسُ الرِّجْسَ علَى راحاتى !
. . تضرَّمتْ فى أفقها ذرَّاتى
وأسبلتْ أجفانها مِشكاتى
وانتسَمَتْ بأمسها سلَاتى
مَهْما تَذُقْ من غدْره ويْلاتى . .
. . لابدَّ أنْ يعودَ لى سجودى

ويصدَحَ الأذان من جديد
مكبِّراً فى قبَّةِ الوُجود ! !

• • •

اتسمت بانْعتاقة الإسْرَاءِ
وطيْرها العارج للسَّماء
من اغصُنى البيضَ ، ومن صفائى
ومن عناق الله فى فِنائى
مباركا بقُدسه فضائى . .
. . مهما تمادَى الليلُ فى عِدائى
او أزْهقَ النورُ على اشلائِى
او لوَّثَ التيهُ خُطا ضيائى
او اخرسَ البغىُ صدَى دعائى
او هدَّم الشرُّ ثَرا بنائى ! !
. . سيزَحفُ النورُ إلى قبابى
ويستردُّ طهرَه ترابى
ويورق السَّلامُ فى اعتابى !

اتسمتُ باحتراقة الأيام
على طريق الدمع والآلام
. . مهما استبدَّتْ غشيةُ الظلامِ
وصفَّدت مسابحَ الإلهامِ
وشلَّت الأجراس بالأنغامِ
فلم تعدْ غيرَ سكونِ دامِ
تقرعهُ الرياحُ فى الخيامِ . .
. . مهْما رمَى التيه علَى أقدامى
او شدَّ فى او كاره زمامى ! !
سترجع الحياة للتبتُّلِ ،
فى مسجِدى الباكى وعند هيكلَى
على ثرَى الله ،
ومرْقَى الرُّسلُ ! !

١٩٦٨

الأذان الذبيح

(إلى أذان المسجد الأقصى وهو يهدر من وراء السكون والأغلال).

تلفّتْ . . فما زال خَطْوُ النّبيْ
يرشُّ لك النور بالراحتَيْنْ . .
ويسقيك إسراؤُهُ في الظلام
رحيقَ القداسة من خُطْوتَيْنْ . .
لُثْ شعاعاتهُ بالتُّراب
وخطّت به أُولَـةَ القبلتينْ . .
وأوّل إسْقاء هذا الوجود
لرب السّماواتِ في سَجْدتيْنْ . .
ونُمتْ إلى الأرض فانساب فَجْرٌ

جديدُ الضياء إلى كل عيْنْ . .

وطارتْ بمعراجها فوق بَحْرٍ

وضيّ العباب بلا شاطئَيْنْ . .

على طائرٍ من هيُولَى غُيوبٍ

شذا الخلْد يحدوهُ من جنّتين . .

وحشْد الملائك من حوله

يزفُّ التسابيحَ فى موكبَيْنْ . .

وركْبُ النّبيّين . . عطرٌ ، ونورٌ

وريّا صلاةٍ على الجانبيْنْ . .

ويرقَى . . فيفْترُّ عرشُ الإله

وللّذاتِ يُهْرَعُ فى ومضتين . .

إلى قاب قوْسَيْن . . أوْ منه أدْنى

ومِن بيّنه ، لا وجودٌ لبيْنْ ! !

عناقُ المدَى ، وانعتاقُ الصدَى

وفجرٌ يضوّىء للكوْكبين . .

وما زال يحدو السنا فى ثراك

ويُجْريه للرُّوح ، والقبلتَيْنْ . .
ويُصغى لِجَرْس الأذانِ الذَّبيحِ
يبثُّ العتابَ إلى المشرقيْنْ . .
ويهدرُ منْ حشرجاتِ السكونِ
ينادى ! ! وأين الصدى راح ؟ أيْنْ ! !
هنا الله ! ! . . كيف استباحوا حِماهُ ؟
وجاروُا علَى حرَمِ القبلتيْنْ . .
وكيف ؟ وقد حاربوه جِهاراً
وعاقبهُمْ باسمهِ مُرْتَيْنْ !
يعودُونَ ! ! كلُّ الخطايا خُطاهُمْ
وكلهُ الخنا مُترعٌ فى اليديْنْ ! !
ومهما استَبدُّوا . . سيأتى الصَّباحُ
وتنْقَضُّ ثالثة الكرّتيْنْ . .
ويَغْشاهُمُ النارُ من كلّ شبرْ
على الروح يزحفُ والسَّاعديْنْ . .
ومِنْ كلّ صَدْرٍ له نبْضةٌ

منَ العُمْرِ ، تخفق بالشاطئَيْنْ . .

ومِنْ غضبـة الثائـريـن الأبـاةِ

بأرض البحيـرات ، والرَّافِدَيْنْ . .

ومِن لهـب الـرمـل فى كـلِّ وادٍ

صفَاهُ يكبِّـرُ للعَـرْوَتَيـنْ . .

ومهمـا عتا رجْسُهُمْ فى ثـراك

وادناسُهُمْ داستِ الصخـرتـين ؛

ستجتـاحُهُمْ كَـرَّةٌ للسَّمـاء

بهـا النصـرُ دَوّى بتكبيـرتَيْنْ . .

على حـومَةٍ من جبَين العـروبةِ

تُعْـلى اذانَـكَ للْفَـرْقَـدَيْـنْ ! !

١٩٦٨

المسْجِـــدُ الصـابِـــر

[ونلست بقايا التائهين فى مصلى الأنبياء ، ومرقى عروج محمد إلى السماء ، وعاثوا بفجورهم فى ترابه المقدس ، وتهتكت عراياهم على أعتابه ، وهو صابر كظيم . . . فى ذكرى ليلة الأسراء ١٣٨٨ هـ ، ١٩٦٨ م]

لستَ فى عالم القَداساتِ مَسْجِدْ
إنما أنت هالةٌ . من مُحمَّدْ ! !
فيكَ راح النبىُّ للّه يَسجُدْ
قبلَ أن يُرفعَ البناءُ المعرَّدْ . .
والنبيُّون خلفَه فى تهجُّدْ
زُمَراً . . صاحبَتْه من غير موْعِدْ . .
. . . فتلفَّتْ ؛ تجِدْ إباءَ الليالى

كاظمَ الغيْظ ، هاتفاً فى الرمـــالِ :
رغمَ هـذا الـدجَى سيعلـُو اذانُكْ
ويُـدوّى بكـلّ سمْعٍ لسـانُكْ . .
والبُغَـاةُ المسلّطـون الحيَـارى
مثلمَـا جـرّعُوكَ . . يُسْقَوْنَ نـاراً
مِنْ دَمى . . مِنْ دمـاء كـلّ مـوحّدْ ،
عاهـدَ اللهَ فى خُفُـوتِ التّشهُّـدْ ،
ومَضَى فى قيامةِ الثـار ينْشِـدْ . .
. . كبّـروا للجهـاد ، واللهُ اكبـرْ ! !
سيُعين الحمَى ، ويرعَى ، وينصرْ . .
فاكْبِتِ الـدمعَ فى مآقيكَ ، واصبـرْ
. . فى غدٍ . . والسماء حولَكَ تزأرْ . .
سترى اللهَ . . حـادياً فى كفـاحـك
وترى الحق . . داعياً فى صبـاحِك . .
وتـرى فى الأثيـرِ . . من كـلّ مشهدْ
آيةَ النصر ، رفرفَتْ من « محمّدْ » ! !

لستَ في عالم القداسات مسجِدْ
إنما أنتَ . . هالةٌ من محمـد ! !
إن يكُنْ قد طغَى الظلامُ وعرْبَدْ ،
وأقاعيـه ناهشَتْ كـلَّ معْبَدْ ، ،
ومضتْ بالسُّموم تُرغي وتُزْبِدْ . .
إنْ يكُن ليلُها . . تعادَى بشمْسكْ
وفَحيـحُ الفسـادِ أوْدَى بهمْسكْ
وخُطـا المجْرِمينَ عاثَتْ بقُدْسـكْ
وأهالَتْ برجسها طُهْرَ أمْسـكْ ،
لا تُرَعْ . . إنْ رأيتَ خطْوَ الخطيئهْ
ورُؤى الإثم في ذُرَاكَ للضحيئهْ . .
. . . إنـها صيْحَةُ السمـاء لأهْلكْ
ورياحُ النُّشور هبَّتْ . . لأجْلـكْ
وأعاصيرُ تُرْعشُ الهامِـدينـا . .
ومَقادير تُشْعل الخامِـدينـا . .
وتهـزُّ الغفـاة ، والغـافلينـا

وتـــوْزُ الحـــرَاكَ فى الجامـديـنـــــا
وتمْـــشُ الطـريـــقَ للـواقـفـيـنـــــا
وتَضـمُّ الصفـــوفَ للـزَّاحفيـنـــا . .
ليَـــرُدُّوا لِمِنْبَـــرِ اللهِ صَـــوْتَنَـــهْ
ويُبِيـــدوا من صَخْـــرةِ الحـق صَمْتَهْ . .
ويعيـــدوا صَـــدَى الأذانِ للصفَـــدْ ،
فى قِبـــابٍ منِ الأسـى تَـتـنَـهَّـــدْ
وتُنـادى من كـل أُفْـقٍ . . وتَجْـــأرْ . .
. . . كبِّـروا للجهـاد . . واللهُ اكبـــر . .
سيُعِينُ الهُـدَى ، ويَحْمِى ، وينْصـرْ . .
فاكبِتِ الحزْنَ فى لياليكَ . . واصبِـرْ
فى غدٍ . . والسمـاء فوقـكَ تَهْـــدِرْ . .
ستـــرىَ اللهَ . . حـاديـاً فى كفـاحِـــكْ
وتـرَى الحـقَّ . . شـادِياً فى صبَـاحِـكْ
وترَى فى الأثير . . من كلِّ مشهَـــدْ . .
آيـةَ النصـر جلَّجَـلَـتْ من «مُحَمَّدْ» ! !

* * *

لستَ في عالـم القداساتِ مسجدْ
إنما أنتَ . . هالةٌ من «محمدْ» ! !
. . من ثَراكَ الطهـور خفَّ بُـراقٌ
بهَتْكُ الحُجْبَ للسمـاء اشتيـاقُ
فـوقَ طيرٍ أنابَ كُنْهَ الـوجُـودِ
سرُّه . . في الخيالِ والتجْسيدِ . .
كيف يرْقى ! ؟ . . وكيفَ يهفُو جناحٌ ؟
كيف شقَّ الدجى . . وعلَى صباحٌ ؟
ربِّ سبحانكَ . . لجتلَى الغيبَ أمرُكْ
ودنَـا نـورُكَ المصفَّى وسـرُّكْ
يـا لقَدْسِ اللقاء ! . . كلُّ ضياءٍ
شعَّ في الكون دُونَه في الصَّفاء . . .
قبسَ النـور للحيـاةِ . . وشفَّا
لعنـاق الصـلاة بالله . . ائتْـا
فيـه آيـاتُ ربِّه قـد رآهـا
لِسلام الأكْوانِ تُجْرَى سَناها . .

. . . .

ثم عـادَ الضيـاءُ . . للأرض يسـرى
بصـلاةِ الـوجُود . . في كـلّ شِبْرِ !
. . فإذا الشّتـاقَ للمصـلّين بـابُكْ
ولنـور الإسـراء حنّتْ رِحـابُـكْ
ولـذكـرِ المِعْـراج أنّت قبـابُكْ ،
. . فتـلفّتْ . . فمـا يـزَالُ ضيـاؤُهْ
هـاتفـاً في السّمـاء يعلـو نـداؤُهْ :
. . كبّروا للجهـاد . . والله أكبـرْ !
سيُذيب الدُّجَى . . ويَحْمي . . ويَقْهرْ . . .
فاكظِم النّار . . وارقُب الثارَ . . واصبِرْ . .
في غدٍ ! ! والسماء بالهول تَجْـارْ . .
. . سترى اللهَ . . حانياً في كِفاحِـكْ
وتَـرى النـورَ ضافيـا في صـباحِـكْ
وترَى في الفَضَـاء من كـل مَشْهَـدْ
آيةَ النّصرِ . . أقبلَتْ من مُحَمّدْ ! !

وَجِئْتُ أُصَلّي

مع المسجد الأقصى بعد حريق الآثم

٢١ اغسطس سنة ١٩٦٩

وجِئْتُ أصلّي
. . ورَغْمَ انْدِلاع الـثُّجَى ، كالبَراكـين حَـوْلـي ،
ورغمَ الأعاصير تَرْمي خُطاها بسَفْحي وجُرْحـي ،
. . . وساحاتِ هَوْلي ،
اتيْتُ أصلّي !
. . ورَغمَ احْتراقِ الدُّروب !
ونَهْشِ الخُطُـوب ، لِحبّاتِ قَلْبـي ورَمْـلي !
اتيْتُ أصلّي !
. . ورَغْـمَ انْدِفاعِ الذِّئاب ، على كـلِّ بـابٍ ،
بِهِ حسرَةٌ من شرَّايين اهْلي !

. . ورغم الشياطين تغوى بغيظى وشجوى

وبالنار تشوى وتكوى مزامير خطوى

. . ورغم الرزايا . . وتجوالها فى خميلى وايكى

وعشبى ، وسهلى !

وليل المنايا على راحتيها

يزمزم كالجن خلف جنازات ثكلى ؛

نهشت السدود

ودست القيود

وجزت للدود . . وجئت اصلى ! !

. . وجئت اصلى ،

وفجرت ذاتى لهيباً جديداً ،

يمزق اغلال رقى ، وذلى . .

وما كنت عبداً

ولا نقت قيداً

ولكن صوتاً خفياً ، من الله يملى ! !

إذا حدت عنه ، تردى صباحى بليلى !

. . فلمّا تباعدتُ عنه ،

دَهانى باشلاء حبّى !

وافرَى بىَ النّارَ ،

حتّى رماها بوَجْهى . . وقد جئتُ يومها اصلّى !!

لأحيا . . جديدَ الحياة ، جديدَ الصّلاة ، جديدَ التّجلّى

اراهُ بقلبى ، اراهُ بدربى

اراهُ بكلّ المدارات حوْلى . .

. . ورغْمَ الظّلام الذى نُفْتُهُ من شرُودى وميْلى ،

نَفَضْتُ الدُّجَى عن وجودى ومزّقْتُ ويْلى !

وكبّرْتُ فيْ . . قلبى يكبّرُ

قبلَ اخْتلاجاتِ قوْلى :

وجئتُ لهُ فوقَ نارى . . ومنْ كلّ نارى . .

اصلّى !!

وجئتُ إلى أوّلَةِ القبْلتيْن

وبيْتِ السماء الّتى ضمّتِ النّورَ بالسّاعدَيْنْ

وبيْتِ الضيـــاء الّذى رشّـه اللهُ بالـرّاحتَيْنْ

ضياء ، وعطراً ،
وقدساً ، وطهراً ،
ووحياً يُسبّحُ في آيتين
. . وجئتُ ،
وجاء بجنبيَّ صوتُ الأذانْ
مع الصّمْت يصرخُ : أينَ الأذانْ ؟
وجاءتْ بكفّيَّ تكْبيرتانْ
هُمَا رحمةُ الله في كلّ آن . .
وجاءتْ معي ركْعتَانِ ، وجاءتْ معي سَجْدتان
وإيماءتانِ إلى اللهِ مَشْدُودتَانْ
بجفْنَين للنُّورِ فوْقَ المعارجِ تَسْتَطْلعـــانْ . . .
. . . وجاءتْ مَعي لَيْلَةٌ
عانقتْ بها سدْرَةَ العرْشِ تَسْبيحَتانْ
بها اللهُ سلّمَ . . .
. . لا كَفّ تَهْدو ، ولا طيْفَ شيء يُسمّى بنانْ !
وجبريلُ حادٍ لمسروجةٍ

تَقاصرَ عنها خيالُ الزَّمانْ !

ونُورٌ يُنادِى . . .

ونُورٌ يلبّى . .

ونُورٌ يعانقُهُ المشرِقانْ !

ومنْ قابِ قَوْسَينِ

راحَتْ تُضىء ، جَبينَ السَّما هالَتَانْ !

وكادَ الذى لا تَراهُ العُيونُ ،

يَراه «محمّدُهُ رُؤيَا عَيَانْ !!

. . . وجاءتْ معى من يدِ الأنبياء

مَصابيحُ مبهورةٌ فى الضِّياءْ

. . وجاءتْ حُروفُ الهدَى ، تَستَجيرُ

وتلْعَنُ منْ مَسَّ قُدْسَ البِناءْ !

. . وجاءتْ خُطا «عُمَرٍ»

والوجودُ على سيْفِها مُسْتَطيرُ المضاءْ

. . وجاءتْ تُزَمجِرُ دنْيا «صلاَحٍ»

وتَعْصِفُ مشدوهَةً فى إباءْ

. . وجاءتْ لجـالُوتَ عيـنٌ تطِـلُّ

وتَزْورُّ من هوْل هذا اللّقاء . . .

. . . اثنيْنـا جميعـاً نصلّى . . .

وما كاد يُفْتَحُ للنُّـور بـــابْ .

ويُومِض للخَطْو حُزْنُ التُّرابْ . .

وَقفْنا . . وكانَتْ خُطانا تُشَلُّ بأعتابِهِ !

وكانَتْ رؤانـا تُغَلُّ على بابِهِ !

وكنّا نُحِسُّ . .

بأنّا بأرضٍ ضللْنا إليها طريقَ الصّلاةْ

وأنّا اتّجَهنا إلى ساحةٍ

لهاَ نَسَبٌ بفجورِ العُصاةْ

وحاشاَ . . وحاشاَ . . لبيْتِ الإلهْ !

. . . وَجدْنا الصلاةَ . . بغايا من الشّرّ ترقص فوْقَ الحريقْ

وَجدْنا الأذانْ . .

شياطينَ لغْوٍ . . تَهاتَرُ بالإثْمِ عبْرض الطّريقْ

وجدْنا المصلّى . .

مَيادينَ لهْوٍ ، تَخاصَرَ فيها الْخَنَا والفُسوقْ
وَجدْنا الحمَامَ الذى كانَ يُصْغِى
لصَوْتِ الْحَواميم يخْضرُّ منه السكونُ العريقْ ،
. . ويهدِلُ بالطُّهْرِ نَشْوانَ
يشْرَبُ من كلِّ حرْفٍ ، خُشوعَ الرَّحيقْ ! !
ذبيحَ الأمانِ
جَريحَ المكانِ
يُوَلْوِلُ فى صمْتِهِ لا يُفيقْ ! !
. . وجدْنا الْترابَ الذى فيه صَـلَّى . . «محمدْ»
حريقاً . . به لعنةُ اللهِ تُرْغى ، وتُزْبِدْ ! !
. . وجدْنا المنابرَ . .
تَحكِى مَجازِرَ للطُّهْرِ مَخْنُوقةً فى العُروقْ
. . وَجدْنا على صَخْرَةِ الحقِّ
. . ليْلاً . . يُنادِى الشُّروقْ
ونارا . . تَشُدُّ يدَ النُّورِ
مِنْ قاعِ ليْلٍ عَميقْ
وَصَوتاً من اللهِ . . .
يزَارُ فى كلِّ رُكْنٍ عَتيقْ :

ولَوْ هَدَّمَتْ كلُّ تلك القبابْ !
وباتَتْ مآذنُها
أذْرُعاً لطُغاةِ الخرابْ !
سَنَمْضي لِحْرابها القُدْسِ جَمْعاً نُصلّي
ولوْ غالَنا الموْتُ . . لمْ يبْقَ انْفاسَ شيْخٍ وطفْلِ !
مِنَ الدَّمِّ ، والعظْـمِ نُعْلـي ذُراهـا
مِنَ الرُّوحِ نُرْجِع للأفقِ أعتى نِداها . .
بيَوْمٍ . . سيزْحفُ بالقادسيّـهْ
وبالغضَبِ الحرِّ في كلِّ نفْسٍ أبيّهْ
وبالنّارِ . . . وهْوَ الصـلاة الزّكيّهْ
وصوْتُ الإلهِ إلى كلِّ روحٍ تقيّـهْ
بها يُعْجِلُ النّصرَ . . جمْعُ الصُّفوفْ
وإصْرارُها . . في صُمُود الوُقوفْ
فَهَيّا . . إلى النّارِ . . من كلِّ سَفْحٍ وسَهْلِ
وهيّا . . وهيّا . .
إلى المسجِدِ القُدْسِ . . . . جَمْعاً نصلّي ! !

بنتُ المُعِزّ

«ترنيمةٌ للقاهرة . .

في ذكرى ألف عام . .»

واستيقظَتْ . .

ورشّت الفجر على جَبينها

وكَبّرَتْ . .

وكحّلتْ بنُورِهِ عيُونَهـا !

. . وضفّرت شعورها ، بالشمس والنخيلِ

ووشّحَتْ ستُورهـا ، من ذَهَب الأصيـلِ

واوْمأتْ . .

والدهْرُ من قبابهـا يكبّرُ !

وموكب الدنيا على أعتابها . . و«جَوْهَرُ»

وكلّمتْ تاريخَها . .

يا قاهرةَ الغُزاةْ ! !

يا ساكبَ الضياء منْ يدىّ للحياه ! . .

على ضفافى الخُضْرِ ما تزالْ

رايـاتُ «عَمْرٍو» تَقْهـرُ الـزوالْ

وتتحـــدّى الليـــلَ بالمـــآذنِ

وبالضحَى السابح فى المدائن

فاسمعْ خطا مجدى . . وقل للأعصر الدائره

تفنّى الليالى . . وأنا القاهرةُ . . القاهرَهْ !

• • •

بنتُ المعزّ . .

وأنا العزّةُ للماضِى وللمستقْبَلِ

على تـــرابى من قـــديـــــم

نوّر الـدنيا ضيـــاءُ مِشْعَـلى

وقمتُ للإسلام

حصناً صامدا بروحه للأزلِ
رنّتْ به منابرى . . وشعَّ فيه هيكلى
ولم ازَلْ لقبلةِ الأحرار اعتَى مَوْئِلِ . .

* * *

مهما سرَتْ فى قبّتى . .
او وقفَتْ غيْمه !
او اسبلَتْ اجفانَها . .
فى ربْوَتى نجمهْ !
اوْ ردّدتْ انفاسَها . .
فى جبّهتى ظُلْمَه !
فمثلما صدَّ الغروبُ الشمس عن سمائيا
لابدَّ للشُروقِ أنْ يردَّ شمسِى . . ثانيا
يا كمْ ظلامٍ مرَّ وانجابَ . .
وارضى صابرهْ ! !
حتى أضاء النصر ايامى . .
وعدْتُ القاهره ! !

* * *

بنتَ المعزّ ! !

ذلّ من عاداكِ

ومَـن رمَـى بفَـذْره ضَحُـــاكِ

مهما عتا . . فالنصر فى سمَاك

وانت انت الظافرْه

وانتِ انتِ القاهرْه ! !

١٩٦٩

مِصـــر ! ! أنشـــودةُ الدُنيَـــا

نادَاكِ مجدُكِ فاستَجِيبِي !
وامْشِي لـه فوقَ اللَّهِيبِ !
وتجَشَّمِي لِعُلاهُ نيرانَ الشَّدائِدِ والخطُـوب
وَثِبِي لـه ايْـان شَـــاءَ ،
ولـو على كَبِدِ الغُيُـــوبِ
صفّاً منَ الأبطـال يَـــزْ
حَفُّ تحتَ الوِيَـةِ الْقلوبِ
نَشْوَان يهْـزأ بالْمَنايـــا
الحُمْرِ فى اليوم العَصِيبِ
ويـــزْلْـــزلُ الأيْـــامَ إنْ
لقِيتْـــهُ عاديةَ الكُروبِ . .

هبّى كعاصفةِ الرياح

وثـورةِ البحـرِ الغضـوبِ

يا «مصر» قد دوّى النفير على ضفافك فاستجيبى

واستنهضى النوّام فى

زمن التحفز والوثوبِ

زمنٍ نرى الدنيا بـه

سبّاحـةً بدمٍ صبيبِ

والدهر مثلُ سريرةٍ

نـامتْ باعباءِ الذنوبِ

غشّتْ على أرجائها

ظلم التشكك والريوبِ

والشرُّ ، والقلقُ المفزّ

عُ ، للمضاجع والجنوبِ !

والأرض مثلُ سفينةٍ

رعناءَ فى يمّ قطوب

حيْرَى تضلّلها الرّيـــا

ح عن المسالك والـــدُّروبِ

فى الشرق ، فى الغرب المُرَوّ

ح ، فى الشّمال ، وفى الجَنوب

ليْلٌ تـرصّد أفقَهـا الـــدا

جِى بـإعصـــارٍ رهـيب

وَردى يقـولُ لهـا ائْمُثِ فـأقبِلى عنـدى وتُـوبى

هاتِى الدّم المسفُوكَ منكِ واتْرعى قَـدَحى وكُوبى !

فمضَـتْ تخبّـط فى القتـ

ـام بحيْـرةِ الطفـل الغـريب

رُبّانُها «عِزْرِيل» فانظر هَوْلَ مصْرَعها العجِيبِ !

* * *

يا «مصرُ» حـولك مِـرْجَلُ الآ

فـاقِ مضطـرمُ الشّبُـوبِ

ريـحُ الحُروبِ عليّه فى الـدنيـا مجلّجلةُ الهبـوب

مَعْتُوهةُ الخُطواتِ تَعْصِفُ بالخصيبِ وبالجـديبِ

هبّتْ وشمسُ العصرِ فى سِرْبالِ بَهْجتها القشيبِ
فإذا بها الشـــلاءُ ليلٌ فاجِـــعُ الـــرُّؤيا كئيـــب
حفرتْ لهُ قبرَ الحضـــا
رةِ فتنـــةُ العقلِ الـمـريـــبِ ! !
يا «مصرُ» يا أنشودةَ الـد
نيـــاوأغنيـــةَ الشُّعـــــوبِ
يـــا أمَّ أبطـــال الفُنـــــو
نِ ، وأمَّ أبطـــال الحُـــــروب
يا أرْغُنَ التّاريـخ ، يا نغمـــاً من السحْـرِ المَهيب
يـــا جنّـــة تهْتَـــزُّ بـــالا
سْـــرارِ بيْنَ شـــذًى وطيـــبِ
من كـلِّ مُعْجزةٍ ينُـــوءُ
بـــوَحْيِهـــا قلَـمُ الغيُـــوبِ
وتَميل عنهـــا حِكْمةُ الكُهّانِ شلاّءَ الـــذّبيب . . .
والسّحْرُ تفْزعُهُ طلاسمُها فيمْعِـــنُ فى الهُـــروب
والشمسُ تَخْشعُ فى ثرَا
ها فى الشُّـــروق وفى الغُـــرُوبِ

أثارُ قـومٍ انحلّوا الـــــدُّ

نيـا ، بفتّهـمُ العجيـــــبِ

وبمـا أقـامـوا من ظِـــلاَ

لِ المَجد والخُلْدِ الرَّحيـــــبِ

وبمـــا بنَـــوْا للنّيـــلِ من

عِزٍّ بمَـــوْجَتِـــهِ خَصيـــــبِ .

النّيلُ : مِـــرآةُ النُّجُـــــو

مِ وكهْفُ عالَمِها الـــرَّهيـبِ !

بل قِصّةُ الشمس الّتى تَسْلُو بها شجَنَ المَشيبِ

وتُذيبُ أحزانَ الأشعّةُ فوْقها عِندَ المَغيـبِ . . .

وقصيدةُ الشرقِ المعطّرَةُ المُطَهّرَةُ الطّيـــوبِ

جمعَـتْ على انغـامهـــــا

شتـــتَّ منّى واسى قُلـــوبِ

وتنفّسَتْ بالحبِّ بيْن شذَى رُبى ، وهوَى شعُوبِ

النّيلُ ! غاب الفاتحين الصّيدِ غيلانِ الحُـروبِ !

يا خيْل « رمسيس » اصْهَلى

وبجَيْشِـك الْعـاتى اهيبِـــــى

قُومي اذكُري أهْوال جنْدِكِ فوق نيران السهُوب . .

فاليوْمَ يومُك يا حديـــد

ويومُ فُرسان اللّهيـــب

يومُ الجبالِ الزّاحفـــاتِ

من النّايا والكـــروب

يومٌ جهنّمُ لوْ رأتْهُ لراعَها هولُ الوجيـــب . . .

فقفي لهُ يا «مِصْر» واصْطرعي بأرْزاء الخُطوب

ضُمّي يديْكِ على الجِراح

والْقي بْـين القُلـــوب . !

وامْشي على الباساء سـاً

خِرةً بأهْـــوال الحُـــروب .

يا كعبـــة الأحـــرار ، رنّ

هُتافُ شـــاعرِكِ الطّـــروبِ

ودعاكِ مجْدك فاستجيبي

وامشي لـهُ فـــوق اللّهيـــب

«يا مصر» يا انشودة الدُنيا وأغنية الشُعوبِ ! !

أغنية للنيل

حيّاك قلب الوجود يا فتنة الكون
يا «نيلُ» يا ابن الخلود يا خمرِ «فرعون» !
يا قصةً في الديار تروي حديث الزمن
تلقى نشيد الفخار في سمع هذا الوطن !

• • •

شيّبْتَ عمرَ الزمان وأنتَ فجرٌ جميل
سكرانُ تلقى الحنان والحبُّ تحت النخيل !

• • •

البيضُ أهلُ الشمال خرّوا على بابِكْ
والسُّمْرُ خلفَ الجبال صلّوا لأمواجِكْ !

• • •

من عهدِ «خوفو» القديمْ ... وأنتَ راعى الـذِّمَـمْ
تُجْرِى لِمِصْرَ النَّعِيـمْ ... مِنْ عالياتِ القِمَـمْ !

* * *

يا مـا رأيتُ السَّفِيـنْ ... فى لُجِّكَ الهَـادى
بَيْنَ الهوَى والحنيـنْ ... تُصْغِى لإنشـادى !!

* * *

والشمسُ عندَ الأصيـلْ ... حولَ الصَّبايا الحسانْ
حـوريَّةٌ فى الحقُـولْ ... تبكى فراقَ الجِنـانْ . .

* * *

قُلْ مـرةً للشَّبـابْ ... إنْ جاء يَشْكُو إليْـكْ :
اصْخَبْ كَهـذا العُبـابْ ... واملأ بسحْرى يَدَيْكْ .

* * *

حيَّاكَ قلـبُ الـوجـودْ ... يا مَهْجَـةَ الـوادى
يا نيلُ . . يا ابنَ الخلُودْ ... يا مَهْدَ أجـدادى . .

* * *

يا موكباً من جَمَـالْ ... يَسْـرى على الكَـوْنِ
يا صَفْحةً فى الرِّمَـالْ ... من سيْفِ «فِرْعَوْنِ» . .

أَحْـــرَارُ الجَـنُـــوب

[في لقاء أخوة من أبناء السودان الشقيق]

نزلُوا الشَّمالَ . . فهيَّجُوهُ غـرامـــا
وسرَوْا ، فخفَّ لهم هوًى وسلاما . .
هتـف الضحىَ بلقائهـم ، ورأيتُـــه
لهُـم يزفُّ صبابـــة ، وهيـامـــا . .
ورأيْتُ مَوْجَ النيـل حـول خُطـاهُمْ
يَهَبُ العطور ، ويسكـب الأحـــلاما
وتكاد أهرام الخلـود . . وصمْتُهـــا
ماتعلمـون . . لهـم تبثُّ كلامـــا :
أهلاً حبيب النيل ! لسـت جنوبَـــةُ
بـل جنّبَـــه المتَهَـجّدَ القـوّامـــــا

عشقتك سمرة مائسه ، فرايتها
تخذت جبينك معبدا بسّاما
وعشقت أنت رحيقها ، فشربته
لهبا أحالك في يديه حُساما . .
وحسوتَه بيدٍ ، إذا احتدم اللظى
تركتْ حديدَ القيد فيه حطاما . .
ووقفتَ . . إن لم يمض سيفك ، هذه
اخواتُ سيفك أصبحت أنلاما
من غابر الدنيا ، وكان زمانها
حبْواً . . وخبطاً في الدجى ، وخصاما . .
كنّا هنا اخوين ، بل قبسَين ، بل
فلكين عنهما الوجود إمام
لا مصر . . لا سودان ، بل نَهْرٌ جرى
وعليه أحلام العلا تتسامى
وعليه شعبٌ راح في جنّاته
يبني الحضارة سنّةً ودعاما

سيَّان حلَّ على جَنوب ضفافه
أو في جبين شمالهنَّ أقاما
هو نهرُهُ ، بل عمرُهُ ، بلْ سحْرُهُ
سكَن الربى ، وتغلْغل الأنسامـا
فعلام حيَّرُهم ، وشقَّ عصيَّهم
في حقه ، وتوزع الأفهاما . . .
إنْ كان هذا شرْعُ كلِّ سياسةٍ
فعلام لم يتقسَّموا الأجراما !
وعليه شعْبٌ منذ ما عُرف الهوى
والنيل يعزف حبه أنغاما
فانٍ على مُهَج العصور . . مشتْ به
دنيا ، وقُدْساً للحمَى وذماما
يا نيلُ . . نسيْت القرون شبابَها
بخطًى تسوق السحْر والإلهاما
وصهَرْت اغلال السنين بجذوة
تركَتْ قيود الغاصبين حُطاما . .

هـذا صـــدى الأحـــرار فـوقك غنّوةٌ

تُشْجِي الضِّفاف ، وترعش الأجراما .

حَدِيثُ الذُّنُوب

ومرَّت ذنوبي . . على توبة
من الله ، أدعو لقاها بقلبي . .
منوِّرة في ظلام الوجود
تضيء الطريق لغفران ذنبي . .
وقالت : ندمتُ وما عدت يوما
إلى أي ذنب أمدُّ اليمين . .
فردَّت عليها : وبعد الندامة
جددت كأسكِ في الخاطئين ! !
بسطتُ لك العفو في كل أفق
به تندمين ، وتستغفرين . .

واقبلتِ كي تبصري لحظة
بها عن معاصيك . . قد تخجلين . .
ولكن أمارة السوء نادت
فطرتِ إلى صوتها ترقصين . . .
فكيف أمد إليك اليمين ،
وأنتِ بهمس الدعا تكذبين ؟
. . جهلتِ الطريق . . إلى عفو ربّي ! !

* * *

ونادى المنادى : جميع الذنوب
بيد الله تغفرها . . ما تشاء . .
ورحمتُه وسعَتْ كلَّ شيء
ولو ملأ الإثم قلب الفضاء . .
فأسرفتِ ! . . لا توبة ترتجين ،
ولا تتركين لعفوٍ رجاء !
وعاندتِ ربك حتى شربتِ
رحيق الخطايا ، بكف الدعاء . .

فلا تعجبي إن رأيتِ السمـــاء
حوالُيك تحجب نـور الـرجـاء
فان شئتِ قُربى . . فعهد أمين
مع اللّه يسقيك نـور اليقـين !
ويأتيكِ قبل الـدعا عَفْوُ ربى !

صـــلاة . .

وقفت طويلاً على سُدَّتِكْ
انادى ربِّى النور فى سِدْرَتِكْ . .
كأنّى سبّابةٌ ،أو مآتْ
بغيْب المصلّى إلى كعبتكْ . .
انادى . . واجار . . فى حَوْمةٍ
من الصمت ، تهدرُ فى حضرتِكْ . .
وانشقُّ ناثين . . ناثاً تنوحُ
واخرى تسبّح من خشْيَتكْ . .
وكلتاهُما من رياح الضمير
صدًى ذائب فى صدَى موجَتِكْ . .

تصيحان ، من غير ذكْرٍ ، ولا
صـلاة تـؤوْبُ ، فى خيْمَتـكْ . . .
. إجِرْنَى يا ربُّ . . من كـل شىءٍ
يصـدُّ طـريقى إلى ومضتِـكْ . .
منِ الليل . . يَسحقُ فيـه الظـلامُ
خُطَايَ الضريراتِ ، عن نظرتِكْ . .
من النور . . يفضَحُ سـرَّ الطـريق
إذا جئـت اشـربُ من كـرْمَتِك . .
من الفجر . . يفهَقُ منه الضيـاء ،
فـيُغـرق دنيـاىَ فى هالَتِـك . .
من الخطـو .. يُـوغِلُ طىَّ الـدرُوبِ
وينسَى اتجـاهى إلى سـاحتِكْ . .
من الشـدْو . . اعصـره للجَمَـالِ
وانسـاب هيمـانَ فى نشـوَتِكْ .
من الحـب . . تصهـرنى نـاره
رمـاداً شقـيـا على ضفَّتِـكْ . .

من القلق السابح المستطير
على زورقٍ ناب في لُجّتكْ . .
من الطُهر . . يغرف مني العبيرَ
عنابا ، يَضوع لَدَى جنّتِكْ . .
من الإثم . . طيرٌ شجيُّ المتابِ
يغنّي ، ويَتّدسُّ في رحمتِكْ .
من النفْس . . تورقُ عند الدعاءِ
ويقطفُها العقل من ساحتِكْ . .
من العقل . . يحملُ نعش الضميرِ
ويهربُ خزيانَ من سكّتِكْ . .
من الناسِ . . ما أنا فيهم سوَى
رؤى عابدٍ ضنّ عن آيتِكْ . .
اجِرْني . . فما زلتُ في كل شيءٍ
صدًى كبّلتْه رؤى لحيتِكْ . .
وما زال وَجهيَ خلف الضبابِ
هَوًى يَستشفُّ سنا راحَتِكْ . .

يَمُـدُّ إليك انعتـاق الضميـرِ
فيـرتـدُّ كالوهـم عن رؤيتـكْ . .
ويـدعوك . . وهو كفيف الندامـة
حيران . . يصـرخ من وهْلَتِـكْ :
اجِرْنى ؟ !
فمـالى يَـد . . فى الَّـذى
سقانى خطا التيهِ . فى طـاعتِكْ

أمـــان الـلّـــه

أمانَ الله . . يا قلبى !

أمان الله . . يا حبّى !

أمان الله . . يا ربىّ ! أمان الله . .

• • •

امـــانَ الله لا تطفـىء صبـابـاتـى

فنارى لم تزل فى مُهْجَتى تضرَعْ . .

ولا تَحجُبْ عن الأنـــوار ليّـــلاتى

وخلّ الشـوْقَ من انفاسهـا يسطَعْ . .

وقل للطير : جدّدْ نشـوةَ الألحـانْ !

وقل للزهر : عطّرْ وحشة البستانْ !

وكبرْ . . للذى خشعت له الأكوانْ ! !

ولانت حَيْرة القلبِ ! ! . .

تنادى رَبَّها : ربّى . . لمان اللهِ

لمان الله ، نَوِّرْ كل ساعاتى . .

وهبْ للفجر مِن ظلمائها مَطْلَعْ ! !

• • •

لمانَ اللهِ . . يا قلبى بِكُلِّ لسانْ

لمانَ اللهِ . . يا حبّى . . بكل جَنانْ

لمانَ اللهِ . . مادامت ضراعاتى

إليك لسرِّها ووُجودها تركَعْ .

وما دامت لصوت الله راحاتى

بكل دعائها ، ورجائها . . . تَسْمَعْ .

. . ستُورِقُ فى دمى ، وتفتّح الأغصانْ

وتُشرق فى فمى ، وتغرِّدُ الألحانْ

وتَرجعُ بَسْمتى لطريقىَ الحيّرانْ . .

بحقِّ عُلاكَ يا ربّى

سألقَى النورَ فى دربى

ويَهتف دائما قلبى

. . . أمانَ الله . . تملأ كلَّ ساحاتى

وفى محرابها بحقيقتى اخْشَعْ

أمانَ الله يا قلبى . . أمان الله ! !

أمانَ الله يا ربى . . أمان الله ! !

١٩٦٩

مُـوسِـيـقـى الـوداع الأخِـيـر !!

د. . مع انسِلال الروح من جِلْد التراب ، .

فى لحظة احتضار حزيـن . . .

. . إلى روح ، د . غنيمـى هـلال ! !

ماذا وراء النَّفَس المقْطُوع ، من اغصانه الآفلة ،

النَّاكلة الْحَفيف . . بيْن الحنجرةْ ؟

ماذا وراء الزَّفْرة المَطْرودة الكِيان ، والزَّمان ،

مِن وُجودها المَخْدوع . . حول الجَمْرَةْ ؟

ماذا وراء النَّظْرة الموءودة الشُّعاع ، والوداع . .

. . . فى اجفانها المُشْدُوهة المُسَمَّرةْ ؟

ماذا وراء اللحظة السارقَة ، المسروقة الرَّنين .

. . . مِنْ دقَّاتها المُنْدحِرةْ ؟

ماذا وراء الرَّعشة الخرْساء ، والفلس بكفّ الغيب ..

. . . تهْوى فوق جذْع الشّجرةْ ؟ ،

والرّيح لا تمَسُّ طيفاً ، فيه وهمٌ ذرّةْ . .

. . ناظرةٌ لأختها المُنْتَظرةْ ؟

تقطّعتْ بالزّوْرق الحبالْ !

وابلسَتْ مرافىءُ الزّوالْ !

واغلست مسارب الخيال !

وانسحب الضوْء ، من السّراج الضّارع المهزُوم

وانْسرَبَ الوجودُ ، كاللصّ ، إلى رَمادِهِ المُحتُومْ

واقفرَتْ ! ! لم يبْق حتّى حلْم عودٍ فى رقات ثمرةْ

ولافتات بذْرةٍ حمْقاءَ . . يهْوَى غصنها ان يَستردَّ زَهرهْ !

ولا مَسارُ دعوةٍ لخيرةٍ ، إلى سماءْ

ولا مَدارُ حيرةٍ ضريرة ، إلى رجاء

ولا جؤار عتْمةٍ مقهورةٍ ، إلى ضياءْ

ربّاهُ . . ويلُ ساعةٍ انفامُها فى نايها مكرّرهْ . .

تجيء ، ثم تختفي . . . ثم تعودُ فوق سرّ . .

. . لستُ أدري خَبَرَهْ ! !

• • •

سكينةٌ تنفضُ ؟ امْ سكينةٌ تنقضُ ؟ . .

. . . امْ إعصارٌ صمتٍ ؟ ام شظايا مقبرهْ !

. . . ام وَدَعُ العرّافِ ، يُنهي غيبُهُ من دَربه ما قدّرهْ ! !

. . . ام انها صائدةٌ ، مقهورة ، مسيّرهْ ؟

. . . ترمي بما يَقْضيهِ مَنْ شدَّ علَيها وترَهْ ؟

والسهْمُ . . والقوسُ . ونبضُ الدّمْ في الخليّةِ ،

اشلاء وَهْمٍ . . في يَدٍ مَشلولةٍ . . عتيّةٍ .

وطيْفُ حلمٍ مُوصدٍ . . في قبضةٍ خفيّةٍ .

. . . وحيرةٌ مبْصِرةٌ ، في حيرةٍ ضريرةٍ

تَدْهسُ ضوْء الروح في السريرةِ . .

بدون أيّ رَحْمَةٍ ، او انتظارِ رحمةٍ

وفي ذُهولِ لَحظةٍ ، ضارعةٍ في لحظةٍ !

. . . تُحيل كلّ ما يضيءُ في الحياةِ ، ظلمةً مدثّرهْ !

. . رباه ! ! اهْيَ نشوةٌ عند اللقاء مسكرةٌ ؟

ام انها عند الرّحيلِ . .

. . . – لا للّتْ راحتاهُ – مَجْزَرَهْ ! ! !

• • •

من اجل هذا . .

. . اكره الإيماءَ ، لا ندهاشةِ الجنائزِ

واكرَهُ الإصغاءَ للدُّموع . . مَهْما حوَّمتْ غرائزى

واكْرَهُ الإفْضاءَ بالأحزانِ . . مهْما خيَّمتْ جِراحها

لِشَمْسى ! !

واكْرَهُ الرثاءَ ، والبكاءَ . . . حتى لو رأيتُ نَعْشى ! !

لكننى اشتاق انْ ابُوحَ بارتعاشة الضَّوْء

إذا رأيتُهُ نعسانْ

وانْ اشدَّ مِزْهَرى لِفَجْرِهِ المكبّل الظّمآنْ

. . مَهْما لَوَى الظّلام وجْهَ عاشقٍ . .

عن كُلِّ نورٍ فَجْرَهْ . .

ودَوْخَ النّسانَ . . حقْدُ كارهٍ لضوْئِهِ ،

انْ يَتْكُرَهْ . .

اشتاقُ أن أقولَ . . .

. . . كانَ موْجةً صوُفيَّةَ الهديرْ

تَرُشُّ كلَّ تلعةٍ جاهلةٍ . . من فيّضها ، وفيّضها الغزيرْ

وكان شوْقَ لجّةٍ ، تعشق أنْ تُعانق الغديرْ

وكان وجْهَ عاصفٍ مزنّرٍ بالموْتِ ، والنشُورْ

. . لَحْدًا لكلّ ظلّمةٍ

. . سدًّا لكلّ رْجعةٍ ، مدًا لكُلّ نورْ

وكانَ فأسَ حاطبٍ

. . وكان كأسَ شاربٍ

. . . وكان لمحَ سارِبٍ في تَوْهةِ العبُّورْ

وكانَ درْبَ سابلٍ

. . وكان حرْبَ جاهلٍ

. . وكان سكْبَ يقظةٍ ونُورْ

وكانَ في انْطوائه ،

. . . وكان في انتمائه ،

تَوهُّجاً ، يَدُورْ

وكان فوْحَ عشْبةٍ

. . نديانةٍ فى ربْوَةٍ

. . ابيةٍ مستَتِرَهْ

مرّتْ عليها الرّيحُ . . ما أفنَتْ عبيراً . . بثّه ، ونشَرَهْ

واحتدَمَتْ من حولِه كىْ تَسهَرَهْ

وتَخفّتْ الإشْراقَ ، والإيراق . فى كلّ ضياءٍ بذَرَهْ

. . . لكنها مقهورةٌ منتصرهْ ! !

دسّتْ له الأشواكَ فى كلّ طريق عَبرَهْ . .

فدَاس ، ثمّ داس . .

. . حتى او غلّتْ فى كبْده لتَعْصرهْ

واقبل للقُدُورْ

فى مهده يدورْ

يُطفِىءُ السُّطُوعَ والشُّموعَ فى يديْه

ويخطف الصّفاءَ ، والضّياءَ من عيْنيْهِ

فلمْ يجِدْ فيْئاً من السُّكون والأمـان ،

يحْميه من ضراوة الأحقاد فى الإنسانْ

إلا الغُروبَ . . عنْد هذه الأكْفانْ ! !

١٩٦٨

سُفني أقلعتْ

فلا تسألوني ، في دروب العُباب : أيْان تمْضي ؟
مثلما تشهقُ الدُّموعُ دعوني ،
أذرف السرَّ من بقيّات وَمْضي
لا فراقٌ ، ولا وداعٌ!
ولكنْ رحلةٌ ، من ضفاف بعضي لبعْضي !
لا شراعٌ ، ولا سفينٌ !
ولكن زورقٌ ، من سماء روحي لأرضي !
أطلقتْهُ الأحزانُ من كل شطٍّ
زائراً ، يوقظ اللهيب ويُغضي
ويذيق الرمادَ إشراقة الروح . .
ويستلُّ ناره ، ثم يـغْضي . .

كافرٌ بالوقوف ، يصلّب دَرْبى فى مسيرى ،
وسَجْدتى فوق رفْضى . . !
انا ملأحُهُ ، وحادى خُطاهُ
وانا موْجه ، وعاتى دُجاهُ
وانا فجرُ حلْمِه . وكراهُ
وانا يقظةٌ حداها ، هَواهُ
فاتركونى . . .
كما تغنّتْ رُؤاه ، أتغنىّ بسِرّه . .
. . ثم امْضى ! !
سفُنى اقلَعَتْ . . وما كنت فيها
إنما كان سبّحُها فى عروقى . .
تصخُر الموْجَ ، وهو قلبى ،
وتجتاح زَئير الرّياحَ ، وهو طريقى . .
وتشقُّ العبابَ هاتكةَ الحُجْبِ ،
لرَعْدى ، وعصْفَتى ، وبُروقى . .
سئمتْ من وقوفها فى الكرَى الّداجى ،
فخاضتْ بالرُّوح غيْب الشروقِ . .

تنفُضُ الأمسَ من شراعٍ عليها ،
ملَّ تهويمةَ الضّياء العتيقِ . .
وتنادى الغدَ البعيدَ ،
ولو كانَ بأزاهِ ذبيحَ السُّموقِ !
انظروها تميدُ فى لُجّها النّشوانِ ،
سكرَى ، تجتَرُّ وهْمَ الرحيقِ . .
نظرَتْ ! ! ثم اطرقتْ ! ! ثم سارَتْ ! !
مثلِما انْهارَ عاصفٌ فى حريقِ . .
حُرّةً . . لا تريدُ شطّا . .
ولا تنشدُ برّا . يريد وادَ الخفُوقِ . .
ادهلَتْها جنائزُ الموْجِ . .
فارتدّت . . . . وقالت لكأسها : لا تُفيقى
وامْخُرى فى الرفاتِ ، واللوت ،
واسقِى ثاكلاتِ الرياح ، نوْحَ الغريقِ ! !
سفُنى اقلعَتْ . .
وكنتُ وداعاً ولقاءً لها ، بغمْضة عـينِ . .
وفضاءً يمتدُّ منها

فَيسقى نارها ما تشاء من نار كَوْنى . .
حملتْ غَضَّةَ الإباء ، وعَضَّ العارِ ،
واللَّغْوَ مِنْ صداىَ المُرِنّ . .
ثم سارتْ ، ولستُ فيها ،
ولكنْ . . كلُّ ما فى كيانها فرٌّ منّى . .
فَرّ من وجهى الّذى فرّ منه
طائرى . . وانحنى إلى الترب غصنى . .
فَرّ من سَمْعِىَ الذى كان ناياً
لصلاةِ الضّحى بمحراب فنّى
فَرّ من ذاتى الّتى . .
آه . . لَنْ تَرْجِعَ ذاتى ،
إنْ لم يَرْعَ اللهُ سِفْنى ! !

* * *

الديـــوان
العاشـــر

هديـــر البرزخ

هـــديـــــر البـــــرزخ

سأشدو . . .

ويشدو معي ،

طائرٌ من الغيب تصغى إليه الدهور

• سأشدو لكُم . .

وأُشعلُ بالناى أشواقَكُمْ

وأعصر فى الشدوِ أيامَكُم . .

• وأمتصُّ منكُم رَمادَ الظلامِ ،

وأسقيه نوراً لأحلامِكُم . . .

• وأعزِف ما عِشتُ لِلحائرينَ ،

وللواقفينَ على بابِكُم . . .

يَعدُّون فى الليل أنفاسَهم

ويعوونَ والريحُ تصفى لهمْ . .

وصمتُ الدروب يُغنى بهمْ . .

وتسمعهُم صلواتُ السكون

* كما يسمع العقلُ صوتَ الجفونْ . .

وما كنتُ إلا صدىً منهمُ ،

ولحناً على دمعهم مُبهمُ . .

يُدارِى . . . وتُضنيهِ آهاتُهُ ،

فيذرِف بلواهُ ، او يكتمُ . .

وظلتْ بجَنبيهِ نارُ اليقينِ ،

* تُولولُ فى الروح او تلْجَمُ ! !

رَبيعيةٌ فى سماءِ الخريف

تَشقُّ دُجاها وتَستلهمُ . .

* وتجتاح من عَتَماتِ الوجوهِ ،

سُدُوداً على غَيبها تجثِمُ

* وتنهالُ خلف رتاجِ الصدور ،

تَفضُّ الحجابَ وتستفهمُ

• وتُعطى السرابَ مَقاليدَهُ

كما شاءَ . . يُقبِلُ ، او يُحجمُ

• سواءٌ توارى ،

سواءٌ تمارى ،

بكلِّ الذى دَسَّهُ تعلمُ

• فلا تحسبونى رباب الجفونِ ،

فإنى لأخفى خَفَاءِ فمُ ! !

* • *

ساشدوا لكُم

لكل الذين يدُ النُّور مُدتْ لهمْ

وللموصدين عن النور ابصارَهُمْ

• وللقابعين يلُوكونَ اسمارهمْ

وللهاجعينَ يُذيبونَ اسحارهمْ

• وللعاكفين يَدورون اعمارَهُمْ

وللواجفينَ يُعاطون اسرارهمْ . .

• وللواقفِ المنتشى بالجمودْ

وللراكدِ المطمئن الوجودْ

* وللسامر المنتهى فى الرقودْ

وللقابعِ المرتمى فى الخلودْ !

* وللقانع المنتمى للسرودْ

وللقانتِ المنزوى فى السجودْ

* وللآبقِ المرتوى بالجحودْ . .

وللزائف المعتلى بالورودْ

وللخائف المصطلى بالهمودْ . .

لكلّ السراةِ ، وكلّ الحداةِ ،

وكل البغاةِ ، وكلّ الهداةِ

وللخانعينَ ، وللرافضينْ ،

وللثائرينَ ، وللهامدين . .

وللشاربين ، وللهائمينْ

وللراحمينَ ، وللجائرينْ . .

. . لكلّ انتفاضٍ زواهُ الخمولْ ،

وكلّ ارتعاشٍ كواهُ الذبولْ . .

وكلُّ اشتعالٍ ضريرِ اللهيبْ ،
يضيءُ الدُّجى باحتضار المغيب . .
وكل ابتداءٍ ، وكل انتهاءْ ،
يديران فى الكأس وهمَّ الضياءْ . .
وكلُّ ارتقابٍ ، وكلُّ احتجابْ ،
يُطلانِ من شُرفاتِ اليبابْ . .
ومن كل وجهٍ ، ومن كل قلبٍ
يذيبانِ دمعَ الحيارى بدربى . .

* * *

. . ساشدوا لكمْ
وأسقى العطاش بأكوابكمْ . .
وأسْتَلُّ من سكراتِ الظلامِ
شُعاعاً يغنّى لأسرابكم . .
وانشدُ للعارفينَ ، وللغافلينَ ،
للسالكينَ ، وللضائعينْ . .
وللواقفينَ على كلِّ بابْ . . بقايا ترابْ !

وللجارعين رحيقَ العذابْ . . وكايا ضبابْ !

وللضارعينَ بذلِّ الرقابْ . . مطايا سَرَابْ ! !

وللناس فى كلِ دربٍ يَفُوتْ

ومن كلِ خطوٍ صداهُ يموتْ . .

وفى كُلِّ صوتٍ شواهَ الرياء

وفى كلِ صمتٍ طواهُ الإباء . .

وفى كلِ جوعٍ لهبِ الشكَاةِ . .

وفى كلِ ريٍّ بَغَىٰ اللهاةِ . .

وفى كل حرفٍ رمتهُ الظلالْ

على شفةٍ غطَّ فيها الزوال . .

وفى كلِّ ماضٍ بليد العطاءْ .

وفى كل آتٍ جديدِ الرجاءْ . .

نشيدى لكم أيها السابحون .

على زورقٍ من هشيم الظنونْ . .

فلا تعجبوا إن رأيتمْ رياحى ،

تغنى لكُم وَهْوَهَاتِ الصباحِ

فإنى مغن قديمُ الجراحْ ،
بأوتارهِ لاذَ سِرُّ النواحْ . .
. . شربتُ السلاسل فى الصاغرينْ
وضيعتُ ذاتى مع الخائفينْ . .
وأوغلتُ حتى كهوفِ اليقينْ
فخالستُ ضوئى من المؤمنينْ . .
وساكرتُ حقلى سُهومَ الهجرِ
فأنّتْ صلاتى مع العاثرينْ . .
وكبّرتُ قبلَ احتدام الأنانِ ،
ومن وهلتى ذبتُ فى الساجدين ،
واسلمتُ عُشّى ، وأحرقتهُ ،
فأومأ إلىّ دجى الجاهلين . .
وأوقدتُ روحى غناءً يُضىءُ
بأحزانه ، حيرة العاشقينْ . .
ونغمتُ كلّ خفايا السكونْ
حداءً لطيرى على الواقفينْ . .

وانّى تلفتُّ نقتُ الضياءَ ،

والقمته حسرةَ التائهين . .

وبعثرتُ روحى رياحاً تجوبُ

ويا طول شوقى لرؤيا سكونْ !

واوشكتُ لولا عتو الزوالِ

اتركُ تنهيدةَ لليتينْ . .

ولم تخفض عنى طيورُ الضّلالِ ،

وان سكنتْ اوجهَ الطيبينْ . .

ولا رواغتنى باعشاشِها

متاهاتُ زور من الناظرين

ومالى سلالٌ اغنى بها ،

واجنى صَداها مع القاطفينْ . .

فلى روضةٌ إن دهاها الخريفُ ،

ربيعى على صدرها كلَّ حين !

ولى رشفةٌ من رحيقٍ عميقٍ

بساتينهُ عِطرُها لا يحينْ !

من الروح للروح يجرى شذاهُ
وتنهلُّ انهارهُ فى الجبينْ . .
ولى قدرٌ فى دمى ناغمٌ
تلاغيه إصغاءةُ العابرينْ . .
عبرتُ الوجود بلا أى فُلْكٍ ،
ولا أى موجٍ يناجى السفينْ .
وشاجيتُ حتى اصطفاقَ الظلامِ ،
وحتى احتراقَ الضياء السجينْ ! !
ولومات لله . . فى كلِ شىءٍ ،
وإن جل عن أن تراهُ العيون !
بكل الخطايا . . وكل الرَّزايا . .
وكلِ المرايا . . وكلِ الفتون . .
* وفى كل وجهٍ سقتهُ البراقعْ
اسمالها بالضياءِ المهينْ !
* وفى كلِ رائفةٍ فى الضمير ،
وفى كل زائفةٍ فى الحضون . .

* وفى كل تسبيحة نقنقت

بحباتها فى يد العابدين !

* وفى كل حلمٍ ، وفى كل وهمٍ ،

تجنحُ رؤياه للساهمينْ . .

* وفى كل ذراتِ هذا الوجودِ

طرحتُ الشباكَ بشدو السنينْ

* وغنيتُ . . غنيتُ . . حتى شربتُ

صُبابات لحنى . . مع النادمين ! !

ساشدوا لكم

وأشعل بالناى أشواقكمْ

واعصر فى الشدو ايامكُمْ . .

وأسكُبها فى دم الحائرين ،

صلاة لفجرٍ قريب لكُم . .

* * *

* فهيا نغنى على دربه . .

لتشربَ نجواهُ أبصارُكُم . .

• وهيا نشد إليه الزمامَ ،

ليخضرَّ للروحِ بستانُكُم . .

• وتدنو لكم يانعاتُ الثمارِ

قطوفاً . . قطوفا لأطياركم . .

• تساوتْ لديها جميعُ الأكفِ ،

سراباً ، وماءً ، بأكوابكُم

• ولم تبْقَ عين ترى ما تُريقُ ،

خريفاً لها . . وربيعاً لكُم !

• ولم تبق تأويهةٌ للحيارى ،

تنغصُ بالسخطِ انفاسكم !

• ولم يبق ظمآن تحت الكروم

يناجى ثُمالة اقداحِكم . .

• ويا ليتها رَعْرَعَتْ جنةً ،

وظلتْ عطاءً لأحلامِكم ! !

• أطلوا . . ترونى بها عازفاً ،

حصادى هشيمٌ لأسرابِكُم .

* أغنى ! وغنى ربابى أوطارَ . .

وغنتْ سمائى لأضوائكُم !

* وغنى نبىٌّ ، وغنى رسولٌ ،

وأفضى إلهٌ لأسفاركُم . .

* وداخَ الغناءُ ، وداخَ الربابْ

وداختْ حروفى بأسواركم ! !

* أصيخوا فإنّى لكُم رافضٌ

إذا لم تردوا إلى الجبين . .

* فقد ضاعَ وجهى . . فى غفلة ،

وضاع الغناءُ ، وضاعَ الرنينْ . .

* وقلبتُ غيبى فى كُلّ أفقٍ ،

لعلى أعودُ مع العائدين . .

* لعلى أرى الأرضَ ألقتْ كراها ،

ودبتْ بها صحوةُ النائمين . .

* لعلّ الأسى فى اختلاج الوجوهِ

تشبُّ القيامة فى الراقدين . .

* لعل المنادى يهزُّ الدروب

ويسقى خطاها لظى الغاضبينْ . .

* لعلى أرى فوقَها كلَّ شيءٍ

حصادَ انتقامٍ ، وسُخط دفينْ !

* لعلى أرى سجدات السماءِ

عليها . . أعادتْ شذى المرسلين ؛

* وردتْ عبيراً سحقنا رياهُ ،

ودسناهُ قبل خُطا المجرمينْ !

* لعلى أرى كلَّ شيء إباءْ

ورفضاً لهذا الوجودِ المهين !

* ولا عاشَ حرٌّ ! ولا عاشَ عبدٌ !

ولا مرَّ عيشٌ ، على صابرينْ ! !

* ولا كان ماضٍ ، ولا كان آتٍ ،

ولا كان دنيا ، ولا كانَ دينْ ! !

* ولا كان شعرٌ ، ولا كان فنٌّ ،

ولا كان شدْوٌ ، ولا سامعونْ . . .

• . . اذا لم تروا أسارير وجهي ،

ووجهِ الوجودِ الذي تعبرونْ !!

• • •

سأشدو لكُم

• ويشدو معي طائرٌ في سفوحٍ

من الغيبِ ، تُصغي اليها الدهورْ

• خلودُيَّةٌ . . . أومأتْ للزوالِ

فنابتْ به موصداتُ المصيرْ . .

• ترعرعَ فيها اندهاشُ السَماء ،

وأينع فيها ارتعاشُ العصور . .

• ومرتْ عَصاها على كُلِّ دربٍ ،

فلم تلق للنورِ رؤيا عبورْ . .

• ولم تلق الا متاهات فجر ،

تريدُ الردى ، ويريدُ النشورْ . .

• اباطيلُ من شهواتِ الظلامِ ،

تناهشَ فيها زمانٌ ضريرْ . .

* ولم يبق للناس الا رُفات

بهِ كلُّ جارحةٍ تستجير . .

* صلاةُ التراب ، لعبد التراب

ورقُّ الضمير ، لنعشِ الضميرْ . .

* وملطومةٌ من أكف الهوانِ

على جفنها الذلُّ طاغٍ أسيرْ . .

* ومَوءودةٌ فى يَديها الفناءُ

إلى كل خزْى ، يَداهُ تُشيرْ . .

* ونادبةٌ من سبايا الوجوهِ ،

عليها أسيرانِ : قيدٌ ، ونيرْ . .

* ووجهانِ : وجهٌ لرش العبيرَ ،

وَوجهٌ لنهشِ الدُّجى فى الحفيرْ !

* وهذا مزارٌ لكبر الضياءِ ،

وهذا مَنار لقهرِ الشعورْ . .

* وجاثينَ . . لاَ ربَّ فى أىِّ شىءٍ ،

ولا شىءَ ، . إلا انكفاء الصدور . .

* وألهةٌ جسدتها العيونَ
طواغيتَ ، يَنعب فيها المصيرْ . .
* وأشلاءُ قافلةٍ ، زمزَمتْ
لِحادٍ ، سقَاها سرابَ المسيرْ . .
* وجَلادُ روحٍ ، يدلهُ ضريحٌ
يُكفنَ بالوهمِ وجهَ الفقيرْ . .
* وعالين . . فوق التفاتِ الجفونِ ،
وفى كاساهمُ عصاراتُ زورْ ،
* وغافينَ فى حلكِ مرّغتهُ
على الظلمِ دُنيا فرَاغٍ تدورْ
* وسارين ، لا الخطو يومى لأفقٍ ،
ولا أىُّ أفقٍ إليه يَصيرْ . .
ظلام . . ظلامْ . .
ولجُّ انعدامْ . .
* وكونٌ تَرَبّصَ فيه زَوالهْ ،
وأخْنى على كل شىءٍ ضَلالُهْ

* وشابَ عليهِ اخضرارُ السفوح ،

وإصغاؤها لارتعاشِ الضريحْ

* فمرَّتْ عَصاها

وأوْما ثراها

وَضجتْ على يأسه مُقْلتاها

* ولم يَبقَ إلا الأسى فى رُباها

ولم يبقَ داعٍ يُناجى سَماها

* فقد ملَّتِ الأرضُ . . ملَّ السجودْ

وملَّ الطغاةُ . . وملَّ العبيدْ

* وملَّ الظلامْ . . وملَّ الضياءْ

وملَّ الوجودُ . . وملَّ الفناء

* وملَّتْ صداها شفاهُ السماءْ ،

وملتْ بها حيّرةُ الأشقياءْ

وشوقُ الرسالات والأنبياء . .

* وضاعتْ على الليل كلُّ الوجوهْ ،

وكادَ المدَى فى مداهُ يتوهْ . .

وما هو الا صدى كلمةٍ
وإصغاءُ ذنبٍ إلى توبةٍ ،
ومن قبلُ . . يرتدُّ طرفٌ لعين ،
تَهاوى دُجى الأرضِ فى لحظتينْ . .
ففى لحظةٍ ، ذابَ ذُلُّ الترابْ ،
واخرى . . تألّق فيها شهابْ ، ،
وشقت أسى الليل . . بُشرى شُعاعْ
على راحتيهِ ، تَهادى . . . شِراعْ ! ! .
نبيُّ الرياحِ . . إذا ما سَعاهُ
دَعتّها ، ترامَتْ لكلّ اتجاهْ . .
وشعّتْ . . وجُوداً جديداً ضَحاهُ
ودَرباً إلى الحقّ تمضى خطاهْ ،
على كلّ أرضٍ تلقتْ نِداهْ
وفى كلِ ظلماءَ مَستْ ضِياهْ ،
وفى كل لَجٍّ هَديرُ السفينِ
بأحشائهِ ، سرمدىُّ الأنين ،

وفى كلّ حيران تسقى العيونْ
أساريرَهُ ، تُرهاتُ الجفون ،
وفى كل زَفرٍ ، وفى كلِ أهةْ
وفى كل دنيا سرَاها متَاهةْ . .
مَضى ثورةٌ فى خَفَايا العبابْ
على كل زيفٍ . . يَفضُ الحجاب . .
تَمرُّ على كلِ شىءٍ يَدَاهْ
حيَاة . . تغير فيها الحياهْ ،
. . . هنا الليلُ . . تَزهقُ فيه دُجاهْ
هنا الذُلّ . . تمحقُ فيه أساهْ
هنا الظلمُ . . شُقتْ عليه عَصاهْ
هنا الوَهمُ . . بادَتْ عليه رُؤاهْ
هنا القيدُ . . ذابَت به حلقتاه
هنا العبدُ . . رنَتْ إليه خُطاهْ
هنا الافكُ . . شُلتْ عليه الشفاهْ

هنا الشركُ . . أَوْرَقَ فيه هُداهْ
هنا وَثَنٌ . . عانقتهُ صلاهْ ،
وريعتْ ، فهالتْ عليه ثراهْ . .
هنا ساجدٌ . . زمزَمتْ راحتاهْ
على صَخرةٍ . . قال : هذى إله
ومرَّتْ به فى غَواشِ عماهْ ،
فرُدَّته للنورِ يَعوى يَداهْ ،
هنا كلُّ ظلٍّ تَساوى جناهْ
هنا كلُّ صبحٍ تساوى سناهْ . .
فلا ناهبٌ غَطَّ فيما حواهْ ،
ولا سالبٌ شطَّ فيما ادَّعاهْ
ولا جالبٌ ريهُ من دموع . .
ولا عاصرٌ خمرَهُ من نجيعْ . .
ولا خاطف نجمهُ من شُموعْ . .
ولا شامخٌ جاب فيه وضيعْ . .

ولا صارخٌ غابَ فيه سَميعْ . .

تساوى على النور جفْن الجميعْ . .

* * *

فلا جائعون ، ولا متخمون

ولا تابعونَ ، ولا سيّدونْ ،

ولا خائفونَ ، ولا زائفون

ولا عائرونَ ولا قاهرون

ولا فاسدونَ ، ولا مُفسدون

ولا هامِدونَ ، ولا سامِدون

صَحا الكلُّ حينَ أهلُّ الشراع ،

ودوّى النفير بدنيا الضياع . .

هنا النورُ يمخرُ لجّ العنابَ

بنورٍ تجسدَ منه الكتاب

على كلِ حرْفٍ به كوكبان

يُضيئانِ حيْرةَ هذا الزمان . .

وفى كل سطرٍ . . تَصدى صبَاح

ومدّ على كلّ شيء جَناح . .

وفي كل بئرٍ تحدّى نِداء

يُردِّدُ للأرض صوتَ السماء . .

هنا الروحُ . . والعقلُ . . لاتَوْأمانْ

ولكن . . شعاعان لا يَغرُبان . .

على خيمةِ الغيب يستطلعان

ومن غَيمةِ الحجب يَسترفِدان

ولا انسدَّ بابٌ ، ولا اغتمَّ غاب ،

انا جلْجلت بالصدى طَرقتان . .

فهذا يَدقُّ ،

وهذا يَدقُّ ،

وضَوءُ الصدى سابق في الكيان ! !

فإن مل هذا ،

وإن مالَ هذا ،

فللتيه ، والوَهم ما يَنشدان ! !

هنا المشرقُ الحقُّ . . فيه الضياءُ

وفيه الرجاءُ ، وفيه الأمان ! !

وجودٌ جَديد . .

وكونٌ وليد . .

وفجرٌ جديدٌ على العالمين . .

سَبَحتم به فى خضم العصورِ

وكان الشراعَ ، وكان السفين . .

وكنتم يداً فى يديه ، فكانت

يدُ الله يَدكم اجمعين ،

وكنتم عليه حُماةَ الأنام

سُقاة الظلام بكأس مَعين . .

من الشرق للغربِ . . مدَّ الرّحين

وشدَّ الشروق إلى النائمين ! !

ولما غفوتُم . . ودارَ الظلامُ

ودار السرابُ البغيُّ اللعين . .

ودرتُم سُكارى به . . كلٌ وجهٍ

نَديمٌ لأفقٍ لهَ يستكين ،

ولما صحوتم . . صحت كلُّ ريحٍ
حواليكمُ من ظلَام العرين ،
ولما استجرتُم . . أشاحَ الضياء
وأصغى اليكم عتابُ القضاءِ ،
ضَراعاتِ غرَقى ، تلَوكُ الدعاء
ولم تَدرِ انَّ رياحَ الجزاء ،
لها بَغتةُ الغيب فى غير حين ! !

* * *

سأشدو لكم . . .
وأشجى بشدوى معاذيركم
وأشوى بلغوى مقاديركم
فإن قلتموها . . صُروفُ القضاء ،
سيهتكَ نايى أساريركم ! !
وينشبُ فيكم صرير الغناء ،
يعرى لَظاهُ سماديركمْ . .
وما كان نوْحى لجرحى لجيرٌ ،

فتلهى صياحى مزاميركم . .

ولا غربتى فى رياء الوجوهِ ،

تداهنُ فى الروح تكبيركم ! !

فإنى على كلّ دربٍ حصاةٌ

ولحٌ بطلٌ بضوء دفينْ ! !

رايتكمُ عبر هذى القرونِ ،

وساورتُكم اينما تعبرون ،

وكلمتُ تاريخكم . . كلّ همسٍ

وجرسٍ ، وامسٍ بهِ تفخرونْ

وكلّ ارتفاعٍ ، وكلّ انحدارٍ ،

وكل انبهار بما تبصرونْ

وكلّ انسياب بهوجِ الرياحِ ،

ولو جرّعتكم بما تكفرون !

وكلّ انسكابٍ بضوءِ الظلامِ ،

ولو ذقتمُ فيه ما ترفضون !

وكلّ اندثارٍ بغش السجودِ ،

ولو كنتمْ فيه لا تؤمنونْ

وكلّ اندحارٍ بسحرِ القيودِ ،

وأنتمْ على طيفها تصرُخونْ . .

وكلّ انحسارٍ برِقّ الظلالِ ،

ومنه لرقّ الثرى تزحفونْ

* وكلّ ارتيابٍ بوجهِ الدروب

وأنتم لإيماضها عارفون –

* وكلّ انهارٍ بمدّ الجفونِ

وأنتمْ على هُدبها زائفونْ –

* وكلّ احتضارٍ بزهر الاسارِ

وأنتمْ على عطرهِ حانقون

* وكلّ انبهارٍ بكأسِ الغريبِ ،

على غيها ويلكمْ تشربونْ . .

* لكم نبعُكمْ . . منه نبعُ الضياءِ ،

ومنهُ الإباءُ الذى تنشدون

* ومنه يشعُّ ظلامُ الطريقِ ،

ومهما دهاكُم بها . . تعبرونْ !

* اصيحوا . . وهذا اوانُ النفيرِ

فإما نكونُ . . وإما نهونْ !

* وحاشا لأرضٍ سقاها الضياءُ

على الذلّ يشهقُ فيها جنينْ ! !

* فخفوا إلى الثار من كلّ أفقٍ ،

منايا مدرعةً باليقين . .

* وصدوا عن النور زحفَ الظلام ،

وقد مزقتكم رياحُ المنون . .

* ولا تنصتوا حائرين !

ولا تبلسوا واجفينْ !

* ولا تلبثوا عمرَ طيف نليلٍ ،

على قدرِ أعْمهِ صاغرين !

* فمنكم هُداةُ البشرْ

ومنكم حُداةُ القدر

* ومنكم صَواعقُ تمحو الزوالْ ،

وبأسٌ على الدهر أفنى المحال

* فكيفَ وأنتم بهذا الوجود ،

إبائي إلى جبهتي لا يَعودْ ؟ !

* * *

سأشدو لكم . .

* وتشدو معي ذكرياتُ الضياءْ

ويشدو الصباح ، ويشدو المساء

* ويَشدو اللسانُ ، ويشدو الضمير

ويشدو الزمانُ ، ويشدو المصير

ويَشدو لقاءٌ مع النور فاتْ

ويشدو لقاءٌ بكفيه آت . .

ويشدوهُ صحوٌ ويشدو سباتٍ

وتشدو المعارك ، والتضحياتْ . .

وتشدو المنارات ، والمعجزات

وتشدو الأباطيلُ والترهات . .

ضممتم خطاكم . . فسار الضياءْ

ومدٌ على كل ارض سماء . .

وفرقتموها فحاق الظلامْ

وصرتُم نَاماهُ تَحت الخيام . .

وكنتم مع النور مَوجَ الطريق

فصرتم بِلاهُ . لُهاثَ الغريق

* وكم قالَ ! والحقُ فيه نَشيد

وأنتمُ لما لم يَقلهُ عَبيد !

* فقال : اتبعونى ، ازدكُم ضياءْ

فَدرتُم نشاوى بخمر الرياء !

* وقال : اعملوا . . اينَ ما تعملونْ ؟

. . تهاويلُ ذكرٍ بها تختفون ! !

* بَراقعَ للزور فيها نصيبٌ ،

وللنفس اخزى سُرىً للهروب

* وفى كل صدقٍ تمارى كذب ،

وفى كل عطر تَوارى لَهب ! !

* وقال الأمانةُ ! فارتج قلبٌ ،

ودَبت أفاعٍ من الغدر تَخبو

• مَزالِفها تحت غاب الضلوعْ ،
مَراشف من كلّ عَهدٍ صريع
• وقال الصلاةُ ، فقمتم إليها
تماثيل تلفظُ فيها حروفْ
• وراحاتِ ذلّ لربِ السماءْ ،
عليها تَنهد قَهرُ الضعيفْ
• وحملق من فُرَج الأنملات ،
متاب بشوق الخطايا يطوفْ
• وقهقة للجائع المستغيثِ ،
خَيالُ المساواةِ بين الصفوف
• اقمتم شعائرها للعيون
موازين شدت عُراها السقوفْ
• وساجلتموها بطولِ الركوعِ ،
وطولِ السجود ، وطول الوقوف
• ولما فَرغتم ، وزايلْتموها :
ترامت عليكم مَهاوى الزيوف . .

• . . فهنا . . يَصدُّ حياءَ الفقير ،
وهنا يردُّ شقاءَ اللهيفْ
• وهنا . . يُداهنُ وَجهَ الوجوهِ
ومن دونها فى حَشاهُ كهوف
• وهنا . . وقد تَمَّ وَعدُ الربيع
يجدد للإثم وعدَ الخريفْ
• فيرخى على الرُّوح سترِ الضياءِ
ويمضى إلى حيث تُخْفِى السدوفْ
• حبيٌّ على عتباتِ المصلى
دَنَىٌّ انا ازورَّ عنها كفيفْ
ومِن حبَتين على أصبعينِ
يُكثفُّ للنفس أعتى سجوف
صلاةٌ . . وفُجر ! وقلبانِ . . قلبٌ
يَروغُ ، وقلب إليه يؤوب . .
وربانِ . . والشركُ زادُ الضلالِ
فربٌّ يُثيبُ ، وربٌّ يتوب

وسبحانَ من يَرقبُ الخائنينَ
على حفرة دُسَّ فيها كثيب
وهذا . . يَرى اللهُ في حوزةٍ
مُغلَّفةٍ عن جميع الدروب . .
تهشُّ عليها عصاً من خشوعٍ
ترعُ خطاها عليها الذنوب . .
فيدعو . . لتدنَو كلُّ الثمار ،
له وحدهُ دون كلِّ القلوبْ . .
ويدعو . . ليشربَ كلُّ الظلال
وإن حولهُ ، بُحَّ صوتُ اللهيب . .
ولم يدرِ أن حَصادَ العبيرِ
لكل الربى من شذاه نصيبْ . .
ومن نشوة العدلِ الا تلوذَ
إلى جفنه دمعةٌ من كئيبْ . .
والا تُطلَّ يدٌ وجهها .
شموخٌ . وأخرى صَفارٌ يذوبْ . .

وعُليا تَدِل على العالمينَ . .

بأن السموات منها قريبْ . .

وسُفلى يراعشها الانحناءُ ،

كمشلولةٍ حانرَت من لهيب . .

والا تُرى نِعمة فى الرِّياحِ ،

وأخرى على الصخر ظلت تلوب . .

سقاها بكفٍ ، ونادى بكفٍ ،

فلم تصغ إلا لكأسٍ غريب . .

حواها جنىّ من فم الاشقياء

تَسرَّب من حالكاتِ السهوب . .

فمزّاً بمنقار طيرٍ شريدٍ ،

تَسلل من فيْءِ روضٍ عجيبْ !

جفتهُ السماءُ ، فلا فيه حَبٌّ

ولا فيه ماءٌ . . مَفازٌ جديب . .

وحارسهُ أعمىٌ لا يراهُ

وإن كان فيه دواماً يجوبْ . .

رشتَهُ الرياحُ فشدّت اليه . .

. . من الوهم ، اغصانَ زهرٍ رطيب ...

ترعرعنَ فوق رفاتِ الضمير ،

وأمرعْن تحت لقاءِ مَريبْ . .

ربيعاً يرشُّ على قاطفيهِ ،

من العار انهارَ خزى صبيب

هجينَ النسيم . . فلو مرَّ فيه ،

لأوشكَ من ذعره ان ينوب !

• ثراءٌ لقيطٌ ، ورزقٌ سليطٌ ،

بلا أى مهدٍ . . صفيقُ الهبوبْ . .

وهذا حلالٌ ، وهذا حرامٌ

كلامٌ على الحقِّ ، شقَّ الجيوب !

* * *

أديروا على النور اقداحكمْ

تروا ليلةَ النور تمحو الغروب

• وتشرق فى كل وجهٍ سلاما

وعداً . ورؤيا وجودٍ خصيب

فكم قالَ ! . حتى سهُوم الجبال ،

تلفتَ من خَشية للقيودِ

وكم قال : حتى تَلاغى صداهُ ،

وأورق في سادراتِ الجنوبْ

• وكم قال : ضجّتْ جميع الشفاهِ

واجْتْ هتافاً جميعُ الكروب !

وقال : ارحموها . . نفوساً عليها

سرابيلُ مشحونةٌ بالقدَرْ . .

فمنهُ خطاها ، ومنه عصاها ،

ومنه تعاويذها مِ السَّفَر . .

• ومنه ضراعاتُها في الظلامِ ،

وإغضاؤها عن دجاهُ العكر . .

أناخت عليها دواهي الهموم ،

فأنّت رحاها ، وغنى الحجر . .

وجاذبها الرزقُ غدرَ اللقاءِ

فاناً يواتى واناً يفر . .

* هلاميةٌ فى عناق الحظوظ

على وجهها كلُّ خيرٍ يَمر . .

وتنْكُتُ بالعود احزانها

تسلى به ثاكلاتِ الضجرْ . .

وتحضن اغلالها من ترابٍ

عليه لِوَخْزِ الرّزايا اثرْ . .

* سقته دُموعَ الرّضا ، والهوانِ

شقيقينِ ، عَبدين انّى عَبر . .

مُقوسةً العمر ، قص الخضوعُ

على ظهرها ، مبكياتِ السيرْ . .

ولا تطرفُ الجفنَ الا انكساراً

يعذبُ بالقلق المستمر . .

* يريدُ الضياءَ فتنبتُ فيه

من القهر كل آمانى البصر . .

واورادُها خلفَ نَعش الظلام

كأصفادها ، ضائعاتُ النظر

مدربة من وجوم السنين

على سجدةِ الطرْف أنّى نظر . .

• ولو صادفتْ نفسها فى خيال

لأفنى رؤاها ، فناء الصور . .

تمرّ عليها خطا الغاشمين ،

أبابيل رقٍ ، حداها الْصعر . . .

عَبرتم بها . . وانفصامُ الوجود

لها مَسدلٌ – كابياتِ الستر ! !

• وانتم أناسٌ ، وهم من أناسٍ

سواءٌ ترابٌ ! سواءٌ بَشر ! . .

توهجَ للنور فيها التفاتْ

ولجّت عليها هوادئ السُّورَ . .

وقالَ . . ارحموها ! ! فكنتم ، وكانوا

وكانَ الوجود مَرايا عَبر !

تطلون منها . . يد فى السماء ،

وأخرى على ويلها تنتظر . .

* * *

. . . وماذا أنا . . إن أطلَّ الضياءُ
ولم يلقَ في الأفق تسبيحَ جفني !
ولم يلقَ في انعتاقِ الصباحِ ،
وإيماضهُ في حشاشاتِ لحني ! !
ولم يلق فيَّ المدى مستمرا
إلى الشمس يعرفُ منها لكوني !
وماذا أنا . . إن عبَرتُ الوجودَ
أناديه . . أين الذي ضاع مني ؟
* وماذا أنا . . إن تجرعتهُ
تهاويلَ ، مصلوبةً فوق دنيَّ !
أغنّي لها نعشها في العشى
جنازاتِ صبحٍ تُغنيَّ بعيني . . .
ونايي هباءٌ . . ووحْيي هباءٌ
وإصغاءُ عمري هباءٌ بأذني . .

وتسبيحتى فى شرود الظلام

متى النور أجنيه . . حتى يظنى ؟ !

ولابد . . وجهى لوجهى يعود ،

ولو خطفته أساطيرُ جنّ ! !

سأستلُّ ذاتى . . فإن لم أجدها

سأستلُّ ما بين ذاتى وبينى

* وأُشْعِلُ فيها ضرامَ التحرُّكِ

من عارها الخامد المطمئنّ

وأضرى بها نشوة الناظرين

ليوم ضحاهُ أهاويلُ جن ؛

. . . فلا بدّ من غضبةٍ نارها

تردُّ الذى ضاع منكم ومنى ! !

* ولابد أمسى ليومى يعود ! !

ويأتى غدى عاتياً فى الصعود ! !

ومهما استبدّ عويل الظلام ؛

وغطّ بجنبيه خزىُ النيام ؛

فللفجر شوقٌ لأبوابكم

وللثأر دقٌّ باعتابكم . .

فأصغوا بنار الليالى إلىّ ،

ولن يهدأ النأىُ فى راحتىّ .

إذا لم يعد لى حبيبى الأبىّ !

وحتى تعودَ لوجهى سماهْ ،

ويرجعَ للأفقِ عاتى ضحاه : . .

. . ساشدو . . واشدو لكم لا أملْ ! !

ولو ضاعَ – لا ضاع – باقى الأجلْ ! !

١٩٦٨ م

الديـــوان
الحادى عشـــر

صـوت من الله

إهـــــــداء

إلى الرّوح التى أحالتنى أرى

النّور فى حلَك الظّلام ،

وأرتشِفُ الشروقَ مِن

اقْداَح المَغيب .

محمود حسن إسماعيل

الـلّـــه

. . وهناك . . عند الفجر فى إشراقة كلظى الهجير

وعلى خطا قمريـــة الإيماض ،

يصفع نورها كذب الصخور . .

. . روض رحيب أجهشت فيـــــه الـزهـــور

وتكلمت بعطـــوره لغـــــــة الطيـــــور

وتـأوهـت ريـح مجنحـــــــة السيـــــر ،

على مخاضره تـدور

وترنمـت ورقـــــاء صاليـــــة الشعـــــور

معشوقتى . . وعشيقـة النغم المصفـد فى الوكـور

وذبيحتى . . وأنا الذبيح ،

وجازر الرؤيـــا أسيـر

متلفع تحت العروق ، بمهده الشمل الوثير
فى كفه نهر الحياة لهيبه قلق مرير
وعلى شواطئه هتاف لج فى ندم غزير
وضراعة بلهاء تصرخ وهى هالعة النفير
وخطيئة .. تلد الحياة ،
ومهدها يلد الدثور
وصدى يغرد نائحاً ، وبدمعه يلغو السرور
وغمامة عوجاء ، دوخها المسير
آناً تسير .. وآنةً تبكى المصير
والأفق مصلوب كسير
شحنته أوهام العصور ،
ومسابح النساك وهى على مزالقها تدور
بالكف مؤمنة
وظل الكف مشنقة الضمير
وتمائم المتبتلين ..
كأنها هرج الغواية فى الصدور

مسكينة الأصداء ، تلعق فى المداهن والبخور
وتئن فى حباتها الدعوات ،
جائعة الصفا لزجاج كوب أو حصير
متلمظات للورود
.. على هوادج أخجلت خشب النذور !
تتلقف الأزواد .. من عبق تناسم بالشرور
والنور .. من حلك تناغم فى الجذور
والطهر .. من شطحات أوهام وزور
وتعانق القدس المنيع .. كأنما سكن الستور !
بفهيق راغبة محيرة على زبد الثغور
ونقيق غاوية مبعثرة على خبل حسير
فتخالج اللمحات ، أعمى دس فى ألق ضرير
طحنته سنبلة السيادة بالقشور ..
والرزق ، والعوز المخدر بالسكينة والحبور
ولواه جلاب المطايا للغرور
ومضفر الأصلاب اعتاباً مطهمة الظهور !

أقواسها تئد السهام . . وتنشب العشب الحقير
وتحيل هش الوارفين مشاتلاً لربى القصور
وعلى خضوع الهائمين ، بكفها تعلى الجسور
وتدور تطحن فى غيابتها . .
فتطحن . . أو تدور !
سبحان وهاب الظلام لمن يريد بصيص نور !
سحبوا من الأكفان قدرته ، ولجوا فى الثبور
وتأودوا خبباً وتهتهة ، وليأ للصدور
فى حومة . . لا للسماء ولا التراب
لدفها نسب يثير !
. . زعموا لقاء الله وحدهم . . وجل !
فنوره غمر الدهور . .
. . فى الحب ، فى الأمل المخلق
فى الأجنة والبذور . .
. . فى الريح ، فى النسم المرنح ،
فى العشايا ، والبكور

. . فى الطيف تلمحه ظلال ظلاله فوق الغدير

. . فى السفح فى ضجر المغاور

فى البـــــرازخ ، فى البحـــور

. . فى كل راقىء دمعـــة من جفن مظلوم فقير

. . فى كل كاسر حلقـــة من قيد مقهور أسير

. . فى كل رافض لقمـــة ، لليل جالبهـــا أجير

. . فى كل واهب روحـه لفـدا التراب المستجير

. . فى كل ذات حركت عدم الفراغ إلى الصرير

فى خطـوة القـــــدم الـــــذى

هتك البراقع عن دجى القمر المنير !

وحدا السديم ، ورش بين يديه أسرار الأثير

ومشى على الأجيال يسحق جهل عالمها الغرير

ويزيح ستر العقل عن إعجاز خالقه الكبير

. . . الـــدرب ضـــوءٌ للســـراة

حقيقـــــة ، وحصـــــاد نـــور

وهـــــــدى الـــــــدجـى . .

وتمزقت حجب الرياء على الحضور !

• • •

فالله يصحب كل من صحب النهار

.. وما لى عن غبش الستور !!!!

الله . . والنـــاى

إلهى ! . . وما زال فى النّاى سرِ
وشطٌ من الوَحْى . . . ما زُرْتُهُ
ولا شَرِبَتْ حيَرتى منهُ لَحناً
ولا أىَّ يـومٍ بهـــا ، جِئْتُهُ . .
عميقٌ ، كَحُلْمِ الرُّؤَى فى خيـالِ
علَى غفْـوةِ الرُّوحِ كفَنْتُـــهُ !
توَارَى ، وأسْبلَ أنغَامَـــه . .
على وتَـــرٍ ، كنْـتُ قَطْعتُـــهُ
وأحـرقتُ فيـهِ ربيعَ الحيـاةِ
ومِنْ غفوةِ القلْبِ ودّعْتُـــهُ . .
عميقٌ . . ولكنّـــه ســـابحٌ

قريـــبٌ إذا ما تـــذكّرتُـــــهُ
وذكْراه فى كلّ ما أشْتَـهى
وفى كلّ شىءٍ تَعَشّقْتُـهُ . .
أراهُ على الـزّهْـــرِ ، لكنّنى
إذا صـافـحَ العطـرَ غافلْتُـــهُ
أراه علَى النّهْـرِ ، لكنّنى
إذا عانَقَ الموْجَ غـادَرْتُـــــهُ
أراهُ على الـــدوح ، لكنّنى
إذَا مايَـلَ الغصنَ زايلْتُهُ . .
أراهُ علَى الأُفْقِ شيئـاً أضـــاءَ
ومن نَفْسِـين نـارى توهّمْتُـهُ . .
أراهُ علَى الرّيـحِ ، صـوْتَ الحنين
تجَسّـــــدَ حتّى تأمّلْتُـــــه ،
وأبصرتُ فيـــهِ مزَارَ الخيالِ
علَى معبـــدٍ كنتُ حرّمْتُهُ . .
وأودعْتُـهُ فى جِنـــازِ الغـروبِ

لقـــاءً مع الغَيب واعدتهُ !
أراهُ بـذاتى فى كلّ همسٍ
وفى كلّ طَيـفٍ تخيّلْتُـــهُ
أراهُ ، يسيرُ معى فى الحيـاة
كياناً خفيًّـــا .. وصاحبْتُهُ
وقاسَمْتُهُ كُلّ زاد السكون
وكلّ الهَوَى حـينَ صافيْتُهُ
وكلّ الصّباح ، وكلّ المساء
وكُلّ الـدُّجى حين خامَرْتُهُ
وكلّ الجـراحِ وكلّ النـواحِ
وكُلّ الأسَى ، إنْ تَـرَشّفْتُهُ
وكلّ الأثيـر ، وكلّ العبير
وكلّ المصير . . . إنا كنتهُ !
وفى كل ذرّات هذا الوجود
أراهُ رنينـــاً تسمّعْتُـــهُ . .
وأصْغَيْتُ فيـــه ، وكَرّرْتُهُ

وجـوداً لِذاتى اخْفـيتُـــهُ !
إلهى . . ومنْ أيْنَ أهفُو إليـهِ ؟
ودَرْبى لِـرُؤْيَـــاهُ ضيَّعْتُـهُ !
وفجَّرْتُهُ فى زمانى ، زمانـاً
وتيها على التِّيـهِ واصلْتُهُ . .
وما كـان إلاَّ غِنـــاءَ الظُّنون
وشـجْـواً من الحُبِّ أتْلَفْتُـــهُ
وأشْعلْتُ فيـهِ صلاةَ الرَّباب
تُغنِّى زمانى . . . وما نُقْتُـهُ !
تَلاشيْتُ فى كلِّ دَرْبٍ ، فما
أحِسُّ بِغيرِ المدى ، فُتُهُـــهُ !
وأوغلْتُ حتَّى سَقانى الطَّريقَ
ثمالاتِ ، سحْرٍ . . تَصوَّرْتُـهُ . .
شَوَانى . . وابقى رمـادَ الضِّياءِ
وما زال جَمْـراً تَشهَّيْتُـهُ
تبسَّمَ فى نـارِه كـلُّ شىءٍ

وتنهيـدُ نايى كمـا جِئْتَهُ !
على الرّيح يَهْدُرُ .. لاهدْلةً
ولا ظِـلُّ ظِـلٍّ تَمنّيْتَـــهُ !
ولا سَجْوَةً فى مَهَبِّ الخيالِ
يُغـنى بهـــا ما تلقّنتَهُ !
نَشدْتُ السّكينـةَ فى كلِّ جَمْرٍ
على وتَرِ القـلْبِ اوقَـدتَهُ !
ومـا لى يَدٌ فيه ، إلاّ صَدَىً
كما تسمعُ الروحُ رنّتَهُ ..
غنائى ، ومنّى ، وما لى سبيل
إليـه .. فانّى أتَى سِفْتَهُ !
سمعتُ به الكوخ تحتَ الظلام
عويلاً من البؤس .. غنّيْتَهُ
وأفْداحَ رِقٍّ .. بِكفِّ الطغاةِ
أسَاها بِنايى .. تجـرّعتَهُ !
وشلّتْ يـدُ اللّهِ طـاغوتَهـا

بفجرٍ على الذّيلِ قدّستُهُ
فناغَمْتُ فيه انتفاضَ الحياةِ
بسِحْرٍ منَ اللهِ ألْهمْتَهُ !!
وسبّحْتُ لمّا اطلّ الضّياءُ
وذَكّ الظلامَ الّذى عِشْتَهُ !!

هـو اللّـــه

[. . بالطائرة . . وفى أعلى مراقى الارتفاع ، تلاشى إحساس الشاعر بالأرض وعالمها . . وسمع كل ذرة حوله تردد . . هـو الله !] فكان هذا النشـيـد . .

عَلَى أَمْواجِ هاتِيك الْغُيُـــومِ
ومِنْ أعلى المَراقى فى السَّدِيمِ

* * *

فقدْتُ الأمْسَ . . لا أدرى مداهُ
ولاَ أدرى متَى عبَرتْ خُطاهُ
ولا ما قـدَّمَتْ لِيَـدى يَـــداهُ
ولا ما كان من ماضى أســـــاهُ
سوَى هذا المضىّ إلى النُّجُوم ! !

* * *

فقد وُلدتْ حياتى من جـديـــد
وفُكَّتْ من اسى الـدنيَا قُيُودِى

وشَبَّ على مَعارِجِها نَشيدى
جَديدَ الطَّير ، والنغم الوليدِ
جَديدَ اللحن ، والوترِ العميدِ
يكـــادُ يعانقُ المجهُولَ شوقـاً
ويبْذُرُ فى ضفاف النفس أُفْقاَ

• • •

هوَ الخلْدُ الّذى انسَحَرَتْ جهاتُهُ
هوَ اللهُ الّذى انْحَجَبَتْ صِفَاتُهُ . .

• • •

عَرَجْتُ إليْهِ فوق جنَـــاح طيرٍ
هوَ الغيبُ الّذى بيَـدَيْهِ يسْـرى !
دليلَ وُجـودِهِ فى كلّ شيْـرِ
وفى أعْماق أعْماقٍ لسـرّى !!
ظللْـتُ ادُقُّ بـابَ العُمْـر علّى
أُشاهِدُهُ على رَعَشـاتِ ظِلّى !

وطـــارَ الطّيـرُ وانكشـفَ الحجـابُ
وغنّى فى مسابِحِـــه السّحـــابُ

• • •

يـا نفـــسُ لا حـــــــدودْ !
لا قيْـــــدَ ، لا سُـــــدود !
لا جِسْـــمَ ، لا وجـــــــودْ !
تَبخّرَ الطّينُ الّـذى فى بَـدنى ..
وانصَهَرَ السُّورُ الّـذى حـدَّدَنى ..
وانسحَقَ القيْدُ الّذى بـدَّدَنـى ..
وصرتُ بعضَ النور .. بعضَ الزّمن
بعضَ ضِياءٍ .. كانَ قد نوّبنى ..
علَى تـرابٍ مظلِـمٍ عـذّبَنى ..

• • •

بَعْضَ بيـاضٍ خاشِعٍ لِـربّـــهِ
كالحلْمِ يَغْيا الصّحْوَ دونَ دَرْبِهِ ..

• • •

بَعْضَ انعتاقِ موغلِ الخطوةِ خلف السُّدُم
كأنمـــا يحدّثُ الله بِغَير ما فَمِ !!

• • •

يُسْمِعُـــهُ حقيقَـــةَ الإنســـانِ
وليْلَهُ المسفـــوح فى كيـــانى ..

• • •

مِنْ ضحكـــاتِ الـــذّابح المُـرائى
والعاشقِ الراكِـد فى البغْضَـاء ..

• • •

والثّائـــرِ المَسْلُـوبِ من كِيـانِـــهْ
كالوَهـمِ يجتُرُّ خُطَـا زَمانِـــهْ ..

• • •

والشّـاربِ الـرّحيـقَ إلا من عِنـــبْ
مـزْوَرِّ الكرْمَـــة مـوْود النّسـبْ ..

• • •

والرّاكعِ المصلـوبِ فى صَـلاتِـــهِ

يسْرِقُ عفْوَ اللهِ من آياتِـهِ . .

* * *

تجرَّدتْ نفسىَ من نفْسى ، إلَى
كونٍ يذيبُ فى مـــداهُ الأزَلاَ . .

* * *

لا شىءَ إلاَّ الذَّرُّ فى إصفـائِـــه
للنُّورِ . . يمتصُّ لُغَى سمائِه !

* * *

والأرْضُ من آثامِهـــا خبيئـةٌ
فى سِتْرِ منَ الضُّحَى بَرِيئةْ ! !

الـلّـــه . . والـــــذات

(وقفة على الأعتاب)

وقفْتُ طـويـــلاً ، علَى سِـــــدْرتِـكْ
أنادى ربى النـور فى سِـدْرتكْ . .

• • •

أنـادى ، وأجـــار فى حَـــوْمـــــةٍ
من الصمت . . تهدُر فى حضرَتكْ . .

• • •

وأنشقُ ناتيـن : ناتـــــاً تنـــــوحُ
وأخـرَى تُسَبِّـحُ من خشْيتـكْ . .

• • •

وكلتاهمـــــــا من ريـاح الضَّمير

صدىً نائب فى صدى مَوْجتكْ . .

* * *

تَصيحان من غيـر نِكْرٍ ، ولا
صَـــلاةٍ تؤُوب فى خيْمتـــكْ :

* * *

أجِـــرْنَى يا ربُّ . . من كـل شىءٍ
يصد طريقى إلى ومْضتِكْ . .
من الليل . .
. . يسحقُ فيه الظلامُ
خُطايا الضريراتِ عن نظرتكْ . .
من النور . .
. . يفَضحُ سرَّ الطريقِ
إذا جئْتُ أشربُ من كرْمتكْ . .
من الفجر . .
. . يفهقُ فيه الضياءُ
فيُغْرقُ دنياىَ فى هالتِـــكْ . .

من الخَطْو . .

. . يوغلُ طىَّ الدُّروب

وينْسى اتجاهى إلى ساحتكْ . .

من الشَّدْو . .

. . أعصره للْجمـــال

وانسابُ هيْمَانَ فى نشـوتكْ . .

من الحبِّ . .

تصهـــرنى نـــارُهْ ،

رمـاداً شقيًّا على ضفَّتكْ . .

مِنَ القَلَق الســـابِح المُسْتطيـر

علَى زوْرَقٍ ناب فى لُجَّتكْ . .

من الطهْر . .

. . يَغْرف منِّى العبيرَ

عـــذاباً يضوع لَدى جنَّتكْ . .

* * *

مِنَ الإثـم طيـرٌ شجىُّ المئـــاب

يُغَنّى ، ويندسُّ فى رحمتِكْ ..
مِنَ النَّفْس ..
.. تورق عند الدُّعـاءِ
ويَقْطِفها العقلُ من ساحتِكْ ..
من العَقل ..
.. يحمل نعشَ الضَّمير
ويَهْرُبُ خزيـان من سِكَّتِكْ ..
من الناسِ ..
.. ما انا فيـه سِـوَى
رؤَى عابدٍ ، ضلَّ عن بيتـكْ ..
لجرْنى .. فما زلت فى كل شىءٍ
صـدَى كبْلَةٍ رُؤَى لُحَتِكْ ..

• • •

وما زالَ وجْهى خلْفَ الضبـاب
هَوَى يستَشِفُّ سنا راحتِكْ ..

• • •

تُمدُّ إليكَ اعتنـــاق الضَّميـــر
فيرتدُّ كالوهم عن رؤيتـكْ . .

• • •

ويدّعوكَ وهو كفيف النـــدامةِ
حيّران ، يصرُخ من وَهْلَتِكْ . .

• • •

لجرني
. . فما لى يدٌ ، فى الذى
سقانى خُطاً التّيهِ فى طاعَتِكْ ! !

اللـه . . والـوعـد

كلُّ الخطايا فى يدى

يا رب . . أجِّلْ موعدى

حملتُ أمسى وغَـدى ... وسِرْتُ نحـو المَوْعِـد

حتى وصلْتُ شاطئـاً ... يَهْمِـسُ بالتَّشَهُّـدِ

وترتـوى آفاقُـه ... بالنـورِ والتعبُّـدِ

فقلت : طِيرى واصعَدِى ... يا نفسُ حـانَ مَوْردى

فاجهشَتْ وانتَفضَـت ... بلحنهـا المُـردَّدِ

كلُّ الخطايا فى يَـدى ... يا ربِّ أجِّلْ مَوْعِـدى

فثـوبتى مَوْءُودَةٌ .... فى مَهْدهـا لم تُولَـدِ

ما زلـتُ ادعُو اللهَ عُمْراً ... ثانيـاً لجَسَـدى

أُعيدُ فيه سيرةً ... للرُّوح منذ مَوْلدى

نَقِيَّةً مِنْ كلِّ ما ... يُضِلُّنى فى مَرْقدى

بَرِيئةً من كلِّ مَا ... يَشْوى الرُّؤَى فى خَلَدى

ويجعلُ الإيمان فى ... نَفْسى غريب البلَدِ

يعيشُ كالضَّوْء السجينِ ... فى سكونِ للعبَدِ

تُديرُهُ أغلالُهُ ... لغايةٍ لم توجَدِ

مُعَذَّباً كأنَّهُ ... سَرِيرةُ المضطَهَدِ

.. أو ظَامىءٌ إلى سَرَابٍ ... ظامىءٍ مصفَّدِ

أو طائرٌ على خَريفٍ ... هالِعٍ مُبَدَّدِ

صبٌّ الأسَى فى نايه ... أنينَ حلْمٍ أسْوَدِ

يَطْفُرُ من قُضبانه ... كمُسْتَغيثٍ مُقْعَدِ

.. أو طارقٌ أسرارَ بَابٍ ... فى الظلام مُوصَدِ

يصِرُّ ثم يَمْحى فى ... اليأس والتردُّدِ

.. أو سابحٌ فى لُجَّةٍ ... مطمورةٍ بالزَّبَدِ

فى جَيْبِ إعصارٍ على ... الأفق يتيم الرشَدِ

يزنُّ كالغيظ بصدر ... الظَّالِمِ المقيَّدِ

أضاعَـهُ الأمسُ وضـــاع ... الأمسُ فى تيـهِ الغَـــدِ
.. أو حائرٌ على ظـلامٍ ... قَلِـقٍ مسهَّـــــدِ
بغيـــر نـارِ الشـــك ... لم يهْجعْ ولم يُوسَّـــدِ
.. أو تـــائبٌ لله ... لم يُمْهِلْ ولَمْ يتَئِّـــدِ
تنقَّلتْ أشـواقُـــــه ... من مَوْقِـدٍ لموقـــدِ
وللمعـــاصى حولَهـا ... أجِنَّـــة لم تُـولَـــدِ
تنزُّ فى احشائهـــا ... بجُـــذْوَةٍ لم تَخْمُـــدِ
.. أو راحل بغيـر تيـهِ ... الـــــدَّرب لم يـزوِّدِ
وغيـــر ليلٍ كافـــرٍ ... الراحاتِ مغلولِ اليَـــدِ
نُجـومـــــه مبْهـوتةٌ ... فى أُفقِهـا للصفَّـــدِ
يُطِلُّ من شعَاعِهـــا ... للسحُـــور ألْفُ رصـــدِ
وألْـفُ شيْطـــان بِغىٍّ ... الوجْـــه باغى الجسدِ
مُحزَّمٌ من الخطـايـــا ... بشهـــابِ اسْـــودِ
يخْطِـــفُ كلَّ تـائـب ... بسَهْمِـــه المسـدَّدِ
ويجعـــل العصيـــان ... للنَّـدمـــان أشهى مَوْردِ
ويُغرق الناســكَ فى بَحْرٍ ... أثيـــمِ المَـــدَدِ

يظلُّ والإيمـــانُ فى جنْبَيــه نُواحَ اليـــدِ
مُلُوحـــاً بالنُّسْـــكِ والصَّـــلاة والتهجُّـــدِ
وكـلَّ زُهْـــدٍ وتقىً للـــرُّوح او تعبُّـــدِ
فتعصـــف الـريحُ على دُعـائـــه المبـــدَّد..

ربَّاه .. بعضَ النـــور قد طمَّ الدجَى فى خلَدى
سَبَحْتُ بالإيمـــان فى تيـــهٍ عَميقٍ أبـــدى
قلبـى إلى نُـــورك نشـوانٌ بحُبٍّ سرمَـدِى
منْطلَق إلى سمَـــاءٍ بابُها لمْ يُوصَـــدِ...
وجســـدى محمَّـــلٌ بكـلِّ ذنـــبٍ مُبْعِـــدِ
واصلـتُ دقَّ البـــابِ حتَّى كاد يمضى مَوْعدى
وكـاد يُبْلينى سعيـــرٌ الإثـم حولَ موْقـــدى
ربَّـــاه بعض التَّـــوْب والغفـــران للمُسْتَشْهِدِ
نـزعـــتُ ذاتى وانتهـــتْ حقيقتى للأبَـــدِ
وجئـتُ أدْعـــو اللّهَ عمْراً ثانياً لجَســـدَى !!

الـلّـــه . . والنـفْـــس

[وتذكّرتْ فى ذاتى ، فقدّمَتْ لى الرحيق لترْوى

ظمأها من عذابى ، ثم جاءتْ تستجيـر . .]

وقالتْ أجِرنى . . فقلْتُ اخْسئى

فمَنْ غير ربِّ السماءِ المُجيرْ ؟

• • •

تَعاميْتِ . . حتّى ركبتِ الظّلامَ

على هَوْدجٍ من ضبابِ الغرورْ

• • •

جناحاهُ من شَهَوات الحيـاةِ

ومنْ يأسها فى لقـاء المصيـرْ

• • •

هَوَى بكِ فى قاعِ لَيْلٍ بَهيمِ
تَدُورِينَ فيهِ بِخَطْوِ الضريرْ !

• • •

دعينى . . فما لِى يدٌ فى أساكِ
ولا عبرتْ فى طريقى خطاكِ

• • •

تنكَّرتِ . . حتَّى وَهَى ساعِداكِ
فأقبلت نادمةً تستجيرْ

• • •

تنكَّرتِ فِىَّ . . وصورْتنى
لوجه الحياة كما تشتهينْ

• • •

ففى الرَّوض كنتُ نديم الرُّبى
وأنتِ التى بالشذَى تَسْكرينْ

• • •

تقولين : هذا ربيعُ الجمال

فاظمـا . وانتِ التى تشـــربيـــنْ

• • •

وأسْـرِى بـــدَرْب الحيـاةِ العميـق
فـارنـــو وأنتِ التى تعبُـــريـنْ

• • •

أُنـادِى . . وللسِّر يمضى صَـداكِ
وأشدو . . وبالسحرِ يَحْظَى غِناكِ

• • •

واشْقَى . . وما كانَ إلاَّ شقـاكِ
وادعو . . وما كانَ إلاَّ دُعـــاكِ

• • •

يَـــدايَ إلى الله مبْسُـــوطـــةٌ
وأنتِ التى طيُّهـــا تضرَعيـنْ

• • •

لبِسْتِ بِىَ الشُّبْـــحَ للمستعـــارَ
وزَوَّرْتنى بـين زُور الحيـــــاه

أُصلّى .. فاسمعُ فَحّ الـذنوب
على شفتيكِ يُسلّى العصـاه

• • •

وأبكـى بـــدمعـــــكِ لكننـى
أرَى لكِ سُخْريـــةً من اسـاه

• • •

تَلَثّمت بى فى هُـدوء الظّلام
وفى الهول ألقيتنى فى دُجـاه

• • •

وجئتِ تُنادين غوْث الهَـــلاكِ
ومِمّنْ ؟ مِنَ المشتكِى من لظاكِ !

• • •

ومِمّنْ غـداً رِزْوُهُ من نِـــداكِ
ومن غدا دَعْوة فى سَمَـــاكِ

• • •

مُضيّعـةً أرْجَعتهـــا الغيُـوبْ

إلى صـدرهـا من طريق الإله

• • •

دخلـتِ بىَ الْحانَ فى مرَّةٍ
وكان اتّجـاهى إلى المعَبَـدِ

• • •

وكانَتْ صلاتِىَ قبْلَ الصّلاةِ ،
مزاميـــرَ علْوِيّـــةَ المَـوْردِ

• • •

فخَطْفَتِها مِنْ فَمِى للرّحيقِ
وقلتِ لِىَ اليومَ قبـلَ الغَـدِ

• • •

إذا كنتَ للنُّور صَبَّ الحَنين ،
فقَرِّبْ شفاهَك مِنْ مَوْقِـدى

• • •

وقرّبْتُ حتّى طوانى هـواكِ
وذوّبتنى قطرةً فى صفـاكِ

ولَما انتهَى السرُّ طارتْ خُطاكِ
وأَوْمَتْ لنورٍ بعيدٍ عصـــاكِ

• • •

فوَلَّيْتُ وجهى إلى سِحْـرِهِ
كأنى مصلٍّ بلا مسجِـد ! . .

• • •

فلاَحتْ لقلبى سفوحٌ وضـاءٌ
وروض عرفْنـاه منـذ الأزلْ

• • •

أزاهيرهُ مؤمنـاتُ العَبيـر
وأطيارهُ فاتنـات الزجَـلْ

• • •

وأنهارُه من ضِفاف المِتـابِ
تحـدِّثنَ بالنـدم المشتَعِـلْ

• • •

فألقيتُ عمـرى باعتـابـه

ونـاديـتُ حتى تـلاشَى الأمـلْ

• • •

وأومـأتُ شـوقـاً لَعلّى أراكِ !

لعلّى أرى شائِعـاً من لِقـاكِ !

• • •

لعلّى بقبضـةِ نـور يـــداكِ

تضيء السَّبِيلَ ! فصدّتْ سماكِ ،

• • •

.. وخلّفْتِنى فى الفلاَ أستجيرْ

وأزمعـتِ بيـنَ ربيـعٍ وظِلْ !!

الـلّـــه . . وللـعـبـــد

[. . إلى النَّفْس وقد رآها تتسلل هاربة من العبد . .
تحمـل نَشْوةَ الخطيئة ، وحَيْـرة التـلـبّ . . فقتّلها
بهذا العِتاب] .

لا ! !
لنْ أقولَ الْوَداعـــا
ولن أُعيدَ القِناعا . .

• • •

على رَحيقِ رشفَتهْ
وأيّ سِرٌ كتمْتِـــهْ

• • •

فليسَ للذنْبِ عُمْرٌ

وليسَ للقلبِ سرٌّ . .

• • •

ولا لِمَوْجِ المتابِ

في الدهْرِ أيُّ حجابِ . .

• • •

شدُّي الربابَ ، وقومي

على سُفوحِ النجوم . .

• • •

وسبّحي كيفَ شئْتِ

على غناءٍ وصمتِ

• • •

هيّا أعيدي الشّراعا

ولا تقولي الوداعا ! !

• • •

سمعتُ منكِ دُعَاءَ

كالعِطْر فى الفجر جـــاء . .

* * *

يَـدورُ حَوْل الخطيئَـــــةْ
بكل بُشْـــرى مُضيئَـــــةْ

* * *

منهـــا اطلُّ الصَّبـــاحُ
وام تُهَمْهِـــمْ جـــراحُ . .

* * *

وأقبـلَ النُّـــور يَسْـــرى
على هيـــاكِلِ صـــــدْرى

* * *

لا تُغْلِقى البابَ . . وامضى
من بَعْـــض ناتى لبَعْضى

* * *

قوافـــلاً من ضراعَـــةْ
تطير نحو الشفَـاعةْ . .

تهلُّلاً .. وارتفـــاعَـــا

ولا تقولى الوداعـــا !!

* * *

سيرى مع النُّور ، سيرى

وغلِّغلى فى الأثيـــر ..

* * *

واوغلى فى الـــدهـــور

وفى الزَّمان الكبير ..

* * *

وكلَّمـــا انســـدَّ دربٌ

سيرى ، سيمتدُّ دربُ ..

* * *

ولا تهابى ظـــلامَـــا

ولو تلظَّى ضِراما ..

* * *

فالليل صمتٌ وآهـــةْ

وغفلةٌ .. وانتباهَـهْ

* * *

وليـس للعَفْوِ سدٌّ

ولا زمانٌ ، وبُعدُ ..

* * *

النُّور عَمَّ البقاعـا

فلا تقولي وداعا ..

* * *

إنْ خفَّ إثْمٌ إليكِ

ظمآنَ بالدَّمع يبكى

* * *

فـذكِّريـــهِ بياسـهْ

من المتاب ، وامْسهْ

* * *

وذلِّه ، وانكسارِه ..

وما ألَمَّ بنـــارِهْ ،

ووجهُها في ابتهـــالِ
مُغْفَـــرٌ بـالـزُّوَالِ

• • •

تَغْوِي بِرِيحِ النَّدامَـــةْ
وبانتفـــاضِ المَلاَمَـةْ ..

• • •

ورُخْزُهـــا كالـذَّبيحَـةْ
وكانْتِهاكِ الفضيحةْ ! !

• • •

لا ترْحميـــه بكـــاسِكْ
ولا بأحلامِ نفسِكْ ..

• • •

مُدِّي إليـهِ شعاعـــا
ولا تقولي الوداعاً ..

• • •

مِن عُمْقِ ذاتي وسرِّي

ومِنْ سَراديبِ صَـدْرى

* * *

ومِنْ صلاتى الحزينَـةْ

على ضِفافِ السكينَـةْ

* * *

ومن تَـلـفُّـتِ نـفسى

لعـالَمٍ غيـرِ حسّى

* * *

ومن هَديرِ المعـاصى

ويأسِهَا فى الخـلاصِ

* * *

ومن تَمَـزُّقِ قلبـى

على خَطـا كلِّ ذنـبِ :

* * *

عَرَفْتُ كلَّ وجـودى

سحْراً لهذا النشيدِ . .

فإن أردتِ سماعـــا

فلا تقولي الوداعاً !!

الـلّـــه . . والتـوبـــة

(وشدت بزورقها لجة الظلام . .

إلى الشاطىء فأعياها الوصول)

وشاطىءٍ فى يـديْه
كفّارة للخطـايـا

• • •

نَفَبْتُ يوماً إليـه
بادمُعى وشقايـــا

• • •

وبالمعاصى الّوالتى
صَحِبْتها فى سُرايا

ورُحْتُ أُلقى عليـــه
تَبتلى وهُدايـــــا

• • •

فصِرتُ قبراً غريباً
تناهَشتْهُ المنايـــا

• • •

زفُّوا عليـه غُصوناً
منضَّراتٍ صبَايـــا

• • •

وحمَّلُوهُ طُيـــوراً
لقَّنتْها من غنـايـا

• • •

وصرْتُ بعضَ صلاةٍ
تضمُّ بعضَ الخطايا

• • •

وتَوْبَةً فى خُطاهـا

تمشى الذنوبُ عَرَايا

• • •

كأنّهـا من عـــذابٍ
للإثم صارت مَطَايا

• • •

او انّهـا مِنْ ريـــاءٍ
اضحَت لـديــه مَرَايا

• • •

ذهبْتُ يوماً ونَفْسى
جَرِيحـةٌ تتَعَايَـــا

• • •

وللمعاصى عـــواءٌ
مُدَمْدِمٌ فى الحنَايا

• • •

كـأنّه صـــوتُ ذِئْبٍ
تغافلْتـــهُ الْعشَايـا

أو فتحٌ لقى شوَتَها
من الهجير شظايا

• • •

أو نوْح ثكلَى اهاجَتْ
لها القبورُ خفايـــا

• • •

أو وخزةٌ من ضمير
للعارِ فيه بقايـــا

• • •

أو صرخةٌ من يتيم
تلقّفتْه الـرزايـــا

• • •

حمَلْتُهـــا وكأنّى
حملْتُ هوْل المنايا

• • •

وجئتُ ندمانَ أُزجى

إلى المتاب خطايا

* * *

حيرانَ ضلّ امامي
وضلّ خلفي ورَايا

* * *

وضلّ أفقي وضجّتْ
أرضي لـه وسَمايا

* * *

أبكي وتبكي ويبكي
دمْعي ويبكي بكايا

* * *

وفي يدَيّ غنـــاءٌ
مُوَلْوِلٌ مِن أسايا

* * *

وحفنةٌ من دعـاء
غرفْتُه من بِمايا

مُهَمْهِمٌ فى صبَـــاحى
مزَمْزِمٌ فى مَسايـــا

* * *

كأنَّـــه صـوتُ رُؤْيـا
سجينةٍ فى الخفايـا

* * *

او حُزْنُ طيرٍ غـريـب
فى الليل ينفُخُ نايـــا

* * *

أو مستجيـــرٌ تَـلَبّى
صـــداه نَفْسُ الرزايـا

* * *

أو مُسْتغيثٌ علَيـــــه
يَـرُدُ صوْتُ البلايـــا

* * *

أو ضارعٌ فى زوالٍ . . .

دعـــاؤه من دعايـــا

• • •

يقـولُ : يا ربِّ ! هـــذا
إثمى وهـذى نقايـــا

• • •

وذاكَ ذنْبى وهَـــذِى
على الطريق عَصايا

• • •

ما كنتُ أعْمَى ! ولكِنْ
أعْما المغَنّى شجايـا

• • •

دقّ الدفوف فطارَتْ
إليـــه دنيا هوايـــا

• • •

وطِرْتُ عبْداً أُنادى
فى سِحْرِهِ مُشْهَايا

ربّـاه ! عفْوكَ إنّى
لِلنـور مدّتْ يَدَايـا

* * *

نزعت أسْرار قلبى
وجئتُ ألقى لسايـا

* * *

وأشتكى طَىَّ صدرى
دربـاً سحيقَ الطوايا

* * *

بـــه بـــداتُ ولكنْ
لم ادر مَاَ مُنتهايا

* * *

لم ادر يأسَى فيه !
ولا عرفتُ هدايا !

* * *

ولا عرفتُ ظلامى !

ولا عرفتُ ضُحـايـــا

• • •

ولا لغـيـــــرِكَ دَوّى

يا رب يوماً نِـدايـا . .

• • •

إليك . . أنتَ صبَـاحى

مُصفّدٌ فى مَسَايـا . .

• • •

عبّدان فى الشوْق تاها

وتَهتهـــا بالخطـايـا

• • •

فاسكبْ ضيـاءَك إنّى

ظمانُ ضلّ صـــدايـا

• • •

لمْ ادر من أىّ نُبـــعٍ

اسقى حنين الركايـا

والشطُّ لا مـاء فيـــه
يطفى اللظى فى حشايـا

• • •

رحمـــــاكَ يـا ربِّ إنّى
وزورقى والخطايـــــا .

• • •

فى لُجّـة ليس فيهـــا
من الضيـــاء بقايـــا

• • •

جفّت وغـاضتْ ولكـنْ
ما زلتُ أرْجى رجايـــا

• • •

غفرت أمْ لمْ .. فـــإنّى
ما زلتُ أدعوكَ يا . . يا . .
يا رب ! !

الـلّـــه . . والشّـــرك

كانتِ الأرضُ قصّةً من ظَلامِ
رددتْـهـــا قوافـلُ الأيّـــامِ
وتناجَتْ بها قلوبُ الخيـامِ
واستطارَتْ بها نُفوس الأنَامِ
فهْيَ إعصارُ جِنّةٍ فى قتَامِ
والبرايا فى قبْضتيْه أســارَى

• • •

وَيْكِ يا نارُ . . أىّ سرٍّ حبيسِ
فى لظاكِ راه أهلُ المجوسِ
زمْزَموا بالصّلاة والتقْديسِ

وأراقـوكِ فى شِعـابِ النُّفـوسِ
خمرةَ الحُبِّ من يـدَىْ إبليسِ
ثم طافُوا حَوْلَ اللَّهيب سُكارى

• • •

وبَكَ يا صخْرُ انتَ رملٌ وماءُ
جبَلَتْهُ الرِّيـاحُ والأنْـــواءُ
كيف هلْتْ من طِينكَ الأضواءُ
كيف صبَّتْ بـك الغُيوبَ السَّماءُ
فأتاكَ العُبَّـادُ والخُشَّعَـــاءُ
وتَرامَوْا على يَـدَيْكَ صَغَـارا ؟

• • •

صَنَمٌ أنتَ أم صفَـــاةٌ أَجِبْنى !
ما لجفْنَيْكَ ساهِتَـــان لِجفنَى
ما لكفَّيْـكَ فى هَوَانٍ وجُبْنٍ ،
شلَلَتَـا ؟ يـا أصَمُّ باللهِ دَعْنـى

مِنْ رُبوبيَّـــــةٍ زعَمْـــتَ وفَنٍّ
كيْف يا شَيءُ قدَّستْكَ الصَّحارى ؟ !

* * *

معبَـــدٌ للعبـاد يحنُـــو ويَخْشَـــعْ
ولنَجْوَى الخفَّاش يَصْفُو ويخْضَـعْ
وإذا الرِّيح فى الدِّياجى تزَعْزِعْ :
كبْكَبَـتْ وجهَـــهُ المُعَـــارَ المرقَّعْ
فتلاشَى حَصَاهُ من كلِّ موضعْ . .
ربِّ هذا الظـــلامُ يبْغِى نهـــارا ! !

* * *

ما لتلْكَ الوليـــدةِ المُسْتَضيئَـــهْ
ووُرِيَتْ فى التُّـراب وهْى بَريئَـــهْ
أيُّمـــا سَـوْأَةٍ ، وأىُّ خطيئـــهْ !
يا لتلكَ الآثـــام هبَّـت جَريئَـــهْ
صرْعَ القَوْمُ أمْ دهتْهُمْ خبيئَـــهْ .

صيّـروا نِعْمَـةَ الخَليقةِ عارا !

• • •

عابدَ النَّجْـم لا تَرُعْ من عتابى
لَسْتُ مُعْفِيكَ من عذابِ الجَوابِ
ما الّذى فيكَ من عَطايا الشّهاب ؟
كوكـبٌ يستعيـر ضـوْءَ الثّيابِ
كَيْفَ يُعْطِيكَ ؟ وهو عَبْدٌ يُحَابِى
دَوْرَةَ الشّمس ، والبروجَ الكِبـارا !

• • •

أيُّها الصّابِىءُ الشريـدُ الصـلاةِ
ضيّعَت ما بينَ هـذِهِ اللّفتـاتِ
تعْبُدُ النُّورَ وهْو عبْـدُ الحيـاةِ
عبْدُ منْ بثّـه بتلْكَ الفَـلاةِ ،
ثُمّ القـاهُ فى يَـدِ الظُّلُمـاتِ
فهدا للغُيوبِ فلْكـاً مُنارا . . !

• • •

ما لَـــديْكُمْ يا ضَـــاربى الأزْلامِ
انا اشكُو الطريق ماذا امامى ؟
ما ورائى ؟ ما بدْأتى ؟ ما ختامى ؟
اسألوا السَّهْمَ . . ليس فيه لـرامٍ
نبأً يشتَـفِى لـديّـــــه أوامِى
إنّهـــا ضلّةٌ سقتْكُمْ تبَـــاراً !

* * *

ربَّ هذى مَضَـاربُ الْجاهلِيّـــةْ
خيَّمَتْ فوقَها العُصورُ الشقِيّـــةْ
جامَعَـــا والزمـــانُ يجثُر غيّـةْ
قـادمٌ فى خُطـــاه فجْرُ البريّةْ
وبكفّيْـــه نجْوَةُ البَشَريّـــــةْ
مِنْ قُرونٍ صبّتْ عليها الْخَسَارا . .

* * *

قيلَ بُشْرَى الوجودِ ؟ قالتْ : محمّدْ
فـاكبّتْ أوْثـانُهُمْ وهْى تُعْبَـــدْ

واستجارتْ نيرانُهُمْ وهْى تُخْمَدْ
وتهاوى إيوانُ كسرى المُمَرَّدْ
خَطْرَةُ الطَّيْفِ ! وانتهى كلُّ معْبَدْ
وغداً للزَّمان أعلى منَارا . .
طَهُرَ الكوْنَ من ضلالٍ ورِجْسِ
انقذَ النَّاسَ مِنْ ظلامٍ وبُؤْسِ
كم سرَى نوره إلى كلِّ نفسِ
سيرةَ الشمس بين ماءٍ وغَرْسِ
ينْبتُ الخيرَ للحياةِ ويُرْسِى
مَجْدَها ، أينما على الأرض سارا

• • •

وبيُمناهُ للدُّهورِ كِتابُ
نَوَّرتْ من ضيائه الأحقابُ
وسقَى العالَمين منه عُبابُ
فيه للعصر نَجْدةٌ وإهابُ
فيه عن ظُلْمةِ اللَّيالى حِجابُ

سَرْمَـدِيٌّ يفجّـرُ الأنْـــوارا

• • •

أعْجَزَ المُشْركين منهُ بَيـانٌ
كبُرتْ من جَـلالِهِ الأزمـــانُ
وتهـــاوَى لنُـوره الكهّـــانُ
وجَنَا الجِنُّ روعةً واستكانـوا
فهْوَ بحرٌ من الهـدَى وأمَانُ
كلُّ حىٍّ إليـه يبْغى الفِـرارا

• • •

ربِّ بـارِكْ بنـوره كلَّ عصْرٍ
وأفِضْ هَدْيَهُ علَى كـلِّ مِصْرِ
وانْفح الشرقَ من سَنَاهُ بأزْرِ
يجعلُ الحق فى هوادِيـهِ يَجْرِى
ماضِىَ الخطْو واصلاً كل نَصْرِ
يتَحَـدَّى ويَقْهَرُ الأقْدَارا ...

الـلّـــه . . والوثـنـيـــة

يا هـادِمَ ظُلَمِ الأيّـامِ
ومُذِلَّ جبابِرِ الأصنـــامِ

• • •

ومُبَدِّدَ أكوانٍ ركَعَتْ
لسياطِ قوىً ظـلاّمِ

• • •

يُغْريـه سرابٌ للباسِ
فيقولُ : أنا ربُّ الناسِ

• • •

ويظلُّ يتيهُ بما عزَفَتْ

لخطاهُ اكـــفُ الأوهـــامِ

• • •

حتّى اقبلْتَ بالْهـــــامِ
لا سيْفَ ولا حدَّ حُســـامِ

• • •

ولطغْتَ عُلاهُ بما حملَتْ
يمنـاكَ من الأُلقِ السّـامى

• • •

فانـــدكَّ إلـه الأرْجـــاسِ
بشُعاعٍ من نـور محمّدْ . .

• • •

يا مُطْفِىء نـارِ عجَميّـــةْ
فى الموقِدِ لا حتْ ابـديّـــةْ

• • •

عجماءُ لها نفمٌ . سكبتْ

بيـديّه صَـلاةُ الوثنيّـة

• • •

فجئنا لقداستها كِسْرى
والنّاسُ لهـا ظلّوا اسرى

• • •

حتى اشرفْتَ . . فما سمِعَتْ
إلا بـريـاحٍ ازليّـة

• • •

تحدُوهـا شهْبٌ قدسيّةْ
زارتْ بسمـاءٍ عربيّـة

• • •

فانصعَق لظَاهـا واحتُضَرتْ
امُّ الأربـاب الهَمَجيّـة

• • •

ورمادُ الشرك غـدا عطراً
يتسابَقُ شوقـاً لمحمّدْ

• • •

يا حاملَ شـــرعٍ للأمَمِ
سوّى القيعـــان مع القِمَمِ

• • •

الأرضُ بمن فيها سلَكتْ
ليـــلاً يتـراشق بالظُّلم

• • •

فالعدلُ بهـا عشيَتْ سُبُلُهُ
والحقُّ بهـا شقِيَتْ حِيَلُهُ

• • •

والمجْدُ لركّـــاعٍ صلُبَتْ
كتِفـــاهُ بـذلٌ فى القَدَمِ

• • •

والظلـم قريـر بالصمم
والـعهـــد نعوش للـذمم

• • •

ونفاقُ الوجه كما اختلَجَتْ

حوّلاءُ بضوءٍ منقسِمِ

• • •

والكونُ يُناديهِ خجلَهْ

يا ربِّ اجرِنا بمحمّدْ

• • •

يا راقىء دمْع الباكِينـا

ومشفّع ذنْب العاصِينـا

• • •

جئْناكَ حَيارَى قد نفرَتْ

اعماق الجرح بـوادينا

• • •

حِنْنا عن نور الإيمـان

فغـــدونا عِبرَ الأزمان

• • •

وطنُ الإسلام به فتكَتْ

اطماعُ القوم الطّاغينـا

قـد مزّقناهُ بأيـدينـا
وجَبهْنا الغرب مساكينا

• • •

فرّقنا الأنفُسَ ، واختلفَتْ
حتّى فى الرّوْع أمانينا

• • •

يـا رب أعِـدْنا لِكيـانٍ
أبَـدِىٍّ فى ظِلّ «محمّدْ»

اللـــه . . والطـريـــق

[إيماءة الروح لخطوات النبى . .

فى طريقه من الغار إلى المدينة]

كلُّ حَصَاةٍ فى الطَّريق اوْمأتْ تنتظرُ
وكلُّ ذرّاتِ الأثيـــر أقْبلَتْ تُكبّـرُ . .

* * *

والرّيحُ مِنْ كُلِّ اتّجاهٍ ايْقظتْ ربابَهـا
واسبَلَتْ على جبينِ أُفقِهـا اهـدابَهـا

* * *

واسْترْسلَتْ تعزِف لِلسُّكونِ من صلَاتِها
وتَسْتعيـدُ شَجْوَها همْساً علىَ لَهاتِها

* * *

وتُسْمِعُ الْجِبالَ من تسْبيحها أنْغامـــا
لم تدرِ كيف انْحَدَرَتْ من قلْبهـــا إلهاماً

* * *

والفَجْرُ من مَزارِه للنَّعْسانِ فى وجْـــه الْوَتَنْ
ردَّ خُطاهُ لِخُطاً جـديـــدةٍ على الزَّمَنْ . .

* * *

جاءَتْ تهزُّ مُطرِقـــاً أمـــام ربٍّ مطـــرقِ
كِـلاهُمـــا وهْمٌ لوَهْمٍ جاهِـــلٍ مُلَفَّق !

* * *

جاءتْ تردُّ الظلمَ مَدحوراً إلى طاغوتِـــه
نَـدامـةً مذْعُورةً تصرخُ فى تابوتِـــه !

* * *

جاءتْ . . تؤَجِّ نارُهـــا تـأوُّهَ المضطهَـــدِ
وتُضْرِمُ الإبـــاءَ فى جبينـــهِ المستَعْبَدِ !

* * *

جاءَتْ ونورُ اللهِ يَحْدو الخطْوَ فى طريقِهـا

والكونُ يَسْتافُ عبيرَ الصَّحْوِ من شُروقِها

• • •

والبيدُ ليلٌ ضارعٌ في القيدِ حولَ الصَّنَمِ
والناسُ أوْهامٌ تدورُ في ضلالِها المُلَثَّمِ !

• • •

في خَيْمةٍ خَيَّمَ فيها الرقُّ منذُ الأزلِ
وغمغمَ الإنْسانُ حول قيْدِهِ المكبَّلِ ..

• • •

جاءَتْ إليه ، تَنْزَعُ الهَوانَ من جبينِهِ
وتَحْصُدُ الإطْراقَ والذِّلَّةَ مِنْ جفونِهِ !

• • •

جاءتْ .. من الغارِ .. من النُّورِ .. خُطا «محمدٍ»
طوبَى لَمَنْ خفَّ إليها بالضياءِ يَهْتَدِي !!

اللـــه . . والجبـــل

[مع خُطا الهاتفين شوقاً لعرفات]

يا مُجيبَ الـدَّعَواتِ جئـتُ أُزْجِي صلَواتي
ضارعاً تخشَعُ عيداني . . وتجْثُو نغَمـاتي
وتُناديك صَباباتي بكلِّ اللَّهجاتِ
إنْ تلَفَّتُ فمنـكَ النـور يطْوِى لَفَتَـاتي
أوْ تهامسْتُ أحسُّ النورَ يغْزو همَسَاتي
وإذا أدْعُو . . أرَى الأنوارَ تُرْدى كَلِماتي
وإذا أصمتُ ، يدعُو كلُّ شيءٍ فى حَياتي ! !
نشوةُ الإيمـانِ بحرٌ زاخرٌ بالرَّحمَـاتِ
وجِنـانٌ فى فضـاء النَّفْس خُضْرُ الرُّبَواتِ
تصدَحُ الأحلامُ فيهـا كطُيور ناغِمـاتِ

ويفيضُ الطُّهْرُ منهـا كعُيونٍ جاريـاتِ
وتَعُبُّ الروحُ منها كلَّ أطيابِ الحياةِ . .

• • •

ذلكَ الضَّـاربُ فى ليلٍ وضـىء الظُّلُماتِ
مزَّقَ الشوقُ حناياه لِطَيْفِ المَقْفِراتِ
غنّتِ الحُبُّ لياليـــه وجنّت بالغَـــــداة
وتلاشتْ فى صداهُ كهزيجِ السَّاقياتِ ! !
ظامىءٌ للنـور ملْهوفُ الحَشا والنَّظَراتِ . .
أرأيْتَ الطيْرَ فى دعـوتهـــا للربَـــواتِ ؟
أرأيـتَ الريـحَ فى هبّتهـــا بالْفَلَـــواتِ ؟
أرأيْتَ الحلْمَ فى صَحْوة جفْنٍ من سُبَاتِ ؟
هكذا ينْفُضُهُ الوجْـد لِرؤْيـا عَرَفَـاتِ . .
والهاً يشتاقُ فى واديه بعض الخُطواتِ !
يتمنّى لو تكونُ الـروحُ ذَرَّ الحَصَيَـاتِ
وتكون النفس هَمْسـاً حائماً بالشُّرفاتِ . .
ايهـا النُّور . . سلاماً قُدْسىَّ النفَحَـاتِ

تُرْبُكَ الميمونُ قُدْسٌ شاهقُ الحُرُمَاتِ
كلُّ منْ مرَّ عليْـه مرَّ مسحورَ السِّمَاتِ
هُرِعَ النَّاسُ إلى بابكَ من كلِّ الجهاتِ
طَرَحوا الدنْيا وخفُّوا بقلوب نادمَاتِ
حُسَّراً يمشُون لله بأيْـدٍ ضارعَـاتِ
وصدورٍ حانياتٍ من عـذابِ المَعْصِيَـاتِ
وقلوب جـارَتْ اسرارُهـا بالتَّلْبِيَـاتِ
وجُفُونٍ من ضيـاءِ الله دارتْ مُسْبَلاتِ
ونفـوس قانتـاتٍ تائبـاتٍ عـابـداتِ
ناشئاتٍ فى رحيقِ النورِ نَشْوى فانياتِ
عاشقاتٍ منبعَ الطهر منارَ الْكائنـاتِ
سيِّد الدنْيا ، شفيعَ الحقِّ ، سرَّ الرحمَاتِ !
ربِّ باركْنا بـه .. آصالَنَـا والغدَوَاتِ
وابعثِ الشرق بنورٍ منك ضاحى اللَّمحاتِ
ويُعيدُ المَّيت الهامـدَ حياً للحيـاةِ
بعد ما شابتْ به الأغـلالُ فى اسر الطُّغـاةِ

قبْضَ الله له ناراً على كَفِّ العُتاةِ
شبّها الأحرار فى وجْه القُيود الغاشِماتِ
فتلاشتْ فى لَظاها بين أطباق الرُّفاتِ . .

سجـــدة لله

كلّما هلّ صبـــاحْ
وهفا كلُّ جنـــاحْ
وعلى الربوةِ صـاحْ ،

* * *

بلبـلٌ يشكـو هوَاهْ ؛
ردّدى شكْـــــواهْ
واسجـــدى لله !!

* * *

كُـلّمـــــا رنّ أذانْ
موقظـاً سمْعَ الزّمانْ

وشـــدا كلُّ جَنَـــانْ

• • •

ضارعاً يدعو سَمَاهْ . .

فـاسمَعِي نَجْـــواهْ

واسجُـــدِي لله . .

• • •

كلَّمـــا رفْرَفَ عـودْ

راقصاً بَيْن الـوُرودْ

ومضَى فوْقَ الـوجودْ

• • •

هاتفاً يُحْيِي رُباهْ . .

بـاركي دُنْيـــــاهْ

واسْجُـــدي لله . .

• • •

إيهِ يا نفسُ اسْتعِيني

بالرِّضا في كلِّ حينِ

فهْوَ نورٌ لِليقينِ ،

• • •

وهْوَ صفْوٌ للحياةْ

وهْوَ من نور الالـــهْ

فاسجُـــــدِى لهْ

• • •

اللّـه . . والطبيعة

رب سبحانك دوماً يا إلهى
نغمة تسرى بقلبى وشفاهى

• • •

كلّما غرّد طير فى خميلَهْ
وصفتْ للحب دنياه الجميلَهْ

• • •

وتهادَى العطرُ فى الريْوةِ من دَرْبٍ لدَرْبِ
عاشقاً يبحث فى البستان عن قلْبٍ وحُبّ

• • •

نَسَى العطرُ خطاهُ وخَبَا شدْوُ الطيور

ونهلتُ السحرَ والإيمانَ من صمتِ الزهورِ

• • •

ورأيتُ الحبَّ ينسابُ دُعـاءً من شفـاهى
وغناءً من صفاءِ الروحِ يَجْرى .. يا إلاهى

• • •

كلمـــا قبّـــلَ ضـــوءُ الشمس زهـرةْ
وانحنَى الغصـنُ لهـــا ينقُـــل سـرّهْ.

• • •

لاح لى وجهُـــك فى كلّ شعـــاع يتَجلّى
يَمْـلأ الأيّـــام عطـراً وانشيـــداً وظـلاّ
ساقِى الإيمانِ من نورك طُفْ بالكأس واملأ

• • •

واسقِنى واشرَبْ .. ولا تَحْرِمْ من النور شفاهى
فاغنّى .. ربِّ سبحانكَ دوْمـــاً يـــا إلاهى

• • •

كلّمـــا اشـرقَ بالإيمـــان صَـــدْرى

وهفَتْ اشواقُـــه الكبـــرى بثَغْرى

• • •

ثملَتْ روحى من الحب ولاذَتْ عنـد بابـكْ
ورنا قلْبى فشاهدَتْ السنـا خلْفَ حِجـابِكْ

• • •

وهفَتْ عينى فابصرتُكَ فى كلّ زمـان
وانتشَتْ روحى . . فشاهدتُكَ فى كلّ مكانِ

• • •

قوتى منكَ ومنها تنهلُ الحمْدَ شفـاهى
وتغنّى الروحُ تسبيحـاً وشكراً يا إلاهى

• • •

إنْ يكن ذنبـى ثـوارى عن ضميـرى
وخطا التوبـــة تاهـت فى المسيـر

• • •

فانَا فى كُلّ خطْوى ، لكَ حمـدٌ ومتَاب

وحنين رددتـــــه حولَ ايّامى الشعـــاب

• • •

فاسكُبْ النُّور لقلبى ، وارو بالسحر شِفَاهِى
فاغنّى .. رب سبحانكَ دوماً يا إلاهى !

اللـــه .. والريـــاء

إن كنتَ لا تعرفُ سرَّ دمعةٍ يـذرفهـا الفقيـرْ
يسقى بهـا خريفَهُ العطشـانَ فى لُهاثِه المريـر
فيزرعُ الوهْمُ على جُفونـه بستـانَهُ النضيـرْ
. . . . ثمارُهُ دانيةُ القطـافْ
. . ظلالُهُ وارفـةُ الضفـافْ
لكنَّها لا شئَ ! ! حين ينْحنى ، ويبْسُطُ اليمينْ
حزينةً ، مسكينـةً ، مقهـورةَ الـدعـاءِ والأنينْ
تقولُ من حسْرتها . . : ربَّاهْ !
يا مُسْـرِعاً فى خطوه للهِ . .
خفِّفْ قليلاً تُنقـذُ الحيـاهْ !
وتخدعُ المحرومَ عن أساهْ ! !

إن كنتَ لا تُبصرُ هذا السِّرَّ فى خشوعِك الْقَرِيرْ
فأىُّ شىءٍ نحوَه سبَّابـــةٌ كذَّابةٌ تُشيـــرْ ؟!
إن كنتَ لا تَسْمعُ سرَّ آهةٍ على فم اليتيـــم
تسمعُها !! لكنَّها تَمْرُقُ من رِيائِكَ الرَّخِيـــمْ
انشودةً من وَتَرٍ عائث عليـــه رعشةُ النسيمْ
يعْزِفُهـــا تلفُّتٌ سجِينْ
من نظرةٍ شلَّت علىَ الجبين
يغتالُها الملالُ ، والحيرةُ ، والتوجُّعُ الدفيـن
ويشتكى إباؤها الشقىُّ من سُخريـة العيون
يصيـح من اغـــلاله : ربَّـــاهْ !!
يا مسـرعـــاً فى خطـوه لله . .
خفقةَ قلبٍ تنقـــذُ الحيـــاه ،
قبلَ اتِّجاه الخطْو للصَّلاه . . !
إن كنتَ لا تسْمعُ هـذا السِّرَّ فى بكائِـــه الأليم ،
فأىُّ ربٍّ نحـوه اتَّجهْتَ فى سجـودكَ العظِيمْ ؟!
إن كنـتَ لا تـــدرى بأنَّ الله لم يظْلِمْكَ فى نعمتِـــهِ
إلا لتمتدَّ بهـا للبائس المحـروم من لقمتـــهِ

لكلّ كفّ شلّهـــا البغيُ لتنســـاب إلى نظرتِهِ . .

وتفتدى بوجهـه الرحيقْ

يلعقُ منه زيفُك العريق

ويتـركُ الإحســاس بالإنســان فى إيمائهـا الحزين

مَتاهةً صمّاءَ . . رنّ فوقهـا تفجُّعُ السنيـن . .

يصيحُ من اساه : يا ربّاهُ !

يا ساجـداً بوجهــه لله . .

يا مغرق الوجوه فى تُقاه !

وسابحاً بالزُّور فى هُداه !

إن كنـتَ لَم تَـدْر ضيــاءَ الله فيما شعَّ من رحمتِهِ ،

فكيفَ يا زورَ التقى كفَنْتَ هذا السرَّ فى سَجْدتِهِ ! !

أذان الله

يا أذانَ الحق يا صوْتَ السماء
طُفْ على الدنيا ، ورفرف بالنداء
واملأ الأرواحَ من نور الرجاء

• • •

أنتَ لحنٌ عاطرٌ يهدى قلوب الحائرينا
ورحيقٌ طاهر ، يروى يقينَ المؤمنينا
فانشر الرحمةَ فى كلِّ صباح ومساء
واسكب التَّوحيدَ واصعد بين أجواز الفضاء
أنتَ صوتُ الله يهدى بهداهُ الغافلينا
ربِّ سبحانكَ لا تُحصِى أياديك صِفاتُ

للهـــدى والْحق ناديتَ فلبتْكَ الحيَـاةُ
وإلَى عرشِك طارتْ كلُّ أسراب الدعـاء
فاسقنا ما شئت . . من عَفْوٍ وصفو وضياء
فالهدى منكَ ، ومن نورك تجرى الرحمـاتُ
سبّحتْ باسمـك يا ربُّ شفـاهٌ وقلوبُ
والسمواتُ العلا ، والأرضُ والكونُ الرحيبُ
وجرتْ بالحمـد والإيمـان أنفاسُ الهـواء
قانتاتٍ ، عابداتٍ ، ضارعـاتٍ للسمـاء
ربّنا افتحْ قلبنا للحقّ . . أنتَ المستجيبُ ! !

داع إلى الـلّـــه

(للـــؤذن)

[فى ذلك الصوت العميق الذى يهتف فى صمت السحر
من القباب والمآذن تتدفق روحية الشرق . ويهتز الجو
بأشباح وطيوف شعرية هذاه . .]

وشاعر فى الفجْر يَسْبِى النُّهَى
بِسَوْرة جلت عن المأثـــــمِ

• • •

خيالُه من سِـــــدْرة المنْتَهى
ولحنُـــه من وتر الأنجـــمِ
عَفُّ التَّرانيم .. إنا نَصُّهـــا

كـادت تضيء الطهـرَ فوق الفمِ

• • •

مُعتّهَر اللـّحْن ، إذا ما شدا

ورجع الأنغـــام فى فجـرِهِ

• • •

نخالُه مجْمرَةً ، والصـدى

فوْحَ التقَى ينساب من ثغرِهِ

وسائـر الكون لـه معبـــداً

ترعـــه الإيمان من طهرِهِ !

• • •

النُّور - لمّا صـاح فى جوّه -

هلّلَ بالأضـواء من فرْحتـهْ

• • •

ولاح كالنشوان من شـــدوه

يرقص من بِشْرٍ على صيحتهْ

• • •

كتْم سرّ الشمس لم يرْوه
إلا لذاك الصبُّ ، في نشْوَتِهْ

* * *

كبر حتى خف من صدحه
من نام في الكوخ ومن لم ينم

* * *

والديك لمّا رن في سطحه
صوت ندى اللحن زاكي النغمْ

* * *

ورتل الأنغام في صبحه
يطرى بها النور ويهجو الظلم

* * *

تلك النجوم الغُرُّ لما رنا
وطيْر النجوَى لها نغمةْ ،

* * *

. . حبّات نور ضافياتُ السنا

جَوْهَرَهَـــا اللهُ لَـــه سُبْحَةً

• • •

وقال : يا هتّاف إنّى هنـــا

اسمعها منـــك منىً عفّةً . .

• • •

جنّحتها بالطهر حتى غـــدتْ

ازكى من الزهر غذته النطَفْ

• • •

ريّانةُ الأصـــداءِ إمّا شـــدَتْ

جلّى لهـا العرش رخى السجف

• • •

فحوّمتْ فى قُدْســـه وارتوَتْ

من منبع الرحمة هذّبَ الرُّشَفْ

• • •

هذى الطيور البيض قد رفْرفَتْ

تعانق التسبيح من مَسْجِدِهْ

والسُّبْحةُ العــذراء قد طُوفَتْ
كانهـــا ناسكـــةٌ فى يـــدِهْ

* * *

ظمأى إلى الإيمانِ قد اشرفَتْ
تَفْنى من الشوق على موردِهْ

اللـــه . . والزمـــن
رمـضـــان

أضيفٌ أنتَ حلَّ على الأنَامِ
واقسمَ أنْ يُحيّا بالصّيام ؟ !
قطعْتَ الدهر جوّابـــاً وفيّاً
يَعودُ مَزارُهُ فى كلّ عـــام
تُخَيِّـــم . . لا يَحدُّ حمـاكَ ركنٌ
فكلُّ الأرض مهدٌ للخيـــام
نسَخْتَ شعائرَ الضّيفـان ، لمّا
قنِعْتَ من الضّيافـة بالمقامِ
ورُحْتَ تَسُنُّ للأجـوادِ شرْعـاً
من الإحســان علْوِىِّ النظـام .

بأنَّ الجـودَ حِرْمـــانٌ وزُهْدٌ
أعزُّ من الشَّراب أو الطَّعـام ! !

* * *

أشهرٌ أنتَ أم رُؤْيا متَـــابِ
تألَّقَ طيْفُها مثل الشِّهابِ ؟
تَمَرَّغَ فى ظلالكَ كلُّ عاصٍ
وكلُّ مُرَجَّسٍ دَنِسِ الإهـابِ
فأنتَ مُحيِّر الآثام . . تَجْرى
فتَلْحقهـا بأحـلام العـذابِ
تَرَاكَ شفيعَ تَوْبَتها ، فتَخْزَى ؛
وتُوأدُ تحت أجنحةِ الشَّبـابِ !
وأنْتَ مَنارة الغُفْران ، يأوِى
إليـكَ اليـائسون من المتَابِ
وعندَ اللهِ سُؤْلُك مستَجَـابٌ
ولو حُمِّلْتَ أوْزارَ التُّـــراب ! !
وقفتَ خُطاكَ عندَ البائسينـــا

فكنتَ لليَلهمْ فلقاً مُبينـــا
تُساقُ إليـكَ امواجُ التَّحايـــا
فتدْفعُها لبـــابِ المُعْوِزينـــا
فكم آهـــات محْروم حدَاهـــا
إليك البؤسُ ! فانقلَبَتْ رَنينا . . .
فانتَ مفزَع البُخْال .. تَجْرى
خُطاكَ على حجارتهمْ مَعينـــا
وأنتَ مُلْقن الأيْـدى نَـداهـــا
ومُكْسبُها التَّراحُمَ والْحنينـــا
يُخافـــكَ كلُّ قـــارونٍ شَحيحٍ
فيخْجلُ انْ يردُّ السائلينـــا
ومُنْذُ تهلُّ ترهبُكَ الـذُّنـــوبُ
وتَخْتَشعُ السرائرُ والقلـــوبُ
وتفـزعُ ان تقـــابلك المعاصى
فتُهْرَعُ ، او تُقنَّعُ ، او تـــذُوبُ
ويُجْفلُ انْ يراك أخو هَواهـــا

ولو قتلتْ مشاعرهَ العيُـوبُ
كأنّكَ فارسُ الأيّـام ، تبـدُو
فيصعقهـا مُهنّدُكَ الغضُوبُ
كأنّ بكفّك البيضـــاء سرّاً
من النّجْوى تكتّمهُ الغيُـوبُ
تُجابـهُ كلّ غيّانٍ عنيـــدٍ
فيكْتتِـمُ الغوايـــةَ أوْ يتُوبُ
جعلتَ النّاس فى وقت المغيبِ
عبيدَ ندائكَ العاتى الرّهيبِ . .
كم ارتقبُوا الأذانَ كأنّ جُرْحاً
يُعـذّبهُـمْ تلفّتْ للطّبيـب . .
وأتلعَتِ الرّقاب بهم ، فلاحوا
كرُكْبـانٍ علَى بلَدٍ غَريبِ . .
عُتاةُ الإنْسِ ، أنتَ نسختَ منهم
تذلّلَ أوْجُـهٍ وضنى جنُـوبِ
فيا . . من لقْمـة ، حفيـف مـاءٍ

يُقْلِب روحَه فوقَ اللهيـــب :
علامَ البغْيُ والطغيان ؟ ! إنّى
كفَرْتُ بمنطق الدنيا العَجِيبِ !
تَلَفَّتُ للمـــاذِنِ حاليـــاتٍ
كَحُورِيّات خلْـــد سافِـراتِ
تفوحُ مبـــاخرُ النُسّاك منهـــا
فتحْسُبُها غُصـوناً عاطـراتِ
تلألأ حولهـــا اطـــواق نـــور
كأنكَ حامِلٌ وحْيـاً إليهـــا
وقَفْنَ لسِحْـــرِه متلهفـــاتِ
إذا صاحَ الأذانُ بهـــا أرنَّتْ
بألْهامٍ كموْجِ البَحْرِ عـــاتِ
يذكّرُ بالهدايـــــةِ كلَّ ناسٍ
ويُوقظُ كلَّ غـافٍ فى الحَيَـاةِ !
وهـــذا المُعْجِزُ العـالى الرَّخيمُ
أذانُ الله ، والـــذكْرُ الحكيـم . .

تَلأَهُ فى سكـون الليـل تـالٍ
فكاد لِهَوْله تَهْوِى النُّجـومُ ..
نِداء تفزَعُ الأفـــلاك منـــه
ويخشَعُ فى مساريـه السَّديمُ ..
على سمْع الهُداة يَضُوعُ عطْراً
وتَقْذفُ منه للغاوى رُجُومُ ..
أصاغَ الكونُ مسحوراً إليـــه
وخرَّ لباسِه الأزلُ القـديمُ ..
تَنَزَّلَ فوق صدرِكَ منْ عـلاه
يشيرُ الوَحْى ، والدِّينُ القَويمُ
سـلامـاً ناسكَ الزَّمنِ القَوىّ
من القلب الحزينِ الشاعرىّ ..
حملت إليـك اشواقى وسِرّى
لتَحْملهـا إلى الأفُق العَلِىّ ..
تمانَعنى التعبُّـدُ بالأغـانى
على نغَمات قيْثـارٍ شقِىّ ..

امرُّ بها على زمنى غريبـــاً
كطيّرٍ تـــاهَ فى ظُلَـمِ الْعَشِيِّ . .
واعزِفُ للصّبائـــحِ والأمـاسى
فينْتَفِضُ الغنـــاءُ لِكُلِّ حَىٍّ . .
كـــانى ما نرفتُ أسَى زمـانى
ولا أفْضَى صَـــدايَ بأىِّ شَىٍّ ! !
طَلَعْتَ منـوّراً فـوق العبـــادِ
فايقظْ من تشبّثَ بالرُّقـادِ . .
وقلْ للشّرق : إنّ الكـون يَمْشى
على سبُلٍ مغيّبـةِ الرّشـــادِ . .
فخذْ لزمانـــكَ الزّاد المرَجّى
من الخُلُقِ القويم والاتّحـــادِ . .
ولا يوقفْكَ فى التيـــار هوْلٌ
فنارُ الهوْل ، نورٌ للجهادِ . .
لقـــد ملّتْ تقلُّبنـــا اللّيـالى
على وَضَرِ التّنعّمِ والفَسَـــادِ . .

شَـــدا لكَ بالأنان خميـــلُ مصْـــرِ
فقُمْ . . وانشُرْ صَداهُ على الهَوادِي ! ! . .

• • •

صـــلاة الـلّـــه

[.. وسلامهُ على نبيِّهِ الأمين]

اصلّى عليكْ ..
وكلُّ الوجـود صـلاةٌ وشـوقٌ إليـكْ
اصلّى عليك ..
ونورُ الهـــدَى ساطعٌ من يـــديكْ
وروحى نَشيدٌ من الحُب يهفو لديكْ
اصلّى بـقلبـى ، واعمـــــاقِ حبّى
وامشى وانتَ الضّيـــاء لِـــدَرْبى
وكلّى حنيـــنٌ وشـــوْقٌ إليـــكْ
اصلّى عليكَ .. وصلّى وسلّم نُورُ الالهْ
وصلّتْ عليكَ جميـــعُ الحيَـــاهْ

عليكَ الصلاةُ

عليك السّلامْ

• • •

رفَعْتَ المنـــــارات للحائـــرينْ

ونـــوّرْتَ بالحـــق للعـــالمين

وبالعـــدْل صُنْتَ إبـــاء الجَبينْ

ووَحْيُ السّمـــا هلّ من راحَتَيْـــكْ

وكلُّ البَرايـــا تصلّى عليْـــك

عليكَ الصلاةُ

عليك السّلامْ

• • •

أصلّى عليكَ . . ضِيَاءً وطهراً لأحلامِنا

أصلّى عليكَ . . إبـــاءً ، ونَصْراً لأيّامِنا

فمِنْ نـورِ خَطْـوِكَ شَعّ الفـــداءْ

ومِنْ نُورِ هـدْيِكَ يأتي الرّجـــاءْ

أُصلّى عليكَ وصلّى وسلّمَ نـورُ الإلـــهْ

وصلّتْ عليكَ جَميعُ الحيَاةْ

عليكَ الصلاةُ

عليك السّلامْ

• • •

للـــــك لله

[بجنبيْ طيرٌ غريبُ الجناح]

على الأرض نُورْ . . وفى الأُفْق نُورْ . .
وفى كلّ قلبٍ شعـــاعٌ يـــــدورْ
ولحنٌ يُسَبِّـــــح طىَّ الصُّـــــدورْ
ويستغفـــــرُ اللهَ مِنْ كـلّ ذَنْـــبٍ
ويـــــدعوك يـا ربّ . . انتَ الملبّى ،
ولبّيْكَ . . انتَ الرحيـــمُ الغفـــورْ . .

• • •

إلهى . . تبـــــاركتَ ربُّ السمـــــاءْ
مع الليـلِ تبعَثُ فجْـرَ الضيّـــــاءْ

وتفتحُ لليـــاس بـابَ الرَّجـــاءْ
وما خـــابَ من ظلَّلتْهُ يَـــــداكْ
ولا ضلَّ فى خطْوهِ منْ دعـــاكْ
فانتَ السَّميعُ بهمْسِ الدُّعـــاءْ . .

* * *

لكَ المُلْكُ والحَمْدُ . . انتَ النَّصيرْ
وانـتَ الأمـــانُ لمن يَستجيـــرْ
وأنتَ لِمَنْ قالَ : يا ربِّ . . نُوِّرْ . .
يَرُدُّ السكينـــــةَ لِلْحـائـــرينْ
ويَسْكُبُ للرُّوحِ نـورَ اليقيـنْ
ويَمْحُو الأسَى من ظلامِ الصُّدورْ . .

* * *

إلهى دعَوْتُـــكَ ! فاقْبَلْ دُعـائى
وناديتُ يا ربِّ . . فاسمَعْ نِـــدائى
وَمَنْ غيْرُ بابِكَ يُحْيى رَجَـائى ؟
فامضى إلى النـورِ خلْـفَ الحجابِ

صلاةً تغنّى بقدسِ الضيـــاءْ

• • •

بجنْبَي طيرٌ غريبُ الجنـــاحِ
يُغنّى ، وتُصغى إليــه جِراحى
ويبْسطُ كفّيْه عنــد الصّباح :
إلهى ! اعنّى ، وبـارِكْ صلاتى
وبالعفْوِ طهّرْ خُطـا ، مَعْصِياتى
ويا رب بالنـور ساعــد جناحى

• • •

إلهى وما لى دعـاءٌ سِواكـــا
ولا لى مع الصبـح إلاّ ضِيـاكـا
ولا عونَ للرُّوح إلا يَـــداكـا
إذا رفْرَفَتْ كنتَ فيهـا الـدُّعاء
وإن هتفَتْ كنتَ نُورَ الرَّجـــاءْ
فما لِى ، ولا لِى ، مُجِيرٌ عَداكَا ! !

الحمد لله

يا ربّنا لك الصلاة
والحمدُ من كلّ الحياه

* * *

من زهْرةٍ على الغصون
لهفانةٍ إلى نداكْ

* * *

من دمعةٍ على الجفونْ
ظمآنة إلى رضاكْ

* * *

منْ بَسمةٍ على العُيونْ
ولهانةٍ إلى ضياكْ

من تائبٍ إلَى حِماكَ . . .
هلَّلَتْ خطـــــــاه

• • •

منْ ضارعٍ إلى عُـلاكَ
كبَّـــرتْ يـــــداهْ

• • •

«يا ربَّنـا لك الصـــلاة»
«والحمد من كل الحياه»

• • •

يا رحمـــةً للتـــائبينْ
للعفْوِ لا نرجو ســـواكْ

• • •

يا مـونـــلاً للحـائـرينْ
طوبَى لِمَنْ يلقَى هُـداك

• • •

يا غوْثَ كلِّ العالَمينْ

حمـــــداً لمـــا تُعْطِي يَـــــداك

* * *

بكلّ ما تحْيَا الحيـــــاةُ نعْبُـــــدكْ

وكـلُّ ما فـوق الثـرى يوحّـــــدكْ

* * *

وكلُّنـــــا نـدعـوكَ يـــا ربَّـــاهْ

يا ربَّنا لكَ الصلاةُ والحمد من كلِ الحياه !

سبحان الله

ربِّ سبْحانكَ فى أعلى عُلاكْ
كلَّما نـدعوكَ . . تُعطينا يـداكْ

* * *

خيَّمَ الليلُ ، فنـاديتُ . . إلهى
فـــإذا الكـونُ ضيـــاءْ
وجرَى الـدمعُ فنـاديتُ . إلهى
فإذا الـدُّنيـــا صفَـــاءْ
والرِّضا يغْمُرُ قلْبى وشِفـاهى
وتُنـــاجينى السَّمـــاءْ
«ربِّ سبحانك فى أعلى عُلاكْ»

«كلّما ندعوكَ تعطينا يـداك»

• • •

كلّما تُشرق شمسٌ أو تَغيبْ
يَمْـلأ القلـبَ ضيـــــــاكْ
وإذا ضاقَتْ من اليأس القلوبْ
يغمُـــــر الروحَ هُـــــداكْ
وإذا ملّتْ من العفـو الـذنوبْ
صـافحَ النـفسَ رضـــــاكْ
«ربْ سبحانك فى أعلى علاك»
كلّما ندعوك . . تعطينا يـداك»

بيـــت اللّـــه

إلهي سعينـــا مع الموكب
هُيامـاً إلى البلـد الطيب

• • •

ظمئنا وفزنا بحظ الوصول
ومن غيـر نورك لم نَشربِ

• • •

ظمئنا فقرّب إلينـا الرحيق
وجُدْ بالمتابِ على المـذنبِ

• • •

ولبيك . . لبيك ربّ السماء
فقربِ خطانـا لأرض النبيِ

• • •

نبيُّ الهدى ورسولُ السلامْ
حادي الشفاعةَ يومَ الزحامِ

* * *

حملت الهدايةَ للحائرينْ
وفجرتَ بالنورِ قلبَ الظلامْ

* * *

وكنت المنارة للعالمين
وكنت الكرامة تحدو الأنام

* * *

فطوبى لمن زار هذا الضياء
عليه الصلاةُ عليه السلامْ

* * *

ولما نزلنا بأرض الهدى
وردَ السلامَ حَمَامُ الحَرَمْ
وطفنا مع الشوق حولِ الستورْ
ورحنا بأروحِنا نستلِمْ

* * *

دعونَا وماذا تقولُ الشفـــــاه
إذا الـروحُ غنتْ بسحـرِ النغـمْ

* * *

ففـابـــت ذنـــوب وذابت قلـــوبْ
من العينِ تسكبُ دمعَ النـــدم

* * *

هنـا النـورُ يشرُقُ فى كل عيـــنْ
هنـا العطرُ يسبحُ فى الروضتينِ

* * *

هنا الرُّوح فى عتبات الضياءِ
وفوق الصَّفا وعلى المروتينِ

* * *

صفـــاء يعطِّر كلَ الـــدروبْ
وطهـــرٌ يفيضُ على الجـــانبيـنْ

* * *

هنـا مهبط الوحى من سار فيـــه
ســرى هائـم الـروح فى جنتيـن

الديـــوان

الثانى عشـــر

نهـر الحقيقـة

أهـــداء

ابنتى أسحار

وراء كل نغَم فى نهر الحقيقة

رفض وإصرار لكل ما يخفى حقيقة القيَم

والمثل العليا للإنسان بزور الحياة

وغِش الإنسان ! فانسجى

حياتك من هذا الرفض بالإيمان

وقوة الذات لتكونى مثلاً

مضيئاً فى الحياة

٧ / ٤ / ١٩٧٢

وجُودى حقيقه

وشُدوى حقيقه

وما اشتقت دَرْباً على ساعديه تموت الحقيقَهَ

. . اغنّى السَّرابَ لتنشقّ منهُ ،

ضفافٌ من النور تُجْلى طريقهّ

. . وأُسْرِجُ للوَهْم خيلا من الرُّوحِ ،

. . تخطفُ مِن راحتَيه بُروقهْ

وتُفْنى شقُوقهْ

وتأتى به راكعاً للحقيقه ! !

نهـــر الحـقـيـقـــة

وُجودى حقيقةْ

وناتى حقيقه

وانّى على الأرض طيرٌ يغنّى . . حقيقةْ

ونور الحقيقه سرُّ الحياةِ ، وسرُّ الأملْ ،

ومَن لم يَسْرِ فى ضياهُ ،

سيَمْشى ، ويَمْشى . .

ولو داس خدَّ الجبلْ ،

وشقَّ الرياحَ بجنِّ الخيالِ ،

ووَهْمِ المُحالِ ، وحلْم الأزلْ ،

سيَمْشى ، ويمشى . .

ويلقى عصاهُ أخيرا على تُرُهاتِ الفشلْ !

• • •

وجودى حقيقةٌ

وشدْوى حقيقةٌ

وما اشتقْتُ دربا على ساعديْه تموت الحقيقةْ

أغنّى السرابَ

لتنشقَّ منه ضفافٌ من النور ،

تُجلى طريقةْ . .

وأُسْرِجُ للوهم خيْلاً من الروحِ ،

تَخْطف مِن راحتيْه بُروقةْ

وتغنّى شقُوقه

وتأتى به راكعاً للحقيقةْ

على وَجهه زفّةٌ للندامةْ

وفى خدِّه من ضحايا الضّلالةِ . .

والتّيهِ . . . أخْزَى علامةْ

فَمِنْ غيْر سرٍّ ، جنَا للغُبارْ

ومن غير نورٍ ، بكَى واستدارَ ،

وخرَّ على الأرض عبْدَ الجدارْ !

ونادى على القوتِ ، وهْو سليبُ الحراكْ

ومن فوقه عابرٌ فى السَّماكْ

اذلَّ الأثيرَ ،

وشدَّ العصَوْرَ بأقدامه فوق صدر القمَرْ !

وما لى . . ومَن يرضَعُ الثُّرْهاتِ ؟

ويَظلمُ بالليل نورَ القدَرْ ، !

وكل الذى حول دنياه . . عبد الحقيقةْ . .

وعبد الذى صاغَ كلَّ كيان الحقيقـةْ !

هُوَ اللهُ . .

فى كل قلبٍ مُضىءٍ . . حقيقةْ

ولا غيرهُ ، . .

فى حُداء الليالى حقيقةْ

نَماها ، وأوجد فيها الضّياءْ

وللعقل مدَّ طريق الرَّجاء

فكلهُ ابتداءٍ ، حقيقةْ

وكل انتهاءٍ ، حقيقةْ

* * *

بغير الحَقيقةِ كل المعانى سرابْ

ومن دونها كلُّ شيءٍ خرابْ

على الحُبِّ قامَتْ أصولُ الحياةْ . . حقيقةْ !

وبالخير يَسْقى هواها هواةْ . . حقيقةْ !

وبالأمل الحلْوِ تغدُو خُطاها

بساتينَ . . ، يُسْكِر قلبى شذَاها

ونَهراً . . ، تذُوقُ الرُّؤَى كلَّ آنٍ رحيقةْ

وتخضَرُّ فى شاطئيهْ زهورُ الحقيقَـةْ !

وجودى . . حقيقَـةْ

وذاتى . . حقيقَـةْ

ونايى يغنِّى لأضوائها لايَملُّ

فنورُ الحقيقةِ . .

سِرُّ الحياةِ . وسرُّ الأمَلْ ! !

التـــــزام

متلازمانْ . . . متعانقانْ

فى كلّ آوانةٍ ، وانْ

كالظلّ فى كبد الغدير يهُومانْ

وكالشُعاعة فى تلفُّتِ نجمةٍ وحشاً هجيرٍ يهبطانْ

كالوهْم . . حين تروغُ حيْنَهُ باغصانِ الشُعورِ . . يداهمانْ

كالحلْم يخلقُ من خريف النّفس اجنحةً تطيرُ . . برَفرفانْ

كالشكّ يلمحُ فى السريرة طَيف هاجسةٍ تزورُ . . يُخافتانْ

كالصمْت فى الموت المصفّد فى القبور يُشارفانْ

كالعطـر فى العبَق المقيَّد فى الـزهور . . يجنّحـانْ

كربابةٍ سكنتْ وعازفُها بنغمته يدورْ . . . متداخلانْ

كصدَى صدَى ، لصدَى تنكّبَ فى العبورْ . . . متكاملانْ

بصدَى الصَّدَى متَساقيانْ ،

والكاس خلْف الصّوت ساقيها زوالٌ في عَيانْ

مُترائيانْ ، متخفّيانْ ! !

متلازمانْ ، متعانقانْ

انا والحقيقةُ كلّ انْ ! !

* * *

فانا بكيتُ فدمعتانْ

وإنا ضحكتُ فبَسْمتانْ

وإنا انتشيْتُ فطائرانِ محلّقانْ

بالدمع قد يتبسّمانْ

بالصفو قد يتناوحانْ

وعلَى المدَى المَسْكوب من قدَح الزمان يُهاجرانْ

فى الجُوع منَ سبلِ البيادِرِ يشبعَانْ

ومن السَّراب الحرّفى شفَة الطبيعة يشْريانْ

وعلى السّلاسل فى رِقاب الذُّل عُشُّهما امانْ

يتأملان ، ويُصْغِيانْ
ويَخْطِفان ، ويَهْـدِلانْ
ومن اندلاع القَهْر ، في خَرَس العُروق يُلاغيان
وبنَظْرة المظْلوم في غلَس العدالةَ يسكُنانْ
وبأهة المحْروم ، في نَفَس العواصِف يجْرِيان
متكلِّمان ، وصامِتانِ
وشاديَان ، واخْرسانْ
لُغة السماء عَوَتْ ، وما نبضَت يدانْ
ويداهما بيدِ السِّياطِ . . .
يداهما مَشْلولَتانْ ! !

• • •

. . . في الحبِّ ضمَّهُما زمانْ
ما زال يمشي في دُجى الأيام مشتَعِل الحَنانْ
الكونُ فيه تَميمتانْ
والنهر غنْوةُ زورقٍ ، ينَعى خُطاهُ الشاطئانْ
لا موجَ فيه ، ولا رياحَ ، ولا خَفَاءَ ، ولا عيَانْ

عَصرتْ كرومُ الخلْد نشْوتها ، وسارَ العاشقانْ

وتلفّتا ، فإذا الطريق ولا رحيقَ ولا دِنَانْ !

مرّا ، ومرّ الوحيُ ، لا يتكلّمانْ .

وهما على نَعْش الهوى يتطارحانْ ،

متلازِمانْ . . . متعانقانْ ! !

• • •

. . في الله يهدر هائمانْ ،

لا للصعود ، ولا السُّجود ، يُعَرّجانْ

لهما صلاةُ الواصلينَ بلا حدودٍ ! ! طائرانْ ،

يتسوّرانِ على ضفافِ النور ،

ثمّ يشاهدانْ !

والنورُ يسمع ما يقول الزّائرانْ . .

لا همْس إلا من صداهُ ، يكبّرانْ

لا لَمْحَ إلا من سناهُ ، ويسجُدانْ

في كلّ سرٍّ للإلهْ ،

متلازمانْ ، متعانقانْ

ثالثاً موحّدةَ الكيانْ

فى الله لا يتفارقانْ !!

• • •

عبرا بساتينَ القيودِ . .

وكل ما فيها هوانْ !

الأوْجهُ العَبِقاتُ أحْنيةٌ لخطو الصَّوْلجانْ ،

والأعينُ الشّماءُ ، ساجدةُ الضُّحى للدّيْدَبانْ

والخطوُ ، مَسْبَحةٌ تدورُ ،

ولا تحرّكها يدانْ

مقهورة الدّعواتِ تفْهَقُ بالرياء بلا لسانْ

ويَسوقها رقُّ العصور لذلّه فى كل آنْ

شَطَحات عبدٍ ، خادعتهُ شعاعةٌ ،

نسختْهُ ضِحْكةَ بَهلوانْ !

دوِّى ، وسلّى ، واقْطفى ،

بيَديْك زهْرَكِ يا جِنانْ !

مرّا عليها فى السلاسلِ يصرُخانْ

وعلى جباه الساجدين يُناديان :

كلُّ الظلال تَحُولُ ،

إلا ظلُّ وجهكِ ، . . والزمانْ !

عينان من قَلَق العصورْ . . سكرانتَانْ

ويدانِ فى عبقَ الزهُور . . ممدودتَانْ

والقيدُ يَفْغَرُ فاهُ والدنيا أمانْ !

وهما بنارِ خُطاهما فوق المَواكبِ هائمانْ

يتعَجَّبانِ ، ويمضيانْ ،

متعانقانْ ، متَلازمانْ

خلْفَ الجماجِمِ ، يبكيان ويَضحكانْ !

* * *

أنا ، والصَّدَى . . بيد الحقيقة نُغمتانْ

من عازفٍ ، مالى بريشتهِ الخفيَّة أىُّ شانْ

هوَ فى دمى ! وعلَى فمى !

وعلى انسكاب الروح مسحورَ الدَّنانْ

يَسقى وَيشرب لاَ يُمدُّ يداً ،

ولا يَجْرى لنشْوته لِسانْ . .

. . وله الكرُوم كما تشاءُ غصونُها .

لا ما يشاءُ لها بنانْ !

تُعْطى . . فيَقْطِف ، لاَ يَمَسُّ ، ولا يُحِسُّ

ومنه تهدرُ موْجتانْ

نغَمٌ ، وساقيه تدور ، وَجَدْوَلانْ

متلازِمان . . متعانقانْ

ظلُّ الوجود ، وذاتُه لهما كيانْ

وحقيقة الإنسان تُوأَدُ او تَموتُ ، يُجْنحانْ

أو من حبائلها تفوتُ ، يغنّيانْ . .

ويسرّها يتكلّمانْ

شفَةٌ ولَحنٌ واحدٌ وصدًى يدور به الزمانْ ! !

* * *

متعانقانْ . . متداخلانْ

وَتَرٌ ، وضاربة تطِلُّ وتختفى ، لا يُلْمَحانْ

فى صدرىَ المهدود أسمعُ منهما قبلَ الأوانْ :

خلجاتِ نايٍ يرفُضُ التحديق فيما يُعْطيانْ
الظلُّ ذنبٌ ، والهجيرُ شفاعةٌ ، يتساويانْ !
واللحنُ ومْضٌ ،
لا قياسَ ! ولا لصابعَ تَرْجُمان !
أمواجُ موسيقى مُجهّزةِ الرنينِ
بغيرِ نايٍ ، أو بنَانْ !
وبلا مثالثَ ، لوْ مَثَانْ
وبغير أبعادٍ تحدّدُها المزاهرُ للقيانْ
ريحٌ تهُبُّ ، ولا يُقيدُها زمانٌ أو مكانْ
وعلَى أناملِها بغرِّد طائرانْ
عبْدا ملاك مستبُد عبقرى الصَّوْلَجانْ
بجناحه ، وصياحِه ، وصُداحِه متعلّقانْ
متعانقانْ ، متلازمانْ !
أنَا والحقيقةُ ، كلّ آن ! !

. . . . . .

١ يناير ١٩٧٠

موسيقـــا مـن الجـــن

وأكاد اسمعهمْ ! ! . .

ورغم ضراوة الغيب الكثيف ،

اكاد اسمعُهم وأُبصرهمْ . .

وارى حفيفَ خطاهمُ ،

خلفَ الأثير مزاهراً حُمْرا ،

تغنّيهم وترقصُهمْ . .

يتَسلّلُونَ ويَمرُقُون ،

ولا طُيور الوهم فوق الظنّ

بالأحْلامِ تُدْركُهُمْ ! !

واكاد مِنْ خلدَى اكلّمهمْ ،

واكادُ مِنْ شفتَى اهزُّ لهم . .

نغما يسامرُهُمْ

واكاد ابسطُ راحتى ويَدى تُصافحهُمْ

واكاد اسلكُ دَرْبهمْ ،

واسيرُ مَحجُوبَ الخُطا مَعَهُمْ

واكاد ادعوهُمْ

وانْتَشِلُ الصدَى المخطوفَ من يَدِهِمْ ، واعزِفُهُمْ

مَنْ هؤلاء يَرَوْنَنِى شبَحًا

وعيْنَى لا تشـــــاهِـدُهُمْ ؟

شُقّى يدى قلبَ الأثير

وصافحى بيديك موْكِبَهُمْ

مَن هولاء ؟

اراهُمْ ، واكادُ رغْمَ السّتْرِ اعرفهُمْ !

ستَرَوُا الوجوهَ ، فَمَنْ هُمُ ؟

يا قلبُ مَهْلَكَ !

بُرْقُعٌ يُخفيكَ أم يُخفى مَلامِحَهُمْ ؟

تعبوا من الإخفاء ،

حتى كاد شيبُ الصمْتِ مِنْ فكّيْهِ يلْفِظُهُمْ

إنّى اراهُمْ رغم انّهمو

لا شىْءَ ، لا إحْساسَ يكْتُمُهُمْ

جنُّوا ، فذابوا فى مرنّحةٍ

بكمْاءَ حوْلَ صداىَ تشرَبُهُمْ

لافى فمَى جرْسٌ يُخاطِبُهُمْ

لا فى دمَى همسٌ يُواكِبهُمْ

خرْسٌ واسمع فجّ ألسنهمْ

واضِجُّ فى خرَسى لأعْلِنَهُمْ

زامُوا بزَمْزَمَةٍ . . مُزَمْلَةٍ . .

بعُواء اصْواتٍ تزْامنُهُمْ

صمْتٌ بصوْتٍ ،

لا طنينَ ، ولا سكونَ ،

هلاَ ! !

مسْتُ يدَىَ قدَحاً علَى فمَهِمْ

عطْشانُ للأسْرار

فاسْقُونى . .

وكنْتُ أذوقُ ما ذاقتْهُ نَظْرَتُهُمْ

بلْ نَفْثَهَا ، وغدوْتُ مَشْدوداً بِعُصْبَتِهِمْ . .

وشطرْتُ تَلْتِى :

واحدًا معهُمْ ،

والواحدُ الثّانى يُراقبُهُمْ . .

هيّا . . وسِرْتُ ! بِنِصْفِ مُغْتَرِبٍ

وخيال ضيْف عابرٍ معَهُمْ !

وإلى هناك . . وسِرْتُ . .

لا إنْساً ، ولا جِنّاً ، أُصاحِبُهُمْ

بلْ طيفَ روح لا يُغَادِرهُمْ

سِرْنَا سَوَاءً . .

أينما ذهَبُوا

لا حقْتُهُمْ ، وظَلَلْتُ صاحِبَهُمْ . .

تتلقّتُ الحدَقَاتُ مِنْ حدَقى ،

والهَمْسُ من شفَتى على فمِهِمْ . .

دخلوا محاريب الصلاة ،
فرحت أتبعهم . .
ووراء جاش خاشع لله ،
كنت مكاشفاً معهم !
يجثو . . ويلعق ! صحت أسألهم :
ماذا ؟ فقال كبيرهم : هههاً ! !
ويلاً ! لسجادين المحهم
العين تهجع في زبيبتهم
والروح تفزع من حقيقتهم
دعهم سكارى !
ذاب واجدهم
في دمع من مارى طريقتهم ! !
انظر صدى البهتان في دمهم
إبريق خمار لنشوتهم
ويد الفقير ذراع مروحة
شلاء بالدعوات تنعشهم

سكَنوا ، وزنَّت نحلةٌ ،
خفَيتْ رؤيا ملامحِها لِتلْسعَهُمْ
وتُريق سمَّ الخيْر فى قدحٍ
بالرِّقّ والإحسانِ رنَّحهُمْ ! !
. . ساروا ، وسِرْتُ ،
وكلَّما وقفوا
كنتُ الخُطا الشلّاءَ تتْبَعُهمْ . .
ومُخبَّل القَسَمَاتِ ، لحْيَتُهُ
غربال زور كاد يُسْقِطُهمْ
عَيناه . . رَاهِبةٌ ، وعاهِرةٌ
والدَّيْر فى الماخور يجذبهُمْ !
تتناقلان الحبَّ فى شرَكٍ ،
شدَّ الخيوطَ ، وقال : اعرفهمْ
ومضى يُجانبُ فى اعِنَّتِهِمْ
ويَصيح ماخوذاً بمقْدَمِهِمْ
اصغَوْا إليه تمائماً ورُقَى ،

وسطورَ أحجيةٍ تُكابِدُهمْ
وتَعومُ غَرْقَى فوقَ لُجَّتِهمْ
تَتَّدُ الضياءَ .
وما بها قَبَسٌ إلاَّ الظَّلامَ
يَلُفُّ وَحْدَتَهمْ
ومضَى يَلُوكُ الغيْبَ عن فَمِهِمْ
وبزَيْفِه العاتي يُزَوِّرهمْ
اعْمَى ! ولم يَرَهمْ
ويقول احبابي ، أُواصِلُهُمْ !
وأُذيبُ سرَّ اللهِ
من أسرار صُحْبَتِهِمْ !

....

كذَبَ الضَّرير . .
فما رأى شيئاً ، ولاقيْنا يُزَاوِلُهمْ
همْ يبْصِرونَ عَمَى بجُعْبَتِه
وهو الكَفيفُ . . عليه لعنتهمْ

بَصَقُوا ، ونابُوا فى مسيرتهم

وسمعتُ عاقلَهُمْ يناغِمَهُمْ

ظلُّ الحيارى حائرٌ معهُمْ

والكأس حادِى العقل حطَّمَهَا

ومضى بها للنُّور يَسْبِقُهُمْ

ضلُّوا الطريقَ !

فما لمنتَجعٍ غيبَ الإله سنًا يُضَوِّئُهُمْ

الغيبُ غيبُ الله يُبْعِدُهُمْ

والعقلُ مدَّ الروحَ يحملُهُمْ

والروح قبَّلَ العقْلَ ترفضُهُمْ ! !

-١-

وقالت ، وقد ابصَرتْ راكعاً

يسبِّح فى غير وقت الصلاه :

اهذا تَقِيٌّ ؟

فقلت : اسكتى : شقِى من الأمس عادت خطاه !

يدبُّ بها فى هديرِ الضياء ،

ويلمق أوهامَ صيد يراهْ ،

دعيه يُسَبِّح كما يشتهى ،

فما عادَ شىء يُسمى إلهْ ،

سوى اللهِ فى مُلْكِه . .

لا يَرَى ، ولا يَعْبُدُ الناسُ رباً سوا ! !

-٢-

وقالت : وقد أبصرتْ صائحـــاً

فصيحَ اللسان كسيح الضمير :

وكيف بهذا تنير الحيـــاة ؟

ويزحفُ إصرارُها للنشورْ ؟

لقد نُفخ الصور في كل شيءٍ . .

فما بالهُ في صداه يـــدور ؟

وما باله واقفاً في خطـــاهُ ،

وقوفَ العصا في يمين الضرير ؟

وما باله ؟

قلت : لا تسألي !

فهذا الذي مته مات للسير ! !

-٣-

وقالت : وهذا الذى فى السماء . .

لـه هامـةٌ من شعـاع نميـم

تعـالَى بأمشـاجِ رزقٍ لقيـط ،

من العار ، تخجل منه سَدُومْ . .

يطل بجفنيـن يَسْتَرجعـانِ

من الأمس لألاءَ طيـر رميـمْ

ويَبْنـى بمـا خلّفتْهُ الـرياح ،

شبابَ الجـديـد بنعشِ القديـم

فقلت : اتركيه لأوهامـه . .

ستصعقهُ يقظات النجوم ! !

-٤-

وقالت : وهذا المغنى بكل الرّباب

ولم يشدُ منه وَتَرْ ؟

يَمُوءُ بأنغامه فى الفراغ

ويَجْتَرُّها فى الدجى المعتكِر . .

شجىُ المزارات انّى شدا

أصاخت له سخريات السَّمَر . .

فقلت : اعبرى ! ! لن يصيغ الوجودُ

لغير الذى من يديه سكَرْ

حيارى ، سُكارى ، من النور جئنا ،

وللنور نمضى . . خيالاً . . عبَرْ ! !

ومرّت خطاها على زهرةٍ

يدق الخريف على بابها . .

وللعطر فيها جَنازٌ ، تغنّى

ليالى هواه لأحبابها

وقالت : هوانا ؟ ؟

فقلت : الهوى يدير الليالى بأكوابها

سواءٌ ربيعٌ ،

سواء خريفٌ !

هوى الروح خلدٌ بأعنابها

فموت الكروم حياةٌ ،

تثور على الموت ،

شوقا لأعنابها . .

-٦-

وفي مرةٍ ، والدجى ملحدٌ
إلى الله اقبلَ يستغفرُهُ ونفسي كتائبُ لم تزل
رفات المعاصي بها تنظرُ . .
فقالت : وكيف التقى العاشقان ؟
متابٌ وإثمٌ به يجارُ !
وكيف الخطايا تصلّى ؟
وكيف خضوع ورفضٌ به تؤمرُ ؟
فقلت : استريحي !
مرايا النفوس . .
على وجهها الحق . . لا يُسفرُ !

-٧-

وقالت : مررتُ على عاشقين يذيبان سحر الهوى

في الغروب

حبيبان للصمتِ ، في كل جفنٍ

وفي كل سمع غناء غريب

فما عالَمَ الحُبِّ ؟

قلت : الذي تُحسِّنَ . . من غير خمرٍ وكوب

يُغنّي الوجود على راحتيكِ . .

ولا نايَ إلا وجود الحبيب . .

سعير بقلبين . . من غير نارٍ

ونارٌ . . يغرد فيها اللهيب . !

-٨-

وقالت : وكان الأسى عابرا

علَى وجهها الشاعرى الحزين :

وريحانةٌ سقطَتْ فى الطريق

فداست عليها خطا السائرين :

وماذلك الأمر ؟ . .

قلت اصمتى . .

غداً مثلها فى الثرى تُصبحين !

يشيب الجمالُ . . يشيب الشبابُ ،

تشيب الحياة ،

تشيب السنينْ . .

خذى ما تشائين من كل شئ

حذار الذى عنه . .

ما تسألين !

-٩-

وقالت : حلَمْتُ بفردوس حُبٍّ

وانهارِ سحرٍ

بلا شاربين . .

وحورٍ ترفرف مثل الطيور

فتُسكرُ أسرابُها الناظرين

فما ذاك ؟

قلت : أحلمى كيف شئت !

ورياضيعة العمر للحالمين !

زهورى حوالَّى ، إن لم أنُقها . .

أيسقى شذاها رُبَى النائمين ؟ ؟

أفيقى من الوهم !

لن تعرفى من السرِّ

إلا الذى تبصرينْ !

-١٠-

وقالت : وما الفقرُ ؟

قلت : انظرى : مُنَادٍ علَى فمِهِ نَغمتانْ . .

لشادِيةِ الفأس وعدُ الحصاد ،

وأخرى : لها الرزق طوع البنانْ .

فمن غير غرس ، ومن غير حصدٍ

يُزَفُّ لها الرزق

فى مِهْرَجَانْ

فلا تسألى . .

واغرسى . .

وابذرى

ولا تَسألى عن حظوظ الزمان

فمرًّا يجيئك قبلَ الأوان

ومرًّا . .

يفوح عليك الأوان ! !

-١١-

وقالت : اجبْنى !

انتك الكروم ، وأقداحُها

عاطشات الرحيق

ومالت عناقيدها فى خطاكَ

فحيَّرتَها . . .

وشربتَ الطريق

لماذا ؟ . .

وأنت علَى قطرةٍ من الشوق

تَنْهَلُ نار الحريقْ

تَميلُ ، فتنأى ؟

وتنأى فتَشْتَاقَ

وتشتاق طيف البريق ؟

فقلت : أخاف احتدام الغروب . .

إذا ناب فى الكأس ،

كلُّ الشروق ! !

١٩٧٠

أوقـــدوا الشمـــوع

أوقِدُوا الشموعْ
اطفئوا الشموعْ

الضّياءُ نورْ ... والظلام .. نـــور
قبْلَةُ الدهـــور ... لم تـزل تـــدورْ
... في فم الـزمـــانْ !
تقطف الثغـور ... تشرب النُحُورْ . .
موقـد البخور ... في يـد العصـورْ
نـاره ســـلام ... عطـره حمَـــامْ
لم يزل يـــدور ... حـائـرُ المكـــان :
يهتِكُ السـتـورْ ... ينـفُض العطـــورْ

ناهلَ الدموعْ نابلَ الخشوعْ .
دامىَ الجنَاحْ خابىَ الفتُون
عاطش الصباحْ جائش الغصون
صمتُه نواحْ والصدَى جُنون ..
يَنشد الأمانْ الشغَ اللسان
زائغ العيونْ
أفقُهُ دخانْ والربى هَولنْ
والأسى فنونْ
روضهُ .. خريفْ مذنبٌ .. كفيفْ
لوْثةُ الرياحْ حولَه تطوفْ
تنهب الرغيفْ من يد الضعيفْ
تنهشُ الرفيفْ فى الشذا الوريف
تقتلُ الحْياءْ فى السّنا العفيفْ !!
... ...
تعصر الغديرْ فى حشا الهجيرْ
وهوَى الطيور فى ذرا النُسورْ

وخطا العبير ... في دجى الضمير !!

ناره تلوح ... غضة السوح

تلبس الستور ... ومضة السطوح

كرمها .. كسيح ... فجرها .. جريح

دربها .. شحيح ... يكره النشور

... ...

خطو الوئيد ... عذب القمر

ارعش السدود .. ... انطق الحفر

ادهش السديم ... انعش الرميم

اذهل النجوم ... كلما .. عبر

يدخل الكهوف ... خيفة المطر

يقحم السهوم .. ... يلطم الحجر ..

يبسط الكفوف .. ... عاتى النظر ..

الضياء .. جاء ... هب واستمر

والزمان .. جاء ... حافى القدر ..

اشعلوا السمر

ايقظوا الوتَـــرْ

صفقوا الباقـــاتْ عانقوا العيدانْ

رتلوا الكاســـاتْ نشوةَ النّسيانْ !

* * *

الوهْمُ . . فى خضوعْ !

العقلُ . . فى سطوعْ !

اوْقِـــدُوا . . الشمـــوعْ . . اطفئوا الشموع !!

* * *

اطفئوا الشمـوع !!

اوقـــدوا الشمـوع

الـزمانُ . . جـاءْ أشْهَبَ الـرِّدَاءْ

بعضهُ . . دموعْ بعضهُ . . دماء

يحمـلُ الـرجاءْ كافرَ الضيـاءْ

بعضه غصـونْ بعضه هبـــاء

جفّنُه دعـــاءْ ابْكَـم النـــداء

وجهـه غصـونْ زهرها بكـــاء

خطوهُ مضـاءْ !!
واقف . . يضيعْ

فالضحَى رضيع
والمدى سـريع

والسلام . . عـاد
فى يـد الطُّغَاهْ

زَهْـرُهُ رمـادْ
يخنُقُ الحيـاهْ

يـوقف الصـلاه

يخرس الشفـاه

* * *

فاحبسوا الأنفـاسْ

واقْرَعوا الأجـراسْ

غضبة المسيـحْ
صمتها يصيحْ

حطِّموا الأغلالْ . .
ارفعوا الأثقالْ . .

يُـورق السـلام

يهـدل الحمـامْ
فى فَمِ الجميع

أطفئوا الشموع . .
اوقِدوا الشموعْ !!

ليلة رأس السنة الميلادية

١٩٧١

الوهـــج والديـــدان

مـل التنافـس حولكـم عبـادة الاكفان

فجددوا ارواحكم ، لا تظلموا الميزان .

تفعيلتانْ . .

ثلاثُ تفعيلات . .

وسبْعُ تفعيلاتْ . .

وأحرفٌ تعانق الألحانَ بالأحضان والرَّاحاتْ . .

تَنْفقَ النور على حفائرِ الأمْواتْ

شلالَ موسيقا . .

بلا قواعد مَرْسُومةِ الرَّنَّاتْ

معصومة الإيقاع دُون حاسب ،

مُزَيَّف للبقاتْ

يَعُدُّها من قبل أن تجيءَ . .

بالأسبابِ ، والأوْتَادِ ، والشطْراتْ

تشقُّ بابَ الرُّوحِ ،

لا تستأذن الإصغاء والإنْصاتْ

وليس في إعْصارها سبّابةٌ ،

تُعَذّب الهالاتْ . .

ولا فضولُ الموت

وهْوَ يسألُ الحَيَاةَ ،

عنْ توهُّج السّاحاتْ . .

ولا فضول اللّيْـل ،

وهْو يسألُ الفجر لماذا تنسَخُ الرُّفاتْ

ضجّ البِلى منْ صيْحة الإشراقِ ،

في تشبُّثِ المَواتْ . .

وانتفضتْ هيا كلّ ،

مرصوفة الطقوس من تناسق الأشْتاتْ . .

وكلُّ ما فيها قرابينْ

تُقدّسُ الرّمامَ في كلّ حصادٍ ماتْ
مصلُوبةَ الجُمُود ، والركُودِ ،
والهمُود والسُّباتْ
على مطايا زَمنٍ
مُهَرّمِ الأكفاتْ . .
تحرّكَتْ في غَبَش الكُهُوفْ
جنائزاً في لَحْدها تطوفْ
مشلولة المسيرِ ،
والحراكِ ، والوُقُوفْ
كأنّها لُتَرّهات امْسِها رفوفْ
او انها لكلّ نورٍ شعّ في زمانها حتُوفْ
تريدُ شلّ الوهَجِ العصُوفْ
باعينٍ ضياؤها مكْفُوفْ
والسُّنِ نداؤها مَعْقوفْ
تَهاتَرَتْ مخدورةً من سهْلَتِهِ العُكُوفْ
وراءها تمزّقُ السُّجُوفْ

وخيْبة التّكرار ، والدُّوارِ فى القيعان

فانشبَتْ هذاهما فى القش والعيدان

والحَبُّ عن عمائها مغلّف نشوانْ

ووعْيُها من غشْية غفْلانْ

وطرْفُها من عشْية ظمآنْ ،

لكلّ ما لم يبْقَ فيه قبسٌ لخطوة الإنسان !

سبحانَ ربِّ النُّور من تحرُّك الأكْفانْ

سبحانهُ سبحانْ !

مَنْ أيْقظَ الدّيدانْ ! !

... ...

انغامُ هذا الطيرِ ما لقّنَها بُستانْ

ولا حدَاها حارسٌ يقْظانْ

ولا بغَيْر ما تجيشُ نارها تحرّكت بنانْ

مِنْ ذلتها ، ووحيها رحيقُها الصّنْيانْ

الرّافض الإيماءَ للوَرَاء ،

يَمتصُّ خطا الرُّكْبانْ

الرافضُ القياس في الصدَى ،
وفي المدَى ، وفي اللسانْ
وفي هوَى التنغيم ،
والتفخيم ، والترنيم ، والارنانْ
تدفقَتْ . .
لا تعرفُ التطريزَ في توهُّج الألحانْ
ولا خداعَ السمْع في تبرُّج الحروف للأذانْ
ولا لخَطْو اللحن قبلَ سكبه من نايها ميزانْ
لسكرها خالقها قبل انبثاقِ اللحن بالأوزانْ
تحررَّتْ . . فما بها للقالَبِ المصبوب قبلَ كأسها إذعانْ !
زخارفٌ . . مطارفٌ . متاحفٌ لِقشرة الأكْوانْ . .
قواقعٌ . . براقعٌ . . بدائعٌ زيّافهُ الألوانْ . .

. . . . . .

جلَّ عزيفُ الناي ان يقوده إنسانْ !
وجلَّ روح الفنّ عن تناسُخ الإبْدانْ
فالشعْر . . شيءٌ فوق ما يصطرعُ الجيلانْ

روحٌ ترجُّ الروحَ كالأعصارِ في البُسْتانْ

بِزَفِّها وحَرَفِها ونورِها المُمَوْسَقِ النَّشوانْ

وخَمْرِها المعصورةِ الرَّحيق من تَهادُلِ الأزمانْ

لِكُلِّ جيلٍ كأسُهُ . . لاَ تفرِضوا الدِّنانْ

مَلَّ النَدَامَى حولكم عبادَةَ الأكفانْ

فجدِّدوا ارواحكُم . . لا تظلموُا المِيزانْ !

فالشعر لحنٌ من يد الرَّحْمانْ

سبحانَهُ . . . سبحانْ

ملْهِي النسور . . عن خُطا الدِّيدانْ ! ! !

١٩٧٠

مأتم الطبيعة

نشرتها مجلة أبولو عدد فبراير ١٩٣٢

وقدمتها بعنوان (قصيدة من الشعر الحر)

وأعادت نشرها مجلة الهلال عدد أكتوبر ١٩٧٠

لطرقَ الطَّيرُ على هام الغصونْ
كنبيحٍ ، نفرَت فيه الكِلاَمْ
ودجا الكوْنُ ، وسجْاه السكون
بِدثار للوت ، والموتُ ظلامْ
ونكا فيه لُهابٌ للشجونْ
لغرَسَ الشادى بشجوٍ ، وغرامْ
ايُّ خطبٍ قد دهاهْ ؟
واسَى لطبقَ فاهْ ؟

أترى شام الجِنانْ
خمدَتْ فيها الحياه
فبكى ؟ !
أم رأى ملْكَ الكَنارْ
هامداً فوق الكُثُبْ ؟
ومزَاميرَ الهزَارْ
مثل عيدان الحطَبْ
فاشتكَى ؟ !
أم فَرَى مهْجَتَهُ ظفْرُ العُقاب
ومضى فى جنبه سهم سديد
فسرَى فيه من الموت لُعاب
وغدا يخفقُ كالقلب العميد
فى نُزُوع يتلَّهى بالنغَمْ
صارخاً مما دَهاهْ . .
من فناءٍ ، وعدَم
إنّه يبكى مَمات الشاعِريّهْ . .

. . . . . .

وخرير النهر في الوادي

كانغام النُّواحْ ،

ومَسيلُ الماء من جفن البِطاحْ

ادمُعُ الكون ، وعَبْراتُ الطبيعةْ . . .

كلُّ طَير ناح فيها . . ناعياً !

كلُّ غصن مال فيها . . راثياً !

كلُّ نَبْعٍ سال فيها . باكيا !

عِبَرَتْ يَمّ المنايا .

واعاصيرُ الأسَى ، غالت الرُّبان منْها .

فَهَوَتْ . .

ثكْلَى على شطِّ المَنون . . لاهِفةْ

ترسلُ الأنّاتِ من قلْبٍ حزينْ . .

هاتِفةْ :

كلّلُوا النَّعْش بريحان الرِّياضْ ،

والوُرودْ !

ليضوعَ الطِّيبُ من أردانه فيها . .

حَيَاةً ، وممَاتاً !

انشدوا ، والطَّيرَ في حفل الرِّثاءْ

كلَّ صبحٍ ، ومَسَاءْ !

لم يمُتْ شوْقي،

وفي الشرق شُعاعٌ مِن سَنَاهْ

ساءلوا الأيامَ ، والأحلامَ ، والدنيا ،

وما ضمَّتْ أنانينُ الحياهْ

واسمعوا فيها صداهْ

دولةٌ قامتْ على عرش الحياه

من شعور ، وجهاد ، ودماءْ

شاعرٌ في الأرض لم يَلْقَ مُنَاهْ

فرقَى . .

. . يشدُو لسُكَّانِ السَّماءْ

من جنازة شوقي

لكتوبر ١٩٣٢

تـغـيـيـــر

غيّريني . .

. . فانا اشتاقُ ان ابصر شيئاً غير نفسي

غير ان يصبح يومي في دُجاه .

في ضحاهُ . . مثل امْسي

غيرَ ان ابصر كأسي في سُراها

كلُّ يـــومٍ هي كـأسي !

غيريني . .

واسمعي فيَّ صدَى التّغْيير . .

مـنْ همـسٍ لهمـــــس

خافتِ الضّجة . . لم اسمعه من قبلُ

على اعمـــــاق حِسي ! !

مع الله

إلهى رأيتُكْ

إلهى . . وفى كل شىءٍ رأيتُكْ

إلهى سمعتُكْ

إلهى ، وفى كل شىءٍ سمعتُكْ

رأيتكَ فى كل حىّ

سمعتك فى كل شىّ

وفى كل أفقٍ بروحى شهدتُكْ

. . . . . .

تعاليتَ . . لم يبْدُ شىءٌ لعَيْنى

تعاليتَ . . لم يَهْفُ صوتٌ بأُذنى

ولكنّ نـــوراً بقلبي يطـــلّ
ومن طيفه كل نـــورٍ يهَـلّ ...

... ...

هو الحـبُّ في كل خطـــوى أراهْ
وأسمـع في كـل همسٍ صـــداه
هو الظلُّ . . إن مسّ قلبي الهجيرْ
هو العطر . . إن غاب عني العبيرْ
هو الطهـرُ . . فـوق جبين الطفولهْ
هو الصفـو في كل روح جَميلـه
هو الغنوَةُ العـذْبَةُ الصافيـــه
تـــدندنُ للحقـل والساقيـــه
هو الخفْقُ بين حفيـف السنـابِلْ
هو الرزق يهْواه حـدُّ المناجـــلْ
هو الفأس في قبضـــة الكادحين ..
هو العـرَق الحـرُّ فـــوق الجبَيـنْ
هو النفْس في تمتمات الصـــلاه

الحـــــب

مع الحب

حبيبى حيَاهْ

وحبّى حياه

وفى وجهه كل نور الحياهْ . . .

وفيـــــه الهـوى والأمـــــل

وفيـــــه صبـــاحٌ . . اهَـلْ

وفيـــــه دروب الضيـــــاءْ

إلى ليلَى المستهـام الـرجاءْ

وفيـــه الـرُّبَى ، والغصـونْ

وفيـــــه المـنَى ، والظنـــونْ

وفيـــه صفـاءُ الجـــداول

وفيـــه غنـــاء البـــلابـل

وفيـــه سماواتُ حلْمٍ تغنّى

وانهار سحْرٍ اراها بعَيْـنى

واشربُ من كأسها كلّ انْ

صلاةً تجدّدُ حلْم الزمانْ

... ...

حبيبى تبسّمْ

حبيبى تكلّمْ

حبيبى . . صحا الورد فى كل روضٍ

وما زلتَ نعسانَ . . اين ابتسامُكْ ؟

حبيبى . . شـــدا الطيـر فى كـل ايْكٍ

وما زلتَ فى الصمت يجرى كلامُكْ !

تبسّمْ . . .

. . فكـلُّ الـوجـوه انتظـــــارٌ لتبّركْ

إذا رنّ للحُبّ نـــاىٌ بـصـــــدرِكْ

وهبّتْ طيـــورى تغنّى لفجـــــركْ

الحيـــاة

مع الحياة

حياتي ، حياه

وعمر جديد أراهْ

فما فات منها رحلْ

وما غابَ فهو طريدُ الأملْ !

حياتي أملْ

أناديه من زهرةٍ في الصباحْ

وأدعوهُ من لهفةٍ في الجراحْ

. . فإنْ جاء . . أهلاً بضيفي وسهلاً !

وإن فرّ . . يا قلبُ مهلاً !

ولابـــدَّ يأتيـــك ضـــوء النهـــارْ

وتأتيـــكَ بالنـــورِ كـلُّ الثمـــارْ
فكم قـاطفٍ من غصـون الظـــلامْ
تـلاشَى على زهـره فى الـزّحامْ !
أناديـه لَهْفـانَ ، فى كـل حيـــنْ
ولـو فـرّ من ربـواتِ السنيـــنْ
أناديه من طائرٍ هام فوق الغُصـونْ
ومن جدولٍ حالم فى ظلام السكونْ
ومن زورقٍ سـابـح فى الأصيـــل
تُوَدّعُـــهُ الشمسُ قبـل الـرحيـلْ
ومِن مـوْجةٍ هـادئـتـهـا الـريـاحْ
فـنـاقـت مع الحب كأس الصبـاحْ
ومن قبلـة فى فم العاشقـيـنْ ،
أنـاديـــه للحـبّ فى كـل حيـــنْ
أنـاديـــه من كل ســـر دفـيـن
ولو غيَّبَتْهُ ريـــاحُ الظنـــونْ
أنـاديـــه . . وهو الْهَوَى والأمـلْ

الأرض

مع الأرض

ارضى . . وما اقدسَهَا حياه

ترابها حياه

وماؤها حياهْ . . وعشْبها حياهْ

نَسيمها قُبلْ

وأُفْقُها املْ

جَميلةٌ فى وجهها الحقولُ والجَنَائنْ

عظيمةٌ فى جوّها القبابُ والمآذنْ

رخيمة فى سمعها الأمواج والسفائنْ

الطيرُ فوق دَوْحها يُصلّى

والعطر نشوان بكل سَهْلِ

وكل خطوٍ ، عاشقٍ مُفتّنُ
للحب فيه عازفٌ وأُرْغُنُ
مهما يكن فيّئِيَ من ظلالها .
أوْ وقدةِ الهجير من رمالها ،
فحُبها في مهجتي نسائمُ
وأغصنٌ تشدو بها الحمائم
إنْ مسّها الليل أكون دونَها
فجراً جديداً يعتلي غصونَها
وإن دهتْها غادراتُ الرّيحِ
وهبتُ روحي فديةً لروحي . .
ضفافها كم غرّدتْ لحبيْ
واشعلتْ أحلامها بقلبي
ونيلُها كم حرّكَ الإلهاما
وسلْسلَ النّشيدَ والأنغاما !
خَضراءُ . . مثل الحُبّ ، مثل الأملِ
وضيئةٌ . . مثل جبين الرسُلِ

النهـــر

مع النهر

سكونُهُ حياه

ونُطقهُ حياه

والموْج فوق صدره صلاهْ . .

حين تنام الرّيحْ

والموج يستَريحْ

تخالُهُ نشوانْ ، فى افقه النّعْسانْ

اقداحهُ وضُوءْ . .

للصّمت والهدوءْ

يمرُّ بالحياهْ ، ومَوْجُهُ مِرآهْ

امواجهُ سَجّادَهْ

للطهر والعبادة

تجثُو بها الطيورُ ، وتمرَحُ العطورُ

وتصبحُ الزّوارقُ

كأنها حدائقُ

مسحورةُ الأغصانْ . . في ربوة النّسيانْ

كل رؤاهُ حُبّْ

ومعبَد ، وربّْ

وكل ما في شطّه حياةْ . . . وخُطوة تحرّكُ الحياةْ

لولاه زهرُ الحقل ما تبسّمْ

لولاه طير الروض ما ترنم

في صدره الأسرارْ . . عتّيةَ الأستارْ

لا الريحُ تدرى أمرَها ، ولا النجوم تعرفُ

سفائنٌ ولهانةٌ ، وعاشقٌ مطوّفُ . .

وصائدٌ أيامُه في خيطه معلّقةْ

يُلقى الشباك مؤمناً مُؤْملا انْ ترزُقَهْ

والليل حولَ طرْفِه ،

للصبر مدّ طرْقهْ

أوْما . . وظلّ ساكناً يراقب الغيوما

كأنه مُذْ لهّ ينتظرُ الحبيباً

وفجأةً . . .

صافحه الفجرُ

والأمل الموعود ، والنهْرُ

فعاد للكوخ بحمد اللهْ

والحبّ ، والإيمانِ ، والحيَاهْ

. . . . . .

سكونه حياه ، ونُطْقه حياه

والموجُ فوق صدره صلاهْ ! !

الطـريـــق

مع الطريق

طريقى أملْ

وخُطوى أملْ

وكلُّ درويى أملْ

إنا لاح لى الشوكُ ، أبصرتُ فيه الزُّهورْ

وأقداحَها وهى بالعطرِ حولى تَدورْ

فإنْ كان شوْكٌ . . مضيْتُ

وإنْ كان عطرٌ . . مضيْتُ

ولابدَّ أمضى ، ويمضى طريقى

وتمضى خطا الروح بين الحريقِ . .

نشاتُ مع الطير حول النَّخيلْ

وسبَحْتُ للحبِّ فوق الحقُول

وغنّيْت للنور عند الشروقِ

وعانقْتُه فى لهيب الهجيرْ

وكلّمتُهُ فى صلاة الغروبِ

كلانا لغيبٍ خفىٍّ يسيرْ

وسِرْنا . . وما زال يبدو ويخْفَى ،

وما زالتُ فى راحتَيْه أسيرْ

فإنْ كان ضوءٌ مضَيْتُ

وإن كان ليلٌ مضيْتُ

ولابدّ أمضى ، ويمضى طريقى

على الزهر . . . أو فوق صدر الحريقِ

وكم مرّةٍ واجهتنى الصخورْ

وسدّتْ بوجهى فجاج العبورْ

وفى حلك الليل قامتْ جسورْ

ولم يبْقَ حتّى رفاتٌ من الوهم من طيف نورْ

وحتّى رفاقى . . تلفّتُّ لم ألق إلا بقايا مَسيرْ

ونبْعاً يُظِلُّ ، فامتدَّ اشربْ . .

اغْدُو سراباً يعانقُ دنيا سرابٍ ضريرْ

وظلاً ظليلاً . . ولا ظلَّ ! !

اطْبَقَ حولى الهجيرْ

وماذا . . ؟ !

تخيَّلْتُها جنَّةً . .

مقاصيرها من ضياء ، وحُورْ

وقلْتُ : مع الله جدَّ المسيرْ

ولابدَّ تخشع كلُّ السُّدود

وتخضع للروح كل الحدودْ

وتهْوِى القيودْ

وللخطوِ يُفْتَحُ دربٌ جديدْ . .

. . . وفعْلاً ، مضيْتُ

ومن كل ليلٍ وويْلٍ عبرْتُ

ولا شىْءَ !

فوقى سمَاءْ

وتحتى ترابٌ عنيدُ الرُّجاءْ

وحوّلى كما كنْتُ ،
مراً ضياءْ ، ومَرّاً هباءْ . .
طريقى طويلْ
ودَرْبِىَ لا يعرف المستحيلْ
وخطوى مع الريح يجهلُ معنَى الوقوفْ
وشَـلّ الرؤى فى ظلام الكهوفْ
ويَهْوَى يَطوفْ
ويخلق فردوسَهُ فى الحُتُوفْ . .
. . فإنْ كان دمعاً . . مضيْتُ
وإن كان زهراً . . مضيّتُ
وكَوْنى أحسُّ بكوْنى ، حيَاهْ
وأنىّ أسير بدربى حياه
ودنيا . . بها كل شوق لتحيا الحَيَاه
مع الروح تهتف طول الأجَلْ :
طريقى أمَلْ
وخطوى أمَلْ
وكل دروبى – ومهما تناءتْ – أمَلْ ! !

الشمس

مع الشمس
جَبينُها حياه
ووجهها حياه
وخطوها حياه
تمسُّ كلَّ هامد فتَنْبُتُ الحياهْ
وتُورقُ العيونُ والشفاه
. . مع انتهاء الفجر والصلاه
ويَقْظةِ العصفور من كراه :
رأيتُها بحراً من الدماءْ
أمواجه تخترق الفضاءْ

وتجذب الأرض إلى السماء

تحكى لكل كائن حكايه

ختامها يسوّرُ البدايهْ !

تقول للزهرة : أين عطرُكْ ؟

تقول للكروم : أين خمْرُكْ ؟

تقول للنّعسانِ : أين عمرُكْ ؟

قم للحياة أملاً جديدا

يذوّب الأغلالَ والقيودا

تقولُ للحيْرانِ : لاحَتْ سبُلُكْ

تقول لليائسِ : هذا أمَلُكْ

إنْ لم تسرْ دارتْ بك السّاعاتُ

على خطاً تجرفُها الحَياةُ

فالأملُ الجديدُ لا ينتظرُ

ويَقظةُ الوجود لا تأخّرُ

كان هنا طيْرانْ

فى العُشّ نائمان

ناداهما الأملْ

نَشْوَانَ لا يَملْ

ففارقا الأعشاش للحقولِ

ورفرفا للنور والسُّهولِ

للْحَبِّ يَلْقُطانْ

للفَرْخِ يَجْمَعانْ

للعُشِّ يَرْجِعان . .

. . يا ليتَنا كالشمس نبعث الضياءَ للحَيَاهْ

ياليتنا كالطير يشرب الفناء من ضُحَاهْ

والحُبُّ ، والإيمانُ ، والحياة ، والصلاهْ

جَبَينها حيَاه . .

ووجهها حياه . .

وخطوها حياه . .

تمسُّ كل هامد فتَنْبُتُ الحياه

وتُورِقُ العيونُ والأحلامُ والشفاه . .

الأمـــــل

مع الأمل
وجُودى أملْ
وعمرى أمل
وكلُّ حياتى أملْ
ومهما تكنْ خافياتُ الأجلْ
فإنى أملْ
ودربٌ جديد لشطِّ الأمل . .
فلو هاجَت الريحُ ،
كنتُ لموجى شراعَ السفينْ
ولو زمجر الموْجُ ،
كنتُ ضِفاف السكونْ

وإنْ ذبُلتْ زهرتى فى شعاب الجبَلْ

فحبّى سيخلق منها الأملْ

يُجدّدها روْضة يانعَهْ

ويَنسخُها جنّةً رائعهْ

ويَمضى . . برُشْدُ الصبّا فى الرمالْ

بَساتين ، ترقص فيها الظلال . .

خُلِقْتُ لأنسجَ من كل موتٍ حيَاه

ومن كل امسٍ غداً واثبا فى خطاه

.ومن كلّ ليل ضياءْ

ومن كل دمع صفاءْ . .

فإنْ شجرى قطعتْهُ أيادى الخريفْ

ربيعى سيَحْنِيه غضّ القُطوفْ

. . وإنْ زهرى اسقطتْهُ الرّياحْ

سيأتى معَ العطر عند الصباحْ

مع الحبّ ينْبتُ فى كلّ فجرٍ ،

وُجوداً جديداً يُغنّى لِعُمْرِى

أسيرُ به سالكاً كلَّ دربِ
ولو مزَّقَ الشوكُ أحلام قلْبى
فحبِّى ، وإيمان قلبى وروحى ،
يُذيبانِ جمْرَ الأسى من جُروحى
. . سأُفْضِى بدربى إلى كلِّ فجٍّ
ولو كان ما بين ريحٍ ولُجِّ
ومهما بروضَى غصْنٌ ذَبلْ
سيُحْيِيهِ للروح فجر الأملْ
وجُودى أملْ
وعمرى أملْ.
وكل حياتى أملْ ! !

النفـــس

مع النفس
كلّما هلّ صباحْ
وهفا كلُّ جناحْ
وعلى الوردة صاحْ — بلبلٌ يشكو هَواهْ
رنّدى شكـــواهْ — واسجُـــدى للّهْ . .

• • •

كلّما رنّ أذَانْ
مُوقظاً سمع الزمان
وشدا كلُّ جَنَانْ — ضارعاً يدعو سَمَاهْ
فاسمعى نَجْواهْ — واسجـــدى للّهْ . . .

• • •

كلّما رفرفَ عودْ

راقصا بين الورودْ

ومضى فوق الوجودْ هاتفاً يُحيِي ربُـــاه

بـاركي دنـيـــــاهْ واسْجُـــــدِي لله . .

* * *

كلّما عاد المَساءْ

وغفَا جفنُ الضياءْ

وغدا طَير المســـاءْ عازفاً مَلْءَ الْغِنـــــاءْ

سَبْحي أنتِ وعودي في محاريب الوُجودِ

حُرّةً . . فوق القيودِ

حرةً . . فوق السُّدودِ

تسمع السرَّ وتشدو ولكل الكَون تَحْـدُو

في طـريق لا يـزالْ نورُهُ فـوق الـزّوالْ ؛

فـاتْبَعـي مَسْـراهْ واسجُـــدي لله . .

* * *

الابتسام

مع الابتسام
تبسُّمى املْ
وحيْرتى املْ
ونظرتى مالمحتْ إلا تبسُّمَ الأملْ
فى اليأسِ ، فى الملالِ ،
فى تمرُّغِ الفشلْ
يبْسِمْ كالنوْارِ فى إحساسىَ الأمل
يا أُختَ فجرٍ فى زمانى
بالضياء لم يزَلْ
يضىءُ كلْ انْجُمى
يُحيى سمايا نغَمى

تبسّمي . تبسّمي تحيا الحياةُ في دمي

ويعزف النورُ على الشفاهِ عذْبَ النغم

إنْ مرَّ طيْفٌ حوْلكِ

صبَّ الحنين مثلَكِ

أصْغي إليه . . مثلما يُصغي الكرَى للْحلُمِ

ورفرفي كالطير في فضائه . . ورنِّمي

واسقي جراحَ قلبِه ، من ثغرك المبتسِمِ

• • •

تبسّمي ، تبسّمي

تحيا الحياةُ في دمي

ويعزف النور على الشفاه عذْبَ النَّغَمِ . .

. . وإن طوالَ السَّهَرْ

وغاب عنكِ القمرُ ،

كوني على الشرفةِ حلْمَ الفجر بين الأنجُمِ

كوني صلاةً . . تسكب النور على كل فمِ

وغُنْوةً تَرْوِي الهوَى لكل قلب مُغْرمِ

تَبسَّمى ، تَبسَّمى

تحيا الحياة فى دمى

وتعزف النورَ عَلَى الشفاه عذْبَ النغَمْ . .

* * *

تبسَّمى للزمَنِ

وللأسى والشجَنْ

وللخريفِ ، إنْ سرَتْ رياحهُ . . تبَسَّمى

وللرَّبيع ، إنْ مضَى صباحهُ . . تَبسَّمى

وللمَساءِ ، إنْ هفَا جناحهُ . . تبسَّمى

فأنتِ بَسْمَةَ الزهَرْ

وأنت نغمة الوتَرْ

وانتِ خفْق السحْر ، فى كل نشيدٍ ملْهَمِ

تبسَّمى ، تبسَّمى . . تَحْيا الحياةُ فى دمى . .

* * *

تبسَّمى للفجر فى ابتسامِه

تبسَّمى للليل فى ظلامِه

تبسمي إن عبَسَ الطريقُ

وإنْ توارى خلفه الشروقُ

فالعابسُ المحزونُ في انطوائه

لا يرْجعُ النورَ إلى فضائه

ونظرةُ الكئيبْ

تجدّدُ الغروبْ

وتملأ الشفقْ بالدمْع والحُرَقْ

فوق المدَى تبسّمي

فوق الردَى تبسّمي

فالحبّ ، والحياة ، والأملْ

سفينةٌ لا تعرف الملَلْ

وإنْ دهتْها غضبة الرياحْ

تستلُّ منها بَسْمَةُ الصباحْ

وتنشر الجناحْ

للسحرِ ، والترنُّمِ . .

تَبسّمي ، تَبسّمي تحيا الحياة في دمي ! !

مع البقاء

إلهى !

وإنْ ذبُلَتْ فى يَدَىَّ الزهورْ

وجفَّتْ حوالَىَّ كلُّ العطورْ

ولم يبْقَ حتى خريفُ الغصونْ

وأحلامهُ فى ربيع الظُّنونْ . .

ولم تبقَ للظلِّ رؤيا سفُوحْ

على فرْعها مالَ طيرٌ جريحْ

وأنَّا يغنّى

وأنَّا ينوحْ

وأنَّا على صمْتِهِ يَسْتَرِيحْ . .

وإنْ غامَ كلُّ السُّطوعْ

وأغْمَضَتِ الجفنَ كلُّ الشُّموعْ :

. . فأنتَ العبيرُ ، وأنتَ الربيعْ

وأنت الغديرُ ، وأنت الشُّعاعْ

وما ضاعَ ضاعَ ! !

فأمسي بقايا شُعاعٍ على اللُّجِّ ذابْ

ويَوْمي شُعاعٌ جديدُ الإهابْ

يَشُقُّ التُّرابْ ،

ويهتِكُ بالروح وَجْهَ السَّرابْ

وإن صارعتْهُ رياحُ الحُجُبْ ،

تفجَّرَ من كلِّ جَنْبْ

نماءً ، وماءً ، وحُبّْ . .

وناداكَ من كلِّ غيْبْ

دعاءً ، وشوقا ، وحُبْ . .

إليكَ ، وأنتَ لكلِّ المقادِرِ ربْ !

فترتدُّ روحي بزَهْرٍ جديدْ . .

وبُستانِ عطرٍ وَطيدْ . .

به فتّحَ الوردُ لُهفان يرنُو إلىْ

به صبّحَ الطيرُ يُلقى الهوَى فى يدَىْ

به كلّ غصن . . ربيعٌ يرِفُّ

به كلُّ طير . . غِناءٌ ، ورَفُّ

به العمرُ فجرٌ جديدُ الضّياءْ

ودنيا من السّحر غرّدَ فيها الرّجاءْ

وذابَ على نورها كلُّ ليلٍ وكَرْبْ

وسبّحَ لله فى رَوْضها كلُّ قلْبْ

وفى ارْضها كلُّ سارٍ وَدَرَبْ

تعالَيْتَ يا ربْ !

تباركْتَ يا ربْ !!

الصـــلاه

مع الصلاة

صلاتى حيَاهْ

ونُسكى حياه

ومَحْياىَ مهما يكُنْ فى حَياتى صلاهْ !

فإن عَزَفَ الناىُ . . طُوبى لتسبيحةٍ فى صَداهْ !

تكبَّر لله . . لا تستفيقُ من الحُبِّ والشوْقِ ،

حَتى تعانقَ نورَ الإلهْ ،

ففى الزهْرِ . . ترنُو وترْنُو ،

إلَى أن يذوبَ عليها شذَاهْ

وفى العطرِ تمتصُّ عمقَ العبيرِ ،

إلى أن تَصيرَ ، هى العِطْرُ فوق الشفَاهْ

وفى المَوْجِ . . تشربُ صوْتَ الهديرِ
كما تشربُ الكأسَ عيْنُ السُّقاهْ
وفى الرِّيح . تَسْبِقُ خَطْوَ الرياحِ
لتعرفَ أيْانَ يُلْقِى عَصاهْ !
وفى اللّيل . . تُصْغى لهَمْسِ الظّلام ،
لتُدرِكَ فى النورِ مَعْنَى دُجَاهْ
وفى الطّيْرِ . . تسبَحُ فوق الضّياءِ ،
وتَصْدَحُ باللّحْنِ حتى تَرَاهْ
تغنّيه طيْراً ؛ وتشدُوهُ طيْراً ،
وتغدُو جَناحاً له فى سُرَاهْ
فإن رنّمَ الليلُ كانَتْ لُغاهْ
وإن حوّمَ الفجْرُ كانت سَنَاهْ
. . ففى كلّ شىءٍ لنايى صِلَاهْ !
وفى كل شىءٍ ، ضياءً أراهْ !
وتكبيرةٌ حرّةٌ فى مَداهْ !
«فإنْ عزفَ الناىُ ،

طوبى لتسبيحةٍ فى صداهْ

وإن سكتت النَّاى ،

طوبى لتَسْبيحةٍ فى كَرَاهْ !

فشدّوى صلاهْ

وإغْفاه نايى صلاهْ

بكلّ الوجودِ ، وكلّ الحياهْ ،

يسبّحُ فى كلّ شىءٍ هواهْ . .

وفى كلّ نُطْقٍ ،

وفى كلّ صمْتٍ ،

له خَشْعةٌ لجلال الإلهْ ! !

تعاليت ربّى !

فمنك السكونُ ، ومنك الحراكَ لَخطْوِ البَشَرْ

ومنك العيونُ ، تُطِلُّ بها مركباتُ القَمَرْ

وتزْحفُ . . حتى كهوفِ القَدَرْ

لكيْما تَراكَ ، وأنتَ الضّياءُ ، وأنتَ الخَفَاء ،

وأنت المدى ، والصّدَى ، والوَتَرْ ! !

وأنتَ الحَيَاةْ

وأنتَ الصلاةُ وأنتَ الإلهْ . .

تعاليتَ . . يارَبُّ ! !

أهـــواك يـا وطـنـــى

«ترنيمة للوطن وهو يشق الظلام ،

ويستل من ضراوته وشائج القمر»

أهواكَ يا وطنى

يا كلَّ ما تروى به شفَةُ الهوَى فِتَنِى

وتصبُّه فى الكأسِ أيامى

رحيقَ الخلْد ،

اشـرَبُه ، ويَشْـــــربُنى

– يا كلَّ لحن فى لهاةِ الطّيرِ ،

أعـزِفُـــه ويَعْـــزفُـنى

يا كلَّ صفْقٍ بيْن مَوْجِ النهْر ،

أسمعه يُناغمنى ويُطْربُنى

يا كلَّ ناءٍ فى غُروب الشَمْس

من رِئَتَىَّ يَجْـذِبُـنـى

ويَشُدُّنى لصَداهُ مسحوراً

لأسْمَعَهُ ، فيَسْمَعُنى ..

لنا عازفُ الفِتَن البَخيلةِ فيكَ

مـا خُلِقَتْ لتَحْـرِمَنى

ومنادِمُ الأسرارِ ، قلبُ الرِّيح

من فمـهـا يكلـمُـنى

يا كلَّ شدْوٍ من خُطا الرُّعْيانِ

فوق العشب يَسْحـرنى

يا كلَّ وجهٍ طَيبٍ

بصلاةِ نظرتِه يُصافِحُنى

يا كلَّ كفٍّ ، فى تراب الرِّقِّ

تُـنْمِيـهِ لِتَعْتِقَـنِى

يا نخلَةً بسريرتى ، خضْراءَ ،

تحت الظِّلِّ تزْرعنى

يا زورقاً حَمَل الخلودَ ، وناغم التَّاريخ

من زمنٍ إلى زمنِ

لا موْجةُ الطّاغين تُوقفُه ،

ولا تهْويمةُ المِحنِ

يا صخرةً وهنَتْ رياح الدهْر ،

وهَى الدهرُ ، لم تَهِنِ

يا راحةً رفَعَتْ شِراعَ الكونِ

قبلَ تحرُّكِ السُّفُنِ

قبلَ انبلاج الفجر للدُّنيا

ازالت ظلمةَ الوَسَنِ

وحَدَتْ زمامَ الشمس

حتى شعَّت القيعانُ بالقُنن

يا قبلةً للشرق ، تُلْهِمُ

كلَّ قيثارٍ ، وتُلْهمنى

وتُفيضُ سحرَ الحبِّ والإلهامِ

من ترجيعةِ الشَّجَنِ !

اهواك يا وطني

اهواكَ ، انتَ هَوَايَ اهواهُ واعبدُهُ

ونشيدىَ الغالى مدَى الدنيا أردِّدُهُ

كلُّ القلوب لـديكَ مهْجَتها تُزَوِّدُهُ

مَنْ للهـلالِ . . يهلُّ مَسْجِـدُهُ ؟

مَنْ للصَّليب . . يُطل معبَـدُهُ ؟

مَنْ للجَمَـال . . رُباكَ مـوْرِدُهُ ؟

السِّحر فيكَ ، السحْرُ يُنْشِـدُهُ

والحب فيـك بكـلِّ خافقة تجدِّدُهُ

والـروح انتَ شـراع زَوْرقهـا ،

للشط ،تُـدنيـه وتُبعـدُهُ

ويـداك فـوق الهـول تَفْرِدُهُ

مهمـا استبَـدَّ الليلُ يا وطَنِى

بـكَ انتَ كالـرؤيا تُبَـدِّدُهُ

بهواكَ ، بالشطآن ، بالأزهار ، بالأعمارِ

مثلَ النـار نَحْصُـدُهُ

بِنَسيمِك الهافي نُمزِّقُهُ
وبمَوْجك الصافي نحرِّقُهُ
وبكلِّ ساجعةٍ شداها العطرُ في الفَنَنِ
وبكلِّ سامعةٍ ريابَ الشمس من أُذني
وبكلِّ فأس سرُّها
ما زالَ عن شفتيّه يَحْجُبُني
وبكلِّ سامعةٍ ريابَ الشمس من أُذني
خِلْتُ السماءَ بها تعانقني
وبكلِّ راهبةٍ ، يرتِّلُها
ناقُوسها نغَماً يساكِرُني
وبكلِّ طير فوق رابيةٍ
بالحبِّ نغمتُه تعطِّرني
وبكلِّ قلبٍ صبَّ مهجتَه وخفقتُه فداكْ
وبكلِّ ما حمَلَتْ إلى الدنيا ولَمْ تبخل بِدَاكْ . .
وبكل طفلٍ مدَّ راحتَه لتُصْبِح شعلةً لدُجاكْ
وبكلِّ كفٍّ أوقدتْ مصباحَها قبساً أمام خطاكْ

وبكلّ روح أورقت للنور تشْرَبُه رحيق هَواكْ
وبكلّ شيخٍ يرقب الأجيالَ واعدةً بكْبرِ ضَحاكْ
وبكلّ خطوٍ يغرس الآمال صاعدةً لشمس عُلاكْ
وبكلّ وجه فيكَ يرْفُضُ كلّ بارقة بغَيْر ضِياكْ
وبكلّ سمع فيكَ يرفُضُ كل هاجِسةٍ بغير صَداكْ
وبكلّ شيء فوق أرضكَ تحت ظل سماكْ

بالناسِ ، بالآجال يا وطني
بتَرَدّدِ الأنفاسِ ، بالزّمنِ
بزغاردِ الأعْراس ، بالكَفَنِ

... ...

مهما تمادَى اللّيلُ . . نحصدُه !
وبكلّ غضْبَتنا . . نُبَدّدُه !
ونردُّ فجرَكَ من يدِ المِحَنِ
متوهّجاً متشامخَ القسَمات والفِتَنِ
متألّقاً كالشمس فوق الكوْن . . يا وَطَني ! !

* * *

أهـواكَ .. يـا وطنى

وفِـداكَ كلُّ هـوايَ .

كُلُّ رجايَ يا وطنى ! !

وغـداً يهلُّ ضُحـاكْ

ويَـذلُّ كـلُّ عِـداكْ

وتعودُ أنتَ الصوْتَ

فى تكْبيرة الأقـدارِ

.. للأبطالِ .. يـا وطنى !

أغنيـــة للصحـــارى

يا صحارَى . .

أصبحَ الليلُ نهاراً .

والحصى أصبحَ عِطْراً ،

وزُهورا ، وثمارا

• • •

ظلّت الأرضُ تنادى من قديم الأزلِ :

أين ماء النهر . يَرْوِينى ، ويحْيى أملى ؟

كيف أظْمأ ؟ . . وهْوَ يَجْرِى فى يدِى ؟

وفمى يُهديه أغْلَى قُبلَى ؟ !

• • •

ظلّت الأرض تُنادى

وسكُون الصخرِ يَسْمَعْ !

وإنا صوْتٌ . . لديه مُهْجة الأيّام تخشع ! !

ردّدَ البشرى . . عتياً

من سمـــــاء النيـــل يُرعِـــــدْ :

. . أنا صوتُ الله . .

للغافينَ فى كل مكـــان يَتَـــــرَدّدْ

. . انا صوْتُ النارْ . .

للأغلال والطغيـانِ نـارِى تتَـــوقّدْ

. . أنا صوْتُ الشعب . .

مِنْ أصلابِه فى القهر صوتى يَتَجَسّد

. . أنا صوْت الأرض . .

ملّتْ عَطَشَ الأرض . .

فراحتْ تتفَصّدْ

انا صوْتُ البِيدِ . . .

اسْقاها جوار المَاءِ .

من قطرة ماءٍ لَمْ تزَوَّدْ

أنا صوت الثورة الكبرى

على كل مُحالٍ فى طريقى يتمددْ !

أنا صوت القدر المحتوم

. . مَن حارب صوتى يتبددْ !

قالها . . حلْماً وطارا

قالها . . بأساً . . وسارا

قالها . . الثأر . . للدُّنيا جهارا ! ! . .

وإذا زندُكِ يا مصر

يُحيل الطَّوْدَ خصْبًا وَعمارا

وإذا سدُّكِ . .

لا يرضى سوى الشمس لكفّيهِ جوارا ! !

وإذا كلُّ نشيدٍ يتبارَى . .

يا صحارَى

أصبحَ الليل نهارا ،

والضُّحَى أصبَح عطراً

وزهوراً ، وثمارا . .

• • •

يا صحارَى . .

حدِّثى الشطآنَ . . ليْلاً ونهارا

اصبحَ السدُّ منَارا . . .

فارفَعِى زَنْدَك فى أىِّ دُجَى واقتحمِيه

واشرعى سـدَّك فى كيْد الأعـادِى ،

. . واسْحَقِيه ،

واسلُكِى دربَـكِ فى نـورِ ضحـاه ،

. . وانتشريه ،

كلنا صفٌ . .

خيالُ الريح يفنى دون أن ينْفُذَ فيهِ

خُلِقَ الهوْلُ لتخضرُ البطولات

بأيـدى حاصـديـــهِ ،

فازحفى . .

واللهُ بالنَّصْر كفيلٌ . . فارقُبيهِ ،

وعلى راحتيه الليلُ توارى

والضحى عمَّ الديارا ! !

يا صحارى . .

أصبح الليلُ نهارا ،

والحصى أصبحَ عطراً ،

وزهوراً ،

وثمارا !!

قاهر النهر

عانقَتْ شمْسُ الضُّحَى ، اعلَى ذُرَاكْ
وحَبَا التَّاريخُ شَوْقاً . . كيْ يَراكْ

• • •

وَشَدَا النِّيلُ ، وغنَّى مَوْجُهُ
لِلَّذِي شَادَ منَ البأسِ عُلاكْ

• • •

كُنْتَ لُجّاً شَارِداً . . تَجْرِي بِهِ
عاتِيَ التَّيارِ للبحرِ يَدَاكْ . .

• • •

وأتَاكَ العِلْمُ ، والعقْلُ ، علَى

ثورةٍ بيضاءَ . . يَـــنْرِيها ثَرَاكْ . .

• • •

وأتـاكَ العــزْمُ ، في إصْـــــرارِه
صامِداً مرًّا ، يُـدَوِّي في سَمَاكْ . .

• • •

وأنْتَ مِصْـــرُ . . على راحـاتِها
مَنْ بكأس العُمْرِ يَسقيها ، سَقَاكْ ! !

• • •

زحفَتْ نَحْـوَكَ منْ كـلِّ الـــرُّبى
مُهَجٌ ظمـأى يُنـاديها هَـوَاكْ . .

• • •

رَفَعَـــتْ سـاعِـــــدَهـا . . .
فارتفعَتْ ، رايةُ المَجْدِ على كلِّ حِماكْ

• • •

وجَـرَى مـــاؤُكَ عَـــــذْباً . . .

. . قبلَما تطأ الأرضُ ، توافيها خُطاكْ ! !

• • •

لستَ سدًا فى الثَّرَى . . بل سدَّةَ
تَنْبِتُ الأرْزاقَ مِنْها ضِفَّتاكْ .

• • •

الصَّحارَى ، هلَّلتْ أغراسُها
حينَ مسَّتْها علَى البُعد عَصاكْ

• • •

ورمالُ الشطِّ . . اضحَتْ جنَّةً
بالشَّذَى والنُّورِ . . رَوَّاهَا ضُحاكْ ! !

• • •

ابناءً لنتَ ؟ لمْ مُعْجِزةً ؟
خلَّدَتْ فى الدهرِ مَنْ أعْلَى بناكْ ! ! . .

• • •

مـع النـــور الأعـظـــم

«فى ذكرى مولد المصطفى

محمد صلى الله عليه وسلم»

يا أوّلَ نُورٍ
سكبَ اللهُ النورَ الأعظمَ مِن شفتَيْه
يا أوّلَ نُورٍ
كلُّ النور تألق منه ، وجاب الكون على كفّيْه
يا أوّلَ نورٍ
خفَّ إليه الروحُ القدُسُ وكبّر شوقاً بيْن يدَيْهْ
يا أوّلَ نُورٍ
عطَشُ الدنيا جُنَّ عليه ، وروّى الحيْرةَ من قدمَيْهْ !!
البَيدُ الظمأى شربتْ منهُ

وراحتْ تسقى الظمأ اللأهثَ فى الأكوانْ

وانابَ ضحاهُ جِدارَ الليل

واوْغل ، اوْغلْ ، حتى شعشعَ فى الإنسانْ

رَشُّ اليَقظةَ ، والتَّوحيدَ علَى رئتيّه

ومَحا الذِّلةَ والإطراقةَ مِنْ جَفْنَيْهْ

ونَهَى الرقَّ وكان محالاً لا يتزحزح عن كتفيه

ومضَى يسحقُ كلَّ ظلامٍ

عبَرَ الدهرَ ، ومرَّ عليّهْ . .

عرَجَ الأفقَ ، وانَّنَ مِن اعلَى اعلاهُ

وراحَ يدقُّ ، ويَطْرُقُ . . يطْرُقُ فى الأبوابْ :

. . . الفَجرُ توهَّجَ يا سارينَ على الأعتابْ

والليلُ الضَّاربُ حول الكَوْن

تصدَّعَ فى شفتيه وذابْ

واللهُ الحقُّ . . تعالى الله

. . سَناهُ تَفجَّر فوق الغارْ

وانشقَّ ستارْ

وارتعدتْ كلّ حنايا الكونِ الغارقِ ،

في ليلٍ مَسجُورْ

بُشْرَى للأرض . أتاها النورْ ! !

يا أوّلَ نُورٍ

شرب الكونُ رحيقَ العزّةِ ،

لمّا سار علَى شَطْئيهْ .

رفَضَ الظُّلْمَ ،

وأوْقَدَ ناراً ،

لا تتحرّكُ من جنْبَيهْ

رفَض خضوعَ الحقّ لباغٍ

غنّى الحقّ ، وحلّق بالأغلال علَيهْ

رفَضَ خنُوعَ المظلومينْ

وطيبةَ وَجْهِ المنْهورينْ

رفَضَ صلاة الأوّابين لغير اللهْ

رفض خشوع الكذّابينَ بغير شفاهْ . .

رفضَ الرزقَ إذا لم يأت

أبيَّ الخطوة غيرَ هَجِينْ

رفضَ الكلمةَ

إنْ لم تسحَقْ كمدَ الذُّلّ ،

بكل جبينْ

رفضَ اللُّقمةَ

إن لم تأتِ حصادَ الغَرْس ،

لكل يَمين

رفضَ خُفوتَ المغلوبينْ

رفضَ سكوتَ المسلوبينْ

رفض هَسيسَ الرشوةِ

حين تفحُّ ، وتَمْرقُ كالتِّنّينْ

رفضَ البسْمةَ حين تَزُوغُ

لتخلس صيْدَ الغشّاشين !

رفضَ حياةً ،

. . شقِيَ الرفْضُ عليها غَضَبًا لِلْغافين ! !

رفع النورُ حِذاءَ الدرب . .

وتُهْنا عنْ نَغْمةِ قدحيْهْ

فشربنا الحَيْرةَ لم يرحمنا نُورُ يديهْ ! !

* • •

يا أولَ نور

سكبَ اللهُ النورَ الأعظَمَ

من شفتيه

عدَّ لخُطانا . .

عدَّ لهوانا . .

يَعُدُ النور لرُوح الحائر فى كهْفَيهْ ! !

الديوان
الثالث عشر

موسيقا من السر

موسيقا من السر !!

كلما ابصرتُ شيئاً
كنتَ فيه كلُّ شيءْ . .
. . أبصرُ الليلَ . . فألقاك به شلالَ ضوءْ !
أبصر الظلَّ . . فألقاك به انهارَ فيءْ !
ابصرُ الزهرَ . . فألقاكَ به مَوجَ عبيرْ !
أبصر الروضَ . . فألقاك به شطَّ غديرْ !
وإذا أسمعُ . . يُشجيني صدى منكَ مثيرْ !
. . قلقُ الشوق . . وضجّاتُ الهوى في رئتَيْ
عصفتْ كالريحِ ، كالإعصارِ ، تشوى جانبَيْ
اتلاشى . . ثمَّ احيا . . ثم اغدو كلَّ شيءْ . .
. . فأنا النظرةُ تنبثُ حنينا من عيونِكْ

وانا الحيرةُ تنسابُ التياعاً من جفونكْ
وانا الترتيلةُ الكبْرى علَى دير جبينكْ
. . ما الذى فى أعينٍ كالحبِّ أهواها . . وسكْرَى ؟
تُجْرعُ الحبَّ ، وتَسْقيهِ لأحلامىَ حَيْرَى
وتُذيبُ الكونَ فى شُرْفَةِ إحساسِى
. . وتترَى !

اغصنٌ من شجَرِ الحبِّ
رضيعاتٌ لِسِرِّهْ
وطيورٌ من رُبَى الحبِّ
سَمِيعاتٌ لأمرِهْ
وعطورٌ من صلاةِ الحبِّ
هالاتٌ لزِهْرِه . .

سلبَتْ من كل سرٍّ فى كؤوس الناس قطرة
ومضَتْ تَسْقِى ضَراعات الهوى نارا وهمسهْ
غيّرتْ كُلّ وجودى . . . لمسةٌ فى إثْر لمسهْ
ما الّذى فيها ؟

حياةٌ ؟ أم زوالٌ ، أمْ خلُودُ ؟
أم أساطيرٌ رَواها الحُبُّ . . أخشَى لا تَعودُ !
أمْ مزاميرٌ . . ؟
ولا لحنٌ !
ولا نايٌ ، وعودُ ! !

٣٠ / ١٠ / ١٩٧٢

موسيقا من الكلمة

يوليه ١٩٧٣

• وليسَ هذا تُرابي . .
وليس لحنٌ ربابي
وليس مفتاحٌ بابي ، وليس ليلٌ حجابي

* * *

• لم أتَّهِ مرَّةً بزَيْف الطَّريقِ ،
إنما النَّارُ ، تشتكي من حَريقي
• في ضباب الوجود ، أوقفتُ خَطْوي
لأرى الغيْبَ في المتاهاتِ يَضْوي !
• شُفْتُ طيْراً معذَّباً . . ينْقُر البابَ ،
ومن خلفه القوس ، سَهْمُها في ضحاهُ . .

• ليس رؤيا ، وليس حلماً أراهُ
بلْ وجودٌ . . وراءه الناس تاهُوا !
• فتحَ البابُ . . .
. . . ليس في الروضةِ إلا شعاعُ نورٍ وكلمهْ . .
• عصرتْها السماءُ من سرِّها الأعلَى
وسارتْ . . يحدو خطاها الإلهُ ! !
• لطمَ الكاذبين ، فانشقَّ منهمْ
كاذبٌ . . وَرْدُهُ سقتْهُ الشفاهُ
• وسقى الأرضَ وَرْدَهُ ، فهْي صِدْقٌ
كذبُ الروحِ مطْربٌ في صداهُ
• أنا أدْرَى ! فجُوعُهُ في الضَّمير
يلْقطُ الحبَّ قبل غرْسِ البذُورِ
• ويغنِّي ويحْملُ الزهْرَ ناياً
ليمصَّ الحياةَ . . منْ أيِّ زورِ !

• • •

• • كلمةٌ . . تشتكي ! وليس بها شكوَى

وتبكى ! والدمعُ زيفٌ غزيرُ

• ولها صائدانِ : هذا إلى الرَّحْمة –

نشوانُ ، لصٌّ لغافلاتِ الطيورِ !

• ولهذا . . نبيٌّ من نُقَّابِ

تلْعَقُ العُصْفَ من سكونِ العبير ! !

• • •

• • كلْمَةٌ . . بالهوَى البليد تُناغى

أىَّ وَجْهٍ تراهُ عندَ العبُورِ

وتدسُّ الفَراغَ : والحِقْدَ ، سُهماً

عبقرِيًا . . يزوغُ قبل الظهُورِ . .

• • •

• كلْمَةٌ . . سَجْدَةٌ تواتَرَ ذكرُ اللهِ فيها

من غير جذوةٍ فى الشعورِ

وبغير احتراقِ نورٍ ، بنُورِ

وبغير انتفاضةٍ فى الضَّمير . .

فَقَرَتْ للسماءِ تطلُبُ رزقاً ،

لؤمتاباً ، لؤ سبّلةَ للستُّورِ . .

• رفعتْ ، ثم لبّيتْ ، ثم عادتْ

أحرفَ المَوْتِ في نَهاةِ القُبور . .

• برقعتْ نفسها رياءً ، وعادتْ

سَجْدةً تستميلُ وَجْهَ المصيرِ . .

• كرّرتْ كأسَها . أتكالاً على العفْو . .

ودارتْ وفي يديها البُخُورْ . .

ليس لي عندها كلامٌ ، ولكنْ . . لِمَ تَشْقَى على الشفاه العطُورُ ؟ !

لِم ؟ والسرُّ واضحٌ ، تخدعُ السرَّ ، بسرٍّ تعافُ منه القشورُ ؟

ورقيبُ الصدى مُحيطٌ . . يرى للوجةَ والريحَ ، في رفات الهدير

ويرى النفْس وهْي حوْلاءُ . . زاغتْ !

. . فهْي رؤيا حقيقة ، وهي زُورُ ! !

• كلِمةٌ . . للصفاه فيها بَساتينُ ، وللعطْرِ جنّةٌ لا تزولُ

تَخْطفُ القلْبَ بالعبير . . ، ويا ليت شذاها في كل قلب يَجُولُ

رعْرعَتْ أيْكةً . . وغنّت طيوراً . . وسرت جدولاً حداه أصيلُ

ثم لمْعتْ ! ! حيّةٌ تنفث الفردوْسَ سمّا ، يخضرُّ فيه الأفولُ . .

* * *

• كلمة .. لا تقولُ شيئاً ، وتصغى لصداها . يقتات سمْعُ الفضاءِ
بلعَتْ كلَّ ساكنٍ ، ثم ذابتْ ، فهى تابوتٌ خيبةُ الضوْضاءِ
خُلِقَ الحرف للحياةِ ، وكانتْ فى عجيج الحياةِ مسْرَى هَبَاءِ
صمتَ البُلبُلُ الجريحُ ، وشجَّتْ لتصبُّ الصدى عزيفَ الدماءِ
مرَّ سمعى بها كما مرَّ وهْمٌ إخرسٌ ، حوّل مهْجةً خرساءِ

• • •

• كلمةٌ للهوَى ، تُحسُّ ربيعَ العُمْرِ يحْنُو على يَدَيْها الدقائقْ
وترى الحبَّ ضارعاً .. يَعبُدُ النيرانَ مصلويةً على وجه عاشقْ
وتراها تدُقُّ صدْراً ، فيغزو نارَهُ العطر مِنْ جميع الحدائقْ
آهِ .. كم قُلْتُها .. فلم يبْقَ فى ذاتى انتماءٌ أحسُّهُ للحقائقْ
اتلاشَى ، وانتهى ، فأنا الموجودُ والمنْتَهى بإعجاز خالِقْ
هزَمَتْ بالعذاب والسحْرِ يوْما .. أين يا حبُّ معبدى ؟ أنت سارق ! !

• • •

• كلمةٌ .. مِنْ صرير وجهٍ يتيم جائع الظلّ .. نائح فى سكونهْ
مطرقٍ ذاهل ، يكاد من الحسرة يقتات كلَّ جوعٍ جفُونهْ
حُرِمَ الظلَّ ، فاستحقَّ سؤالاً لخرسِ الصوتِ قابعا فى عيونه

قالها ، واستمرّ . . شُبْتُ رياحاً من خريف الحياة فوق غُصونهْ
لم تكُنْ احرفاً ، ولكن شظايا ملْجَمَات اللهيب تحت لُبنهْ ! . .
. . زعمَ العدْلُ انّهُ يُطفئ النارَ وغنّى ، فجدّدَتْ فى لحونهْ !

• • •

كلِمَةٌ . . قالَها مُصلٍّ ، وصلّى ، ثمّ بعد الصلاة عادتْ غريبَهْ
زمجرَتْ فى السجود ، حتى لجنّتْ ندمَ الليل ، ثم شبّتْ لهيبه
ثم قال السلام ! ثم تولّى ، يمنةً ، يسرةً . . يُغنّى هروبهْ
وإذاها مصلوبةٌ فوقَ لوْح عبقرى التُقى ، يدارى غيُوبهْ
فارق اللهَ ! ثم ولّى ، فولّتْ مثلَهُ فى كهوف نْجوَى عجيبَهْ
تمْضغُ الخيْرَ بالحروفِ وتلقيه على الشرّ لانتشال المثوبه
ليتها لم تكُنْ ! . . فإن صلاةَ الجسم من غير روحِه اكْذُوبَهْ !

• • •

• كلمة غنّت السلامَ وفضّتْ لعبير الحياة مليون زهرهْ
لاكَها جازرُ الشعوب بشدْقَيْن يُصْبان فى الشذَى الفَ جمره
تطلُبُ الظلَّ للحياة ، وتشويها بنارٍ . رياحُها مستمرّه
وتنادى الهدوءَ . . وهْى تَصْبُّ الموتَ هوْلا يسابقُ الموتُ طيْرَهْ

يَفجأُ الرَوضَ بالزوالِ ، وفى قاعِ ضميرِ السلامِ ، يحفرُ قبْرَهْ . .
كذبَتْ ! ! لن تُفيقَ إلا بروضٍ ينسخُ الزهرَ حدَّ سيْفٍ وثورَهْ ! !

• • •

كلمةٌ . . تضفرُ الأباطيلَ بالحق ، وتعوي فى الناسِ : هذى الحقيقه !
تسرقُ الدربَ من يديها وتُخْفيه ، وتُعطيه وهو غاف شقُوقهْ
وتلوك الصدَى ، ، وتحكيه بدْعاً . . وتُروِّى بكل إفك عروقهْ
ولها مخلبانِ : سفَّاحُ نورٍ ، عاطرُ الحدِّ ، وهو يُردى شقيقهْ
. . ووَفِى لضعْفِه ، يغْرزُ الحدَّ ، ويمتصُّ فى الضحايا طريقَهْ . .
له منها . . شقَّيةٌ ، لستُ منها ! فهْى حرفٌ مزَّيفٌ لن تطيقهْ ! !

• • •

كلِمةٌ . . جشِعةٌ ، التجارة فيها برُقِّ للعبيد ، يهتفُ : حرَّهْ !
تغرِسُ الصيْدَ فى الشِّباكِ لتصطادَ – مع العارِ وهْمَ مَجْدٍ وشُهْرَهْ
خسر الصيدُ ! إنها لحرفُ الخزْى ، ستجْنى الشِّباكُ بلْوَى وحسْرَهْ
جنّبونى حديثَها ، وامْنحوها مثلاً للذئاب فى الغاب مرَّهْ
ليس فيها نزاهةٌ . . ليس فيها للصدَى الحرِّ . . أىُّ طيْفٍ لنَبْرَهْ ! !

• • •

• كلمةٌ . . ترفضُ الحروفَ طريقا وتريد الكلامَ خلقاً جديدا
وتشقُّ التابوتَ ، تُخرجُ منه الليتَ الحيَّ في ضحاه وليدا
في يدِه الشعاعُ ، والدربُ ، والخطوةُ ، هزّاجةُ ترجُّ الوجودا
تُقشعُ اليأسَ ، والجمودَ ، وتُضرِي غضبةَ الروح كي تذيب الجمودا
وتردُّ الترابَ حرّاً أبيّاً ، يقهرَ الدهرَ في ضحاه صمُوداً . .
هذه كلمةُ الحياةِ ! !

. . . إذا لم نقُلْ فيها ، سننْتهي . .

. . . لنْ نعُودا ! !

الله

. . وهُنَاكَ عند الفجْرِ فى إشراقَةٍ كلَظَى الهَجِيرْ
وعلى خُطَا قمْرِيَّةِ الإيماضِ ،
يَسفَحُ نُورَها كَذِبَ الصُّخورْ . .
. . رَوْضٌ رَحيبٌ لجهشَتْ فيه الزُّهورْ
وتكلَّمتْ بعطورِه لُغَةُ الطيورْ
وناوَحَتْ ريح مُجَنَّحةُ للسيرِ ،
علَى مخاضرِه تَدُورْ
وترنَّمتْ ورْقاءُ صالية الشعورْ
مَعْشوقتى . .
. . وعشيقةُ النَّغَم المصفَّد فى الوكُورْ

وذبيحتي . .

. . وأنا الذبيحُ !

. . وجاذرُ الرؤيا أسيرْ

مُتلفِّعٌ تحت العروقِ بمهدِهِ الشَّملِ الوَثيرْ

في كفِّهِ نَهرُ الحياةِ لهيبُهُ قلقٌ مَريرْ

وعلى شواطئِهِ هُتافٌ لجَّ في ندمٍ غزيرْ

وضراعةٌ بلهاء تصرُخُ وهْيَ هالعةُ النُّفيرْ

وخطيئةٌ . . تلدُ الحياةَ .

ومَهْدُها يَلِدُ النُّذورْ

وصدًى يُفَرِّدُ ناشحاً .

وبدمعه يلغُو السُّرُورْ !

وغمامَةٌ عرجاءُ ، دوَّخها المسيرْ

انّا تسيرُ ، وآنةٌ تبكي المصيرْ

والأفقُ مصلُوبٌ كسيرْ . . .

شحنتْهُ أوهامُ العصورْ ،

ومسابحُ النُّسَّاك وهْيَ على مزالقِها تَدُورْ

. . الكَفُّ مؤمنةٌ ،

وظلُّ الكفِّ مشنقةُ الضَّميرْ

وتمائمُ المُتبتِّلين كأنّها هَزَجُ الغواية فى الصُّدُورْ

مسكينةُ الأصداء ، تلعقُ فى المداهنِ والبُخُورْ

وتئنُّ فى حبّاتها الدعواتُ . .

جائعة الصّفا لزُجاج كوبٍ أو حصيرْ

مُتلمّظاتٍ للوُرُودِ

على هوادجَ أخجلَتْ خشبَ النُّذورْ !

تتلفّتُ الأزوادَ مِنْ عبقٍ تناسَمَ بالسُّرورْ

والنُّورَ . . مِنْ حلَكٍ تناغمَ فى الجُنُورْ

والطُّهْرَ . . من شطحاتِ اوهامٍ ونُذُرْ

وتُعانقُ القُدُسَ المنيعَ ، كأنّما سكَنَ السُّتُورْ !

بفَهِيقِ راغيةٍ محيّرةٍ على زبدِ الثُّغُورْ

ونقيقِ غاويةٍ مبعثرةٍ على خبلَ حَسيرْ

متخالجِ اللّمحاتِ ، أعمى دُسَّ فى الَقِ ضرير

طحنتْهُ سنبلةُ السِّيادةِ بالقُشورْ . . . .

. . والرزقِ ، والعَوْزَ المخدّر بالسكينة والحبُورْ

ولَوَاهُ جلاّبُ المطايا للقرورْ

ومضفّرُ الأصلابِ اعتاباً مطهّمةَ الظهورْ !

أقواسُها تتدُ السّهامَ وتُنْشِبُ العشْبَ الحقيرْ

وتُحيل هشّ الوارفين مَشاتلاً لرُبَى القُصُورْ

وعلَى خُضوعِ الهائمينَ . . . بكفّها تُعْلَى الجسُورْ

وتدورْ تَطْحَنُ في غيابتها . .

فتَطحَنُ . . او تَدُورْ !

. . . سُبْحانَ وهّاب الظلام لمنْ يُريد بَصيصَ نُورْ !

سَحَبُوا من الأكفانِ قُدْرتَهُ

. . ولُجوا في النُّبُورْ

وتأوّدُوا خَيْباً ، وتَهَتّهَ ،

. . وليًا للصُّدُورْ !

في حَوْمَةٍ . . لا للسّماءِ ، ولا التُّرابِ ،

. . لِدَفْها نَسَبٌ يُشيرْ ! ! . .

. . زَعمُوا لقاء اللهِ وحْدَهُمُ . . وجلّ ! !

فتُورُهُ غَمَرَ الدُّهورْ . .

. . فى الحبِّ ، فى الأملِ المخلّق ،

فى الأجِنَّة ، فى البُـذُورْ

. . فى الرّيحِ ، فى النّسَمِ المُرَنِّحِ فى العشايا والبُكُورْ

. . فى الطّيْف تلْمَحُهُ ظلالُ ظِلالِهِ فوقَ الغديرْ

. . فى السّفْحِ ، فى شجَرِ الْغوارِ ،

. . فى البرازخ ، فى البُحُورْ ،

. . فى كُلّ رائقِ دمعةٍ من جفْنِ مظلومٍ فقيرْ

. . فى كلّ كاسرِ حلْقةٍ من قيد مقْهُورٍ أسيرْ

. . فى كلّ رافِضِ لُقْمَةٍ ، لليْلِ جالبُها أجيرْ

. . فى كلّ واهبِ روْحِهِ غوْثَ الترابِ المسْتَجيرْ

. . فى كل ذاتٍ حرّكتْ عدمَ الفراغِ إلى الصّريرْ

. . فى خُطْوةِ الْقَدَمِ الّذى هتكَ البراقعَ ،

. . عنْ دُجى القمَرِ المُنيرْ . .

وحدَا السّديمَ ، . . .

وشقّ بين يديه أسرارَ الأثيرْ

ومشى على الأجيال يسحق جهلَ عالمها الضرير
ويُزيح سترَ العقل عن إعجاز خالقه القديرْ !!
. . الدّربُ ضوءٌ للسُّراة . . .
. . حقيقةٌ وحَصادَ نُورْ
وهوَى الدجَى . . .
. . وتمزقَتْ حُجُبُ الرّياءِ علَى الحُضُوْر
. . . .
فالله يَصْحَبُ كُلَّ من صَحِبَ النّهارَ . .
. . ومالَ عن غَبَشَ السُّتُورْ !!
١٩٧٦ / ٥ / ٥

موسيقا من الزمان

طَوّاف

«النغام من طير الحقيقة

سَمِعْتُها . . علم اليقين»

٢٥ / ٥ / ١٩٧٣

ألفانِ ، وعشرةُ الافْ

وأنا طَوّافْ . .

. . في البحر الغارقِ في الاسدافْ

روحي مجدافْ

قلبي مِجدافْ

يجتازُ جُنونَ الرّيح ، ويَنْفُذُ في الأعْماقْ

ويُحيلُ اللُّجَّ طريقاً للأعْرافْ

ويُلاقي الجوهرَ في الأعماقِ . . فلا أغْوار .. ولا اصدافْ

وحقيقةُ هذا الكونِ تلوحُ . . فلا اسرارَ ، ولا الطافْ . .

. . المركَبُ طافْ

عُرْيانَ الرُّؤية . . لا مكفوفَ ، ولا خُوافْ

الزَّيْفُ ازْوَرَّ ، ومَرَّ ، وفاتْ

والغشُّ . . انْصلَبَ على جفنيه وصارَ رفَاتْ

والمجْدُ . . نَشيدٌ ضاعتْ منه الكلماتْ

والشهْرَةُ . . وقفَتْ تضحكُ في الطرقاتْ

وتُطِلُّ بلا عَينين على الأمواتْ

وتَرُشُّ زوالاً كانوا فيه ، وعادوا فيه بِلا رايَاتْ

والضوءُ رياءْ

والفيْءُ رياءْ

والنَّغَمُ الحالمُ وتَرٌ مذبوحُ الزَّفراتْ ،

مَبْحوحُ الآهاتْ

يترنح بين يدين بلا راحاتْ ،

وبلا كاساتْ !

مخدوعَ الشهَواتْ ،

مفجوعَ اللهواتْ ،

يتحرَّكُ فى اللاشىء ، . بلا حرَكاتْ

ويدور ، يدورُ . . ولا يدْرى من أىِّ فضاءاتْ . .

. . العقْلُ اقتحمَ السرَّ ، وأوغلَ فيه وطافْ

والرُّوحُ التَحَمَ بكلِّ خطاهُ . . وكان الموجة والمجدافْ

لكنَّ خِصاماً دبَّ به عُميانُ الرُّوح على الأطرافْ . .

فتوارىَ النورُ . . . وعاد النورُ بلا أقْواف ! !

يتخطَّى الغُصْنَ ،

ويسْحَبُ منه وِساد الرُّوحِ على الألياف

وغباوةَ كلِّ عصور التيه ، . . وكلَّ ظلام طافْ

مِنْ دَجَل الكاهنِ ، والمتنبِّىء والعرَّافْ

والرَّابضِ خلفَ الأمسِ . .

. . يُعيد خطاهُ ، يَمدُّ يداه ليقطفَ حلْقة قيْدٍ بالخُطَّافْ

والموتُ يموتُ ، ويحيا فيه . . ويرجعُ موتاً منه يَعافْ ! !

الفانِ ، وعشْرة آلافْ

وأنا طوافْ

روحى مجدافْ !

قلبى مْجدافْ ! !

الفانِ وعشْرة آلافْ

وأنا طوّافْ

فى البحر الغارق فى الأسْدافْ

روحى مجدافْ

قلبى مجدافْ

وَسَرابٌ يبْحِرُ فيه سفْين الكون بغير ضِفافْ

لم يبْق شراعْ ،

لم يبق شعاعْ ،

لم تبق رياحٌ تُغْرق شيئاً تُنقذُ شيئا غَرَقٍ وضاعْ !

. . كلُّ الأمواج خِداعْ

كل الأنباءِ ضياعْ

كل السارين لسارى صدْرِ حَجَبَ السرُّ ولا أضْلاعْ

تنهار قِلاعْ ، وتقوم قِلاعْ

وتسير قلاعْ ، ، وتعوم قلاعْ

وانا ملّتاعْ . .

. . قَلَقُ للزمارِ ، شقُّى الطّارِ . . طريدُ النغمة فى الأسماعْ

ورَديقُ الدمعة . . لا إجهاشَ ، ولا إدماعْ !

التفُّ بغَبَش السرِّ . . فلا انهَارُ ولا ارتاعْ !

وأدُور . . ادور وراءَ الرّيح فلا انقَصِفُ ، ولا أنصاعْ !

وافتّش عن سرِّ الأغلال لركّاعين بلا إخْضاعْ

جاثين جياعْ . .

للزّاد الأوّل للإنسان . . شعاعٌ حرٌّ جنْبَ شعاعْ !

يجتاحُ الذلّ . . ويرفضُ كل نعيم يأتى من كفّيه ، وكل متاعْ

ويعيش الفقر شريفَ اللقمة . . لا محتالَ ولا خنّاعْ

ويخوضُ الشوك ،

ويعثرُ فيه ولو يُغنيه اسَى لذّاعَ !

. . مَن قال رِعاع ؟

نحن الإغماضُ لعدل الجائر حين يُصوَّبُ بالقِلاعْ

نحن الإيماضُ لوهجَ الظلمِ . .وهج الظُّلم فقيدَ القاعْ

عات ، بلاَعْ . ..

يزْدَرِدُ الدَّمْعَةَ ، والإعْوَال ، وحقَّ القْمة ، دون دِفاعْ

ويَصيدُ تَعاسَةَ جوّابينَ بغير شِراعْ

ويُبيد ضراعةَ مقهورينَ ، بغير رَضَاعْ

. . جرفتُهُمْ فى الأجيال ، عطايا الرِّقِّ المرّ بغير صِراعْ !

دهستْهُمْ شيئاً . . آمَنَ ذلاً بالإخضاعْ . . وبكل ضَيَاعْ

قانُونَ !

واعجَبْ . . شبحُ الموتِ يلوحُ حياةً لاَ ترْتَاعْ

تخْضَرُّ ، وتورقُ بالتّحقير ، وبالتخدير ، وبالإفزاعْ

الحقُّ المسافرُ ضاعْ . .

والرّزق قِلاعْ . . .

يتسلّق فيها الأعرجُ ، والمتعارجُ ، والمُتَداعْ

والذّائب فى احضان الله يمدُّ يديه بغير ذراع

أعْشَى فى الحبِّ ، ضريرُ القلْب يشدُّ الثمرَ بغير قطافْ ! !

وبلا إنصافْ !

. . يتحرك شيءٌ ، يوجدُ شيءٌ ! ! كيف يكونُ بغير زِحافْ ؟ ؟

وبلا أوتارٍ . . سلَّ النغْمة من عزَّافْ

وبلا نيرانٍ . . جذَبَ النورَ من الأسدافْ ! !

هذا إجحاف ! !

هذا إرجاف ! !

وبكاءُ عيونٍ لا تتحرك للأطيافْ ! !

عبرَتْ . . حتى وقفَتْ !

نظرتْ . . حتى عشِيَتْ !

ضجِرَتْ . . حتَّى هلَكَتْ !

وزمانُ الزمنِ لها عزَّافْ ،

كذَّابُ الحكمة ، خاوَى النغمة م الأوهام يُريد سُلاَّفْ !

ويريدُ وصولَ الشطِّ بغير مطافْ ! !

الفانِ . . وعشرة آلاف . . وأنا طوَّافْ

عُمْرى مجدافْ

خطوى مجدافْ

يتخطّى الموجةَ والتيّارَ ، ولا يتلفّتُ للإعصارْ

ويشقُّ طنين الريح ، فلا يتوقّفُ أو يتّدارْ

فخُطاه حصاد للأسرارْ . .

وصداهُ مدارٌ للإصرارْ . .

أصغَى للعصر وطافْ

وانسرب لقاع الصمت ، وقاع الوقت ، وشق بروحى كلّ شِغافْ

وانجذب ، وغاصَ ، وحوّمَ فى حلَكِ الأعماق وفى الأطرافْ

ووراءَ الحرف . . يدِفُّ ، يُسِفُّ ويعلو لا إقتار ولا إسرافْ

بيد للغيب ، تحرّكُ فيه شعاعَ السرّ ، وتلْقُط منه هوى الأوتارْ

ياما سَمِعَتْ نعشَ الحق بصوت الباطل فى المزمارْ ! !

ياما شهِدَتْ جسدَ حقيقة شيءٍ . . يذبح فيه الكاذب كالجزّارْ

ويغنّى الزور ويصدح فيه بالأشعارْ ! !

وترٌ غدّارْ ! ! وفنونٌ لعِبَتْ بالأجيال وصبّتْ فى شفَتيْها النارْ

وأنا محْتارْ ! !

ماذا أحكى عن قرْن مرّ . . كطيفٍ شعشعَ . . ثم انهارْ . .

وغدا السُّمّارُ . . بقايا عارْ

وانا خوّافْ ، وانا طوّافْ !

لا دربَ لديَّ ! ولا مَلاحَ ! ولا مجدافْ !

الفانِ وعشرة آلاف . . وانا طَوّاف ! !

(. . وظلت تشرب من كأس لا تدرى منابع

كرمه فضلّت خطاها فى الطريق : .

فعزف لها هذا النشيد . .)

٥ / ٦ / ١٩٧٣

موسيقا من الضياع
النفس .. والكأس

.. عنها كل حدائق السحر ومن غير كرمها ..
ظلت تشرب الكأس !! وقابلتها في دروب
الضياع .. فعزفت لها هنا النشيد !!

ارفضي الكأسَ .. ولا ... لا تشربيه !
.. وارفضي ، لاَ تقربيه
وارفضي النشوةَ ، والتخديرَ فيهِ
.. وارفضي ! لا تبصريهِ !
وارفضي تحويمهُ حولَ الخلايا ، وأطرديهِ
.. وارفضي ، ولا تشتهيهِ
وارفضي ذاتكِ ، إنْ تبكِ على معتصريهِ

. . وارفضى ، لا تلمسيه !

. . . . . .

ارفُضيه ، فهو لا كأس ، ولا خمرَ ، لكى ترتشفيه

ارفضيه ، فهو ليْسَ الحبَّ ، ليْس السرَّ كى تستَلْهميه

ارفضيه ، فهو ليْسَ المجدَ ، ليْسَ الخلْد . . كى تستعظميه

ارفُضيه ، فهْو لا شىءَ ، ولا أحلامَ شَىْءٍ كىْ تعيه ! !

عبَرتْ روحَى بالدنيا ، وجابتْ كُلَّ حانٍ ترْتجيه

غيرَ هذَا القاتلِ الملعُونِ فيها . . فمِنَ الرّوحِ الْعنيه !

الْعنيه . . واسْخَرى إنْ جفَّ فى عزْلَتِه . . لا تنْدُبيه

فهو سرُّ الموتِ فى كل وجودٍ مستعَارٍ يرتديه

وهو تابوتُكِ . . يسقى الموتَ سِحْراً . . فانبُذيه

. . واطرحيه ، واسْحَقيه

وانظُرى . . ايَّ اساطير من الزّيف اضلّت عاشقيه ؟ !

واذلّتْ واردیه ؟ !

وأحالتْهُمْ سَرَاياً غنَمٍ تَجترُّ فى اعشاب تيه

تسْبل الأيام رِثّا . . لهوانٍ بيديْها تَحْتويه

نَوَّيْتُهُ من عصور القهر كاساً من زَوال تمتسيهِ
. . فيه ما يُذهل سرَّ الفعْل ، سرَّ الرُّوح ، حتّى لا تعيهِ !
ينْسخُ التاريخَ أسمالاً ، ولغواً . . بصدًى لَنْ تفهميهِ !
عاكفٌ في أمْسِهِ المشلول في كل غشاءٍ يرتديه
واقفٌ يرْسُفُ في أغلال شيء . . كلُّ شيء يزْدريهِ
دائرٌ في حلْقةٍ ، دارتْ بها الدُّنيا على مُصْطحبيهِ
دائخ في نشوةٍ ، تجهل في كلِّ مَدًى ما تبْتغيهِ
سامدٌ في مرْبَضِ للرُّوح . . لا يدْرى ! لها ما تصطفيه
يشربُ اللهَ خيالاتٍ ، وجلُّ اللفظ عن مُحْترفيه . .
فهْو في كل ضميرٍ وطريقٍ شقُّه في سالكيهِ ،
وهو صدْقُ الكلْمة البيضاء . . لا تعرف زوراً تفْتريهِ
وهو طهْرُ النَّفْس شمَّاءَ . . فلا تعرف إفْكاً تقْتَنيه . .
. . ضاعَ نورُ الحقِّ من كَرْمِكِ . . فاستخفى به واستنكريهِ ، !
وارفُضيه . . قدَحاً يمتدُّ من كف الردَى . .
. . لا تشربيهِ ! ! !

* * *

لرفضه . . فلكمّ غنّك لحنَ الوهْم . . . لا . . لا تسمعه ! ! . .

. . نغمٌ من ورَقِ التُّوتِ . . أبَى ، ذلّ فى مُستمعيهِ

يَعْزِجُ العارَ مع الفخار . . ويَسْتَسقى الشذَى منْ حاصديه

ويشدُّ النورَ من نُور . . هو اللّيْلُ بأيْدى حامليهِ

يُسكِرِ اللّحْدَ . فيَغْدُو لَحْدَ إحْياءٍ لَموْتٍ يَجْتنيهِ !

ويغنّى ضوءَ شمْسٍ لم يَعُدْ منها بضوءٍ يَرْتئيهِ !

ويُسلّى غفْلةَ الأيّامِ . . يُلْهيها بما عشّشَ فيه . .

. . لم تزلْ قرطبةٌ تصرُخُ . . والتّاريخ يُصغى لأبيهِ ،

وهو يمشى فاغرَ الفَا . . ويحكى كل شىءٍ لبنيهِ ،

مثلما يسرد دمعُ العين بلواه إلى مستنزَفيهِ

شُجَرُ البان نَوَىَ ، وارتاح ! ! حاديه بذكرى غارسيهِ

وعلَى الأقصى سَبِيُّ الطّيْرِ بالأغلال يُشْجِى صائديهِ

وترابُ القدس خزيانٌ من الإصغاءِ . . يَرثى منْشديهِ

. . حلَمَاتٌ ، وأحَاجٍ ، ومزامير . . شَجَتْ مُغْتَصبيهِ

ورَضاعُ الشّعْر انْهارَ منَ اللّغْو جرَتْ فى عازفيهِ

ورموزٌ فجّةُ الإضْمارِ . . كاللّص جَنَى من سارقيهِ

وشعارات . ونهْش وإلغ الرَّشْفةَ من قلَبِ لخيه

ومتاهات لأسفارٍ من الكلْمة فى دَرْب سفيه !

الدجَى ، والوهْمْ ، والتطريبُ بالزيف . . عذارَى عاشقيه !

وزُجاجُ الكأسِ مذْهولٌ ضرير الحسِّ عمَّا صُبَّ فيه . .

. . حطِّميه . . واسحقيه . .

• • •

وارفضيه . . واملئى كأسكِ منْ مُعْترضيه ! !

ارفضيه . . واجْتويه . . وإنا شئْتِ عناداً قرِّبيه .

وانْظُرِى فى القاع . . ما فيه . .

ويا ليتكِ لم تغترفيه ! !

. . أنفْسٌ مَجْذُورَةُ الوجْهِ . . تلاشتْ فى دجىً لم تلمحيه

وعيونٌ تعشقُ النُّورَ . . غذَّت أهْدابُها من نابحيه . .

وقلوبٌ تلعق الحقَّ . . وتخْشَى إنْ تُرَى من قابِعيه !

وكلام أخضر الحرف تشهَّت كل نفسٍ عطرها من ناطقيه

راغَ حول الأوجُهِ السكرَى . . وبابُ الحان يطوى داخليه

دلفوا منه مساكين . . لروض كاذب العطر شوَى مستنشقيه

عبرَ الفيشُ به فى هُودج للروح مذموم المنارات كَرِيهِ
حشدَ الزهرةَ والحيَّه والسجدةَ والزورَ إلى مُستَرفدِيهِ
وتلاشى فى سطوع الزيف ومْضاً معجزاً . . لا لون فيهِ
وأدار النغم السارقَ والمسروق . . من طيرٌ خبىءٍ يقتنيهِ
علّقَ المكرُ جناحيه على اقْفاصِ امرٍ فى حشاه ينْتويهِ
حرْفُهُ . . حرفانِ : حرفٌ فى لسانٍ ينطق الباطل فيما يدّعيهِ
وصدَى حرفٍ . . بكهف النفس مصلوب على نبرته . . لا تسألِيهِ . .
. . فضمير نامَ ، فى صدر ضميرٍ قام خزيانَ الرؤَى . .
لا تحْرجِيهِ ،
واصرفى وجهك عنه ، وازدريه
وانهبى لا تذكريه
واجهليه
فهو سرُّ الخيبة الكُبْرَى ، وإن شئت . فقومى شيعيه
واهجرِى كل رؤاه . . وارفضيهِ
وانتهى من كل عشب تعضغِيه
. . فهو روض كاذب الخضرةِ . . والماءِ الّذى يَسقيه ،

يُرْدِي شاربيه ! !

• • •

. . لو . . لو لَمْلمتِ أحلامكِ من سرداب مَجْد ضائع لم تُوقظيه !

آه . . لو نَفْضتِ اتلاحكِ من كرْم دخيل . . سِرُّه لم تكشفيه !

آه . . لو أخرستِ دُجالين بالحرف ، ومِنْ رَجْع الصدى لم تُرضعيه !

آه . . لو كلُّ ضَمِيرٍ فيك . . لم يُضْمِرْ صدًى . . . لم تعلميه !

آه . . لولا شبَكٌ كالوَهْم كذَّابُ السِّنَا . . ليتكِ لم تَقتبسيه ! !

آه . . مِنْ ليلٍ بعينيك . اتبتِ النايَ طُوَاقا لغنى ساكنيه ! !

. . سمعوا شدوى . .

. . ومالوا نشاوَى . . خَمْرِهِمْ من عنبٍ . . لم تُعْصريه

لا سُكَارَى !

لا حيارَى

بلْ . . اسارَى حَجَرٍ دارَ علَى مُسْتَعْبَديه ! !

. . مرَّةً . . لو ذُقْتِ من كَرْمِي الذى ذَوَّبْتُ آفاقى وأعماقىَ فيه

لعرَفْتِ السِّرَّ فى رفضى لكأسٍ . . لستُ من مستلهميه ! !

فأنا . . مِنْ كَرْمةِ الشَّرْقِ أنا شيدى وبُستانى الذى لم تَدْخُليه . .

وبكاسي جوهر السرّ

فإنْ شئتِ حياةً من جَديدٍ ،

. . فاشربيهِ ! !

. وَاشْتَدَّ كِبْرُ العقل . .
وزاد غروره ،
حين وصل العلْمُ بأقدام البَشَرْ
إلى سطح القَمَرْ . .
. . فعزف الشاعر هذا النشيد

مُوسيقَا مِن الرُّوح

• سألُوا نبيَّ الله . .

قال اللهُ : قل لا !

الرُّوحُ منْ عندى ، فَقُلْ : لا تَسألُوا . .

• لا تسألُوا الأنغامَ ، كيف تَفجَّرتْ !

السِّرُّ تاهَ ، وتاهَ فيه البُلْبُلُ

• وتَحيَّرتْ بدمى الطُّيورُ

فمرَّةً تندُ الطريق ،

ومرَّةً تستعجِلُ

• اصغيْتُ ، ثَم أطلْتُ إصغاءَ الرُّؤَى

فلعلَّ بارقةً لِلَيْلِى تُقبِلُ !

• والشَّرفةُ الكبرى بذاتى اجْهَشَتْ ،

والْلُهفةُ العمياءُ راحَتْ تُعَوِّلُ

• والعقْلُ مسجُورٌ ،

يُطلُّ ، ويختَفي

مات الضياءُ به ، وجُنَّ المِشْعَلُ

• خطفَتْهُ أضواءُ الطريقِ ،

فظنَّها وصلَتْ ، فراح من العِمايةِ يَدْخُلُ !

• وثبَتْ مَخالِبُهُ ،

ودَقَّ جَناحُهُ بالنُّورِ قبْرَ النُّور ،

وهْوَ مُخَبَّلُ

• سلَبَ الغرورُ ضِياءَهُ ،

فمضى كما يَمضي الغرورُ ، على السَّراب يُحَوقِلُ

• أغراهُ . . أنَّ الذرَّةَ انفلَقَتْ على كفَّيْهِ

فهْوَ بِكِبْرِها يتدلَّلُ !

• قَهَرَ السَّماءَ ، وشَقَّها ،

وسَرَى بِها

ومَشَى على القمرِ الأصمِّ يُرَتِّلُ

• نشوانَ يلْطِمُ كلَّ غيبٍ !
لا ترَى شيئاً وراءَ الغيب منه يُجْفِلُ
• لا ربَّ ! لا رُوحاً !
ولا امَداً به من سَطْوة المجهولِ طَيفٌ يَعْتُلُ
• ملَكَ الوجودَ ، فلا حدود لخَطْوه
القَمْحُ صافَ لهُ ، وجاعَ النِّجِلُ !
• يرْقَى ، كما لو كانَ يَهْبطُ ،
لا يرَى إلاَّ المحالَ بشَوْقِه يتنزَّلُ
• اهدابهُ بيدِ الإله . .
وخطوهُ بيَدِ الحقيقةِ . . فارسٌ متَرجِّلُ
• صهرَ الظلامَ مع الضِّياءِ ،
وصاغَ درْبا علَى ومْضاتِه يتنقَّلُ
• وصلَ الدَّواةَ فصاغَها قدَراً
علَى راحاته كلُّ الوجودِ يبُدَّلُ
• يرْمى بها ،
فيحيلُ كلَّ زمانها عدَماً

يُذيب رُؤَى الحياةِ ويُثكلُ

• يُفْنِى ! ولا يُحْيى !

وليس بطَوْقِه ردُّ الحياةِ ،

لأىِّ شىءٍ يذْبُلُ

• الزهْرُ ماتَ !

فهلْ بسرِّكَ قدرةٌ ؟

تدعُ الخلودَ بعطرِه يتنقَّلُ !

• والعطرُ ماتَ !

فهلْ بسرِّكَ قدرةٌ

تُحيْيِه من روض البِلَى يتسلَّلُ !

• وأتى الخريف !

فهل بِسرِّكَ قدرةٌ

تدع الربيعَ علَى ضحاهُ يهلَّلُ !

• والحبُّ ؟

هل بيديكَ تُوقِدُ نارَهُ ،

فى مُهْجةٍ مِنْ حِقْدها تتأكَّلُ !

• والروضُ ، إنْ خرست جميعُ طيورهِ ،
الذيْكَ للأغصانِ ذاىَ يهْدِلُ ؟
• أعرفتَ سرَّ غنائها وسكوتها ؟
أعرفت ؟ أم انتَ العليمُ الأجْهَلُ !
• أعرفتَ نفسكَ ؟
كيف تعقل ما ترَى أولا ترَىَ فى كل شىءٍ يَعقِلُ ؟
• أعرفْت كيف تضىءُ فيكَ شعاعةٌ ؟
كيف الضياءُ بطرفها يتَرَهَّلُ ؟
• أعرفْتَ إنْ سكنَتْ بذاتكَ نبْضةٌ ،
لِمَ انتَ بعد سكونها تتبدَّلُ ؟
• . . يغشاكَ صمتٌ ، لا تعى لهمُوده سرّاً
على اسْرار ، وَعْيكَ يُسْبَلُ !
• تَقْنَى ،
وطائرُكَ الخَفِىُّ مُجنَّحٌ فوق الزَّوالِ
. . جَناحهُ لا يَنْزِلُ !

• قد كانَ فيكَ ، وكنتَ فيهِ ، وكُنْتَما . .

هُوَ ضوءُكَ السارِي ،

. . وانتَ الهَيْكَلُ ! !

• فإذا انْطَفأتَ ،

تخلّصتْ ومَضاتُهُ ،

ورجعْتَ للاشيءَ . . صَمْتاً يُعْوِلُ

• هيَ فيك تجهلُها ، وتشربُ خَمرَها

فإذا تطيرُ . . فأنتَ كأسٌ مهمَلُ !

• يسقيكَ طينُ الأرضِ أصلكَ ،

مثلَما يُسْقَى الزَوالُ من الحياة وينْهَلُ ! ! . . .

• دَعْها ملثّمةً !

وحاوِرْ دَرْبَها . .

ودعِ القوافلَ ، فالطّريقُ مُكبّلُ

• ما شئْتَ !

او ما لم تشأ !

إنّ السُّرَى شِربَ الوقوفَ

وأنْتَ فيهِ مُخبَّلُ !

• ستظلُّ تسرُقُ ،

ثم تَمْرُقُ ،

ثمَّ لا تَجدُ الرُّؤَى فيعودُ طَرفُك يَهْزِلُ ! . .

• وتظلُّ تلْهثُ ،

والحقيقة سرها فى كل شىءٍ ،

• وأضحٌ متمثِّلُ !

الروحُ . . روحُ اللهِ !

والعقلُ الذى يُشْقِيكَ ؛

ضيْفٌ فى حماها يَنْزِلُ !

• فإذا مضيْتَ

مَضَى ! !

وتبْقَى حرَّةً

وكما يُريدُ شعاعُها . .

. . تتجوَّلُ ! !

موسيقى من الشهداء

كتبت في مدينة دمشق ليلة ٦ مايو ١٩٧٤

(عيد الشهداء)

•انشدت في مهرجان عيد الشهداء بدمشق

بدعوة من الجمهورية العربية السورية

مانا أغنّي ؟ والسّماءُ بقدْسِها وبنُورها .. غنّتْ لهُمْ . . ؟ ! !

. . والأرْض لمّلمَتِ العبيرَ وضَمّختْهُ بعاطرٍ من ذِكْرِهِمْ

وأنَّ قرّبَهُمْ ومَدّ العرْشَ أظلالاً لرفْرَفِ خلْدِهِمْ

وكتائبُ الأحْرارِ شدّتْ في النّضالِ ضياءَها منْ دَرْبِهِمْ

وخُطَا الشُعوب تضلُّ إن لمْ تَسْتَمِدّ حَياتَهَا منْ خَطْوِهِمْ

عرفوا طَريقَ الخلْد فاتجّهوا إليْهِ وعانَقُوهُ بِعُمْرِهِمْ ،

وبِرُوحهم ، وبِسِرّهِمْ ،

وبكلّ ما حملتْ منابتُ كرْمِهِمْ
وبكلّ ما وهَبَتْه أقداحُ الحياةِ لِمَعْهِمْ ولخمرهِمْ
بالنُّور . . والأغلالُ ترفضُ ضوْءَه – من عزَّة – عنْ ليليهِمْ
بالحبِّ . . والأغلالُ تنسخُهُ لَظًى متاجِجاً منْ سُخطِهِمْ
بالدَّمْ . . وهْو النَّارُ عاطشة مُدَمِّدَمةُ لساعةِ ثارِهِمْ
بالحلْم . . وهْو نسيمةُ الجبناء تَعجزُ أن تَطُوفَ بلَيْلِهِمْ
بالرُّوحِ . . وهْيَ الطَّائرُ المجْروحُ من غيْظ التراب بأرْضِهِمْ
بوجُودِهِمْ . . ووُجُودُهُمْ هذا التُّرابُ الحرُّ يَصْرُخُ تحتَهُمْ . :
إنْ لم أكُنْ حرًّا فلا داسَتْ على وجْهي عُرُوبةُ وجْهِهِمْ !
ردُّوا عليه بأنْ سقَوْهُ بكُلِّ آخر قطرةٍ وفي كأسِهِمْ
بدمائهمْ . بفِدائهمْ . بمَضائهمْ قطعُوا الحياةَ بموتِهِمْ . .
واللهِ ما ماتوا . . ولا عَرَف البِلى عِرْقاً يجِفُّ بجِسْمِهِمْ
عرفُوا طريقَ الخُلْدِ فاتَّجهوا إليه وبايعوهُ بعمرِهِمْ ! !
مَنْ هؤلاء ؟ هم الَّذين مَشاعلُ الإنْسانِ تحملُ ضَوْءَهُمْ
صنَعُوا منَ الآجال مِصباحاً عرَفْتُ به . اشعَّةَ شمسِهِمْ . .
. . فعَرَفْتُهُمْ لمَّا رأيتُ العارَ تغسلُهُ الدماءُ بجُرْحِهِمْ

وعرفتهمْ . . لمّا رأيتُ الذُّلَّ يحصدُهُ الإباءُ بكبْرِهِمْ

وعرفتهم . . لمّا رأيتُ الياسَ بدّدَهُ اليقينُ بعزمهمْ

وعرفْتُهمْ . . لمّا رأيتُ الأرضَ ترفعُ رأسَها من باسمَهِمْ

وبكلِّ يوم تشْتَهيهِمْ حاصداً لِعِدَاتِها مِنْ تُرْبِهِمْ

وعرفْتُهمْ . . لما رأيتُ كرامة الأوطانِ تهزجُ باسمهم

وعرفتُهمْ . . لمّا استَعَدتُ وُجُودَ وَجْهِي في الوُجود بيَوْمِهِمْ

قد كانَ ضاعَ وضاعَ . . حتّى عادَ يَمْتَشِقُ الإباءَ بكفِّهِمْ ! !

شهداءُ تخْشَعُ كلُّ ذرّاتِ الفضاءِ لهالةٍ مِنْ طُهْرِهِمْ

وتميسُ راياتُ للعارك كلّما نَشقَتْ مَعارجَ عِطْرِهِمْ

كلُّ البطولةِ قطرةٌ شرِبَتْ رحيق مِضائها منْ بَحْرِهِمْ

كلُّ الثّرى عبْدٌ إذا لمْ يرشفُوهُ بوقْدةٍ منْ جَمْرِهِمْ

شهداءُ . . صوْتُ الحقِّ جلْجلَ كالأنان محلّقاً من صوْتهمْ

شهداءُ . . ريحُ النّصر هبّتْ منْ لَظَى قبَس اللّظَى مِنْ صدْرهمْ

ذبحوا أساطير الطغاة ولقّنوها آيةً مِنْ درْسِهِمْ

ومَضَوْا ، ويمْضِي كلَّ يومٍ لِلْفَرادس زائرٌ مِنْ ركبهمْ

حتّى تُغرّدَ في التراب حقيقة تُشجِي سرائرَ طيْرِهِمْ ! !

حَيَّيْتَهُمْ فى كلّ شِبْرٍ اهْلَكوا فيه سَلاسلَ قَيْدِهِمْ

وطرقتُ بابَ الخلْدِ اسألُ أىَّ رَوْضفى الأرائكِ ضمَّهُمْ ؟

وبأىِّ رفرف جنَّةٍ أمْلاكُها وطُيُورها حظيت بِهِمْ ؟

فعلِمتُ أنَّ اللهَ كرَّمهم ونَعَمَ بالشهادة قَرَبهُمْ

. . ماذَا اغنى ؟

والسماءُ بِقُدْسِها وبِنُورها غنَّتْ لهُمْ ! !

. . أنَا إنْ شدَوْتُ فلَن اكُون سوَى صدى لقصيدة

من شِعْرِهِمْ ؟ ؟

موسيقا من الحقيقة[1]

وحاورتني في السهر

فعزفتُ منها هذه النغمات ! »

• وغنّى مع الصُّبْح طيْرٌ قديم

تكرّرَ تغريدُه في زماني . .

فاجْهَشْتُ بالرَّفْض :

ما ذاكَ طيْرٌ !

ولا ذاكَ لحنٌ يُرَوّى كياني !

فقالَتْ : وحيّرْتَني !

كيْفَ تُصغي ؟ ؟

فقلتُ : سكُوْني غزيرُ الأغاني . .

---

(١) امتداد النغم من قصيدة هتك البراقع بديوان «نهر الحقيقة» .

يَجِيءُ الصَّباحُ ، يَجِيءُ المساء
علَى الرُّوحِ تُسكِرُنى نغْمتانِ . .
مُحَرَّرَةٌ . . طيِّرُها فى ضَمِيرى ،
وأُخْرَى مُقَيَّدَةٌ فى لسانى ! !
وأجْتاز بُستانَ سمعى جديداً ،
وإصْغاءُ رُوحى له مرَّتانِ :
فمَرَّ مع الناسِ عبْدَ الوجودِ ،
ومَرَّ معَ الرُّوحِ حُرَّ الجِنَانِ ،
ومرَّ . . إذا مرَّ حولى الزمانُ ، كأنّى زَمانُ حوالَيه ثانِ . .
لىَ اللهُ ! ما عالَمِى ما أراهُ ! . . فإنّى بأعماقه نغْمتانِ
أُكَلِّمُ ما شِئْتُ نبْضَ الوجوهِ . . ونفسى مع اللهِ فى كلِّ آنِ ! ! !

• • •

• وقالتْ :

رأيتكَ تَهْوَى الهجيرَ
وتستَلْهِم الظلَّ من نارِهِ . .
وتشربُ أنفاسهُ كالرَّحيقِ

وتشدو الربيعَ بأوتارِهِ . .

فماذا تقولُ ؟

فقلتُ : الْهَوَى .

على النّار امْضَى لأسرارِهِ !

سَواءٌ نسيمٌ ، سواءٌ جحيمْ

خُطا الرُّوح تَجْرى لأستارِهِ . .

تَشقُّ الرياحَ . . تشقُّ الجراحَ ، وتَهْوِى مُضيّاً لأغوارِهِ

فما كنتُ عُبداً لخطوِ الوجودِ ! ولا كنتُ مَوْجاً بتيّارِهِ . .

هجيرى مع الحبِّ فجرٌ ، وعمرٌ يُطِلُّ بازهارِهِ

فإن تَمْتَمَ الظلُّ . . هُبّتْ حياةْ

وإن دَمْدَمَ الحرُّ . . شبّتْ حَياةْ

وإن اقْدَمَ الفجرُ . . واحيّرتاهْ !

يَهُبُّ الوجودُ لمزمارِهِ

وتاتى صلاةٌ ! وتمضى صلاةْ

ويأتى الغروبُ بأسْفارِهِ

فَرُوحٌ تنامُ ! واخْرَى هُيامْ .

يَلُفُّ الظَّلامَ بإعصارِهِ ! !

• • •

• وقالت : وعُمرُكَ ؟ !

قلتُ : انتهى منَ اللَّغو !

ماتتْ حدودُ الزَّمانْ . .

. شبابٌ كسيحُ الرُّؤى . . .

لَنْ يكون سوى زَيْفِ شيخٍ بَريقِ الكيانْ

فلَيسَ الحياةُ زَماناً يَمُرُّ ،

ومِسْبَحةً لاجترارِ الأوَانْ :

ولكنَّها زَوْرَقٌ حين يَمْضي ،

يَجِدُّ مُحيطٌ به زَوْرَقانْ :

غبيُّ المجاديف ، يَجْرِي ضَريراً !

ويدْعُ . . تُصلّي له الضِّفّتانْ ! !

• • •

• وقالتْ : وما أنتَ ؟ ؟

حيَّرتنى . . وحيَّرتَهُمْ فى معانى صِدَاكْ !

وَحيَّرتَ نفسكَ . .

• ماذا تريدُ ؟

وفى أىِّ دربٍ ترامَى هَواكْ ؟ !

فقلتُ : اطْمئنِّى ! !

فمراتُهُم تَلَوَّتْ عليها جميعُ الشِّباكْ !

فما يُبْصرونَ سوى ما يَرَوْنَ ،

ومالا يَرَوْنَ ، شَقِىُّ الحراكْ . .

أنا رُؤْيةٌ من غَدٍ . . لا تلوحُ

ومالِى بأغلالِها من فِكاكْ ! !

• • •

• فلا تَسْأليني !

فمالى وُجودٌ كما أنْتِ . . فى أنْتِ كُلُّ البَشرْ !

سلِى السِّرَّ فيكِ ،

فإنِّى شعاعٌ به مستطَار الشَّرَرْ

يضجُّ ، ولا صوْتَ !

لكنّه صراخُ ، نَبيُّ الأغاني عبَرْ . .

يُغنّي . . . .

. . ولا أيَّ شيءٍ يُريدُ ، ولا أيَّ خلْد له ينْتظِر ! . .

. . ولكنّه كاشفٌ ما اضلّتْ ،

ودَسّتْ من النفْسِ ، كلُّ الحفَرْ ! !

فمَنْ ؟ خبّريني !

يُريقُ الضياءَ ، وجنّباهُ ليلٌ على الشرّ شرّ ! !

ومَنْ ؟ انْبئيني ! له قبْلة ؟

فنحيبُ الأفاعي عليها استقرّ !

ومَن ؟ زائغُ الكأسِ ،

يمْتصُّ عيْنًا ، بعيْنيْن سفّاحتيْن النّظرْ !

ومَن دلّسَ النّورَ ؟

فضّي دُجاكِ لتكْشفَ للنّاس كلَّ العبرْ . . ،

تلاشى الحياءُ من الذّات ،

حتّى غدَتْ سجدةُ الوجْهِ دُنيا صعَرْ ! !

موسيقا من الجمال
عينان ..

انصهرَ الوجودُ ،

واستحالَ ضوءَ أبدٍ نشوانَ فى جفنيهما ..

فما هما ؟ ومن هما ؟

وما الذى أراهُ يحدُو العمرَ فى لُجّيهما ؟

وما الذى أبصرِ بالأحداقِ والأعماق فى عمقيهما ؟

وما الذى يجتاحُ ذاتى منْ دُجَى هدبيهما ؟

وهلْ بعينى ، أو بقلبى ، وتر يقوَى علىَ صوتيهما ؟

أجلْ ! !

انا الهوَى والعاصفُ المصلُوبُ فى شطيهما !

.... ضجت رياحى فى دمى ، واشتعلتْ مشدُودة إليهما ،

وانتحرتْ نيران «زَارا» من لَظَى لَحْظَيهما . .

. . فالخيرُ والشرُّ صدَىً مُخْتَلِطٌ يُزْهِرُ فى كفيْهما

والسِّحْرُ والإلهامُ ، حيّرانانِ ،

. . مِن أىّ شعاعٍ للهوى علّيهما . . !

والرُّوحْ . . رغْمَ انها جبّريّةُ النَّفاذ ،

ظلّتْ تَشْتهى كاسيْهما . .

تَضَرّعتْ ، وانسرّبتْ . . كالطّيف ،

تبْغى رشْفةً لدْيهما ،

• تدورُ بالأقداح ، حوْلَ حانةٍ تجولُ فى روْضيْهما

• وتسألُ الرحيقَ ، والحريقَ ، فى كل شذًى حوليْهما

. . . وتستردُّ طيفَها المطعونَ من سهْميْهما ! !

جَريحةً ضلّت مَسارَ السِّحر فى دربيْهما ! !

فما هُما ؟ ومَنْ هُما ؟

عيْنانِ ؟ . . أم كاسانِ فى حانيْهما ؟

تَصلّبا . . وانتفضا . . طيْرَيْنِ فى عُشّيْهما

مُرَفْرِفان ، ساكنانِ ، غارقانِ فى شذَى حلْميْهما !

ولهفةُ الإشعال ، والتّلهيبِ ، والتّعذيبِ فى يَدَيْهما .

لوْغلْتُ فى عُمْقَيهما ، فذُبْتُ فى كهْفَيْهما ! !

أسْرارُ هذا الكون لاذَتْ فى دُجَى ليْليّهما

ونُورتْ كالزّنْبقِ للقطُوفِ من ضوْءَيْهما

فما هُما ؟ ومن هما ؟

وأىُّ بَعْثٍ زفّ بَعْثَ الحبِ من رُوحيّهما ! !

• • •

. . جاءَ . . وجئْتُ . .

وارتمتْ نارى على ناريّهما

وجاءَ عطرُ الخلْد يشْوينى لمَوْقديهْما . .

فلاَ الرّبيعُ ! ! ما أتَى إلاّ على أفقيّهما

ولا الصباحُ ! ! ما أتى . . إلاّ على فَجْريهما

ولا الجمالُ ! ! ماهفَا . . إلا علَى وَجْيْهيْهما

ولا الخيالُ ! ! ما سرَى إلاّ على طَيْفيّهما . . .

فما هُما ؟ ومن هما ؟

. . . كَوْنان مَشْدوهان – بالسّحْر على هُدْبيّهما!

كَوْنان مَشْحونانِ بالفِتْنةِ فى لَوْنَيْهِما

لا ابْيَضّ ، لا اسْوَدّ ،

. . لا شَيْءَ إلاّ الخَطْفَ فى نَجْمَيْهِما ؟

تَقسّمانى بَشَراً ، وقَدَراً ،

. . . عَبْدَيْن فى قَيْدَيْهِما !

لذّ الإسارُ . . وانبرَى كالرّيح فى بَحْرَيْهِما

يَسْكَرُ بالزوالِ والإغْراق ، والتّيهِ على تِيهَيْهِما .

فمنْ هما ؟ وما هما ؟

يالَوْعة القيْثارَ من نُوريّهما ! !

• • •

فمن هما ؟ وما هما ؟

. . . كانا حجاب النّفْس نَسَّتْ نَفْسَها ،

واختبأتْ بالسّحْر فى سِتْرَيْهما

وبعد أن ذَاقَتْ رحيقَ الحُبّ حتى اسكَرَتْ دَنّيْهِما ؛

شقّتْ حجاب السّحر .

أفْعَى اهلَكَتْ سِحْرَيْهِما ،

بالسُّمِّ ، بالحقيقة التى رأيتُ فى جنَبَيْهِما !!

يا حيّرة القيثار !!

يا جمْرة المزْمار !!

يا خمرةَ الأسْرار !!

كأسٌ بغير خَمْرٍ ، خمرٌ بغير كأسْ ؟ ؟

وزهرتى بغير عطرٍ تُسْكِرُ الإحْساسْ !!

فليخدَعِ الجمالُ لوْ يَفِى

وفى الرِّياءِ ما يَشاءُ يخْتَفِى !

. . عينان أخْرَيانِ فى طريقى ،

ولَنْ يَغيبَ السِّحْرُ عَنْ بُروقى !

حتّى أرى عينَيْن . . . صوْتُ النَّفْسِ فى جفْنَيْهِما

وأشْرَبُ الحقيقةَ العارِيةَ الفِتْنه مِنْ كفَّيْهِما !!!

موسيقا من النور

(. . بين السطح والأعماق)

(. . أبريل ١٩٧٠)

ما زلتُ رغم دربي الكبيرْ
لا أعرف الشوكَ من الزهورْ
ولا سُرَى النَّمْل من الطيورْ
ولا وقوفَ الخُطوِ . . والمسيرْ
ولا انتفاض الدمع ، والسرور
ولا الربى من خُضْرة الغُرورْ
ولا فحيحَ العشب والعطورْ
ولا وميضَ النور ، وهو نور ! . .
أخْفَتَهُ الليلُ بلا ستُورْ

. . . فعالمى ليس هو المنظور
ولا مرايا البصر المبهور
ولا انبهاش الوتر المقهور
لكل شيء حوله يدور ! . . .

• • •

فالليل . . ليس نشوة ، يجرعها النيام
ولا احتضار النور ، فى توهج الظلام
ولا ابتسام الدمع من تبرج الأحلام
ولا الرؤى من خبلة الغطيط فى القتام
ولا هدوء القلق للصفد الآلام . .
ولا وضوء الإثم من بحيرة الأوهام
. . لكنه قيثارة ، للروح . . فى عزيفها كلام
يسمعه من يسمع الأسرار من غباوة الأجسام
ومن يرى بحسه تحرك الرنين فى الأنغام . . .
. . . يا زهرتى . . لا تسبلى فى ليلك الأكمام
فالنور فى شذاك . . فى هواك فى سكونك التمتام

سيّان إن توهّج العبيرُ . . لون اللّون فى الخِرَام
لا تُغْمِضى جَفْنَيْكِ . . فاللّهيب فى الحياة لا ينام
والسحر فى اشتعالِه ، لا يعرف الضياء والقتام
لنحترقْ ! ! او نفترقْ . . ويهدل السكون بالسلام
وتستمرّ خيْبَةُ القُشُوْر فى لَغْوِها تدورْ .
حتى تقول رأيَهَا العصورْ ! !
ما زلتُ فى دوّامَةِ اللّيل ، على دوّامة النّهارْ
اختَرِقُ الأرواحَ والاشْباحَ . فى دوّامةِ القَيْثارْ
وكلّ ما عرفْتُ . . انى تُهْتُ بين عالَم مُحتارْ !
أُعطيه ما اقتطفُ للْوجُود ، مِنْ حدائق الأسرارْ
واشربُ النيرانَ خلفَ طائرٍ مَجنّح المِزْمارْ
ادورُ حيثُ دار فى آفاقِه ، اطيرُ حَيْثُ طارْ
وارتمى فى غيّبِه ، واستقى ، واعزف الشّرارْ
واسمَعُ التّفريد من جَنَاحِه لَو رفض المِنْقَارْ
واخلقُ الطريقَ للانسانِ فى مسيَرِه الغدّارْ
والحُبَّ للحياة فى انفعالِها المشوّشْ الثرثارْ

ورشفها الحيلةَ والشحناءَ في تداول الثمارْ
والحقدَ ، والتمائقَ الموغلَ في تناهش الغبارْ
والشدّ للزمان في انسحاره الملفوف بالتكرار . . . .
. . ولم ازلِ حيّرانَ من تناقض العبيرْ ! !
أسقيه عطراً جارف الإيقاظ للصخرة والغدير ! !
وشوكهُ في مهجتي يمزق الشعورْ ! ! !
ولم ازل ادورْ . .
. . كظلمةٍ مصلوبةِ العذاب فوق وهجٍ من نورْ ! !

موسيقا من الرمز

«صلاة لقدرة الله»

«في أغوار النفس»

حطّتْ برَوْضي ، ومضتْ ، حَمامهْ
مجهولة السرّ ، بلا علامهْ
ليس لها كالطيرْ في جَناحها جَناحْ
ولا لها كالطير في صفائها ، صُباحْ
ولا تـذوقُ الشَّـدْوَ إن عانَقَها الصَّباحْ
ولا بُـكاءَ اللحن ، إن انَّتْ بها الجراحْ
. . اسطورةٌ مقْهورةٌ . . لا تعرف النَّواحْ
ولا تطيق نشْـوَةَ الإفـلات والسَّـراحْ
مَسْحورةٌ في قيْدها ، مَسْعـورةَ الرياحْ

تشْرَبُ من ذُهولها الغَدْوَ والرَّوَاحْ . .

إنْ همستْ فى نارها الملامهْ

واحتَبَستْ فى قلبها الندامهْ

. . تناقضَتْ ! ! فاصيحَتْ عبادَهْ

ونشوةً بسحْرها مُنْقادَهْ . .

ترى الظلالَ دمعةَ الهْجَيرْ

والنارَ حلْمَ الشكّ فى الضّميرْ

والنورَ ، نَعْشَ الليل فى المَسيرْ !

تَلَفّتَتْ . . وانْطلقَتْ حوّامَهْ

فى كلّ رُوحٍ نفْسُها لُوامَهْ

تطوفُ كالإعصار بالأغصانِ

وتَجذِبُ الموْجَ إلى الشطآنِ . .

تُمزّقُ الأستارَ ، وهى هائمهْ

وتلْقُطُ الأسرارَ وهى حائمهْ . .

وتَسْحَقُ الأيْكَ على غُمُوضِهِ

وتسْرِقُ الأغْلالَ من فُروضِهِ . .

لاهثةً ، باحثةً عن ربِّها
مخطوفةَ السِّحْرِ بإذْنِ ربِّها :
تَعْبُدُهُ فى صَحْوِها الجَديدِ
وفى انبثاقِ نبْعِها الوَليدِ
بكلِّ رَوْضٍ شاكلِ الوُرودِ
بغيرِ تيارٍ أراها عائمةْ
وغيرِ أوتارٍ أراها ناغمةْ
. . كبِرْتُ فى ضلالِها ورُشْدِها
وهِمْتُ فى سُباتِها وسُهْدِها . . .
بغيرِها لا أشهَدُ الضياءَ
ولا أرى الذاتَ ولا الصِّفاءَ
سألتُها وسِرُّها فى خَلَدى
أدريه . . . لكنَّى سَجينُ الأبَدِ :
مَن أنتِ ؟ . . يا عجيبةَ الحُضورِ ؟
يا موْجَةَ الكَشْفِ لعُمْقِ نُورِى ؟
يا جُذْوَةً . . تخْضَلُّ بالإيمانِ !

يا سرَّ كلِّ السرِّ فى البُسْتانِ !
.. فلم تكدْ تسمعْ .. حتَّى انْتَفَضَتْ
ومِنْ جِنانى ، وكيانى ، هَرَبَتْ
لكنَّها فى غفلاتِ الكلّ
شىْءٌ .. ولا شىْءَ كظلِّ الظلّ ! !

موسيقا من الإيمان

ظمىءَ الإيمانُ فى أعماق روحى . . ذاتَ مرّه
وأنا جاثٍ علَى الأعتابِ . . لا أعرف سِرّهْ
كبّل الحُبُّ ضيائى ، بقيودٍ ، مستمرّه
إنْ مضَى هذا . . أتى هَذا ، ولَا أعلم امْرَهْ !

• • •

إنما أعرف أن السرَّ خلْف العطر فى أكمام زَهْرِه
خلف غُصنٍ أبكم النبض ، على الكتمان مَكْرَه
خلف ضوءٍ مُخْتَفٍ بالسر ، فى أحشاء بِذْرهْ
إن مضى . . يأتى سواه حاملاً بالسرِّ غَيْرَه !

• • •

كلما أوْغلْتُ . . صدَّتنى عن الأستار حَيْرَهْ
فتراجعْتُ ، فصارَتْ طىَّ أعْماقىَ نهرهْ
خُضْ فجاجَ السرِّ ماشئْتَ . . فلن تَسْبُرْ غَوْرَهْ
فهو يجرى فى خلاياكَ دلالاتٍ ، وقُدْرَهْ !
وهْوَ فى كُل الذى تُبْصِرُ . . إن ألقيتَ نظرهْ
وهو فى تَرْداد انفاسك . . يُجرى كلَّ ذرَّه
فإذا داهَمَك الصمتُ . . هنا تعرف سرَّه :
فامْضِ ظمآن . . ولو شقَّ لك للجهولُ صدرهْ
واشربْ السرَّ من الحبِّ . . ولَوْ أعطاكَ جمرهْ
واشرب السرَّ من الخطو . . ولو أسقاكَ صَخْرَهْ
واشرب السرَّ من السرِّ . . ولو لم تدر سرَّهْ
واشرب الكونَ هشيما كان او شلاَّلَ نَضْرَهْ

• • •

واشرب الدنيا سواءَ . . حلوة نقتاتُ مُرَّهْ
واشرب الأيامَ انْغاما ، لِمَا تَرْضَى ، وتكْرَهْ
واشرب النفس ، تصاويرَ لآحادٍ ، وزمره

واشْرَبِ الأيمانَ ! ! تُسقَى الصفوَ من آهات حسرَهْ

• • •

ليس للايمان أسْوارٌ وأصفادٌ بذاتِكْ . .
لاَ ! ! ولا فيه مكانٌ أو زمانٌ لحياتِكْ ؟ ؟
. . هو كلُّ النورِ . . أنّى ذقْتَهُ فى سبُحاتِكْ
فتَرَشَّفْ . .
فضياءُ الله غطىَّ طُرُقاتِكْ ! !

موسيقا من التكرار

« . . مع النفس في رفضها العماء الهزيمة
. . ويقينها بحتمية الشروق »

• ومن غير وعْدٍ إتاني الصّباحْ ،
جديدَ الكيان ، جديدَ الضّياءْ
• جديدَ التّلفُّتِ حول الوجودِ ،
جديد التّحرك بين الفضاءْ
• جديدَ الطيور . . فما لَحْنُها .
سمعْتُ به مرّةً في غِناءْ
• تمرُّ بجنْبَيَّ أسْرابُها
فَراديسَ ، مشحونةً بالضياءْ
• وتهوي بروحي اغاريدُها
لِتَمْتَصَّ منها بقايا الشقاءْ

• وتُمْعِنُ فى كلّ عُمْقِ حزينٍ
لتجتاحَهُ من طريقِ الدّماءْ
• وتخلُقُ فىَّ الحياةَ الّتى
أكادُ بها أبدأ الإنتهاءْ . .
• . . مَلَلْتُ التّكرُّرَ فى كلّ شىءٍ ،
فألفاهُ فى خَطْوِهِ حين جاءْ . .
• فألقَى من الشمْسِ ، إطلالَها
علىّ ، كما كنْتُ عند المساءْ . .
• . وألقَى من النور بُهتانَهُ ،
يُضِيءُ فيُعْطِى ظلامَ الخفاءْ . .
• وألقَى من العطرِ إفضاءَهُ ،
بما يخدعُ النّفسَ قبل الهواءْ . .
• وألقى من النهر ، إخفاءَهُ
أنينَ الحيارى بظلٍّ وماءْ . .
• وألقَى رياءَ النّسيمِ العليلِ ،
وانفاسُهُ نشْوَةُ الأشقياءْ

• والفَى نِفَاقَ السكونِ العميـقِ
وإقْلاقَهُ هادرٌ بالدِّمـاءْ . .
• والْفَى وجُوهاً . . على وَجْهِهـا
سِـلالٌ تُخالِـسُ ذَرَّ الهَبَـاءْ . .
• والفَى الأحاديـثَ تُلْقِي الشِّبـاكَ
فتَصْطادُ منْ كـلِّ لفـظٍ رَجَـاءْ . .
• والفَى شموعـاً ، تضيءُ الطَّريقَـا
ليورِقَ بالظُّلْم غُصْنٌ أضَاءْ . .
• والفَى يَدَ الزَّمْـنِ . . ظلَّتْ تَغوصُ
وتَرْقُـدُ بالروح حتَّى الْفَنَاءْ . .
• والْفَى اطِّرادَ العقول الكَسيحِ
وتكرارهُ فى ضَبَابِ الذَّكاءْ . .
• وبَـدْلَ فى كلِّ شـيْءٍ اراهُ
فسَوَّاهُ خَلْقاً جديـداً لرَوَاءْ ! !

• • •

• . . تلفّتُ خلفي ، فابصرتُ دُنيى
توابيتَ تَلْهثُ بالأشقياءْ
• عليها من الزُّورِ ، امواجُ حُورٍ
مضمّخةٌ باحتضارِ الحياءْ !
• تطلُّ توجهُمْ نينِ . . هذا جميلٌ ،
عليلُ الصّدَى ، مطمئنُّ الرّداء
• ومن تحته ساحرٌ في مسوحٍ
تَفُشُّ الصّدَى قبل همسِ الدُعاءْ
• وهذا بقوقعةٍ من دموع
تكادُ من الإفكِ تبكي البكاءْ ! . .
• . . يكرّرني الكونُ في كلّ يومْ
وللغدِ بُحّ بأمسي النداءْ !
• يُكرّرُ ذاتي ليُفنى رؤاها
وذاتي تُكرّرهُ للبقاء ! .
• تغوص بأعماقهِ كلُّ آنٍ
لتلتقفَ من سرّهِ ما تشاءْ

. وتُغْطى جَديداً لخَطْوِ التُّرابِ
يشُدُّ مراياهُ خطوُ السَّماءْ . .

. . لِيَ اللهْ ! !

عُمْرى علَى كلِّ شىءٍ تكرَّرْ . .
وعصْرى على كلِّ ماضٍ تَوارَى . . تسمَّرْ !
وقلبِى بالرَّفْض من كلِّ أمسٍ تَحرَّرْ . .
. . غَدِى فارسٌ فى يد النُّور عاتٍ مُدَمِّرْ
سَيَمْحُو الهشيمَ ،
ويَمْحُو الرميم ،
ويشدو الحقيقة من غَيْرِ مَزْهَرْ
ومنْ غيرِ إصغاءِ رُوحٍ لهَمْسِ
وغير اكتِرارِ لأوْهام أمسى ،
. . ويَنْقَضُّ حتى يرانى جديدَ الضياء ! !

١٩٧٢

موسيقا من الشتاء

شتاء عاتٍ مرّ . .
وتدفّق للطر كشلال سماويّ هادر على أرض المدينة . .
وتلاشط هلع الناس من حال الطبيعة . .
فسمعت هذه النغمات !

١٩٧٢

رأيْتُ بعينَيَّ كِبْرَ القَدَرْ
وسلطانَهُ فَوق كلّ البَشَرْ
ودَهْشَ المُدلّين بالعقْل في كل هَوْلٍ خَفِيٍّ عليْهِمْ يَمُرّ
وتَحْداهُمُ بالرُّقَى والدعاءِ إذا عَجَزُوا عن لِقاء الخَطَرْ
. . لِماذا وهُمْ كالشُظَايا .
وعصْفُ الرّزَايا :
إذا مرَّ فيهم نسيمُ السَّحَرْ

وعطرُ الزهرْ

وشوقُ الطبيعة نشوَى بلا أىّ كاسٍ وخمْرْ

وسكرَى بلا أىّ حانٍ وسُكْر

مساءٌ جميلٌ . . أصيل عليلٌ . . صباحٌ وفجرْ !

. . . أراهمْ شياطينَ شرّْ

براهينَ رفْضٍ ضرير النّظرْ

يَرَوْنَ الحياةَ ،

قشورا وسطْحاً ،

وشطْحاً بناى غبىّ الوترْ ! !

* * *

. . لماذا . . ؟

وهمْ فى رياءِ الهدوءِ :

وعطرِ اللُّجوءِ لحضْنِ الطّبيعة فى كلّ أمْرْ؛

ولو كانَ زهْرَ الحفْرْ ؛

. . يَدينونَ للعقْل فى كلّ سرْ ؟ ؟ !

* * *

. . لماذا . . ؟

وإبريقُهُمْ لا يُطيق الرّحيقَ

من الفيْض يَرْفُض كلّ رحيق عليه عَبَرْ

وتَخْزَى الكؤوسُ من الهَجْرِ لَمّا . . .

وعشّاقُها فى انْهماكِ الخَدَرْ ؟ ؟ !

بلا ايّ رُوحٍ

بلا ايّ عَقْلِ

بلا ايّ شَىْءٍ

. . يَدُورُونَ بالعَقْل فى ايّ سِرْ ؟ ؟ !

• • •

لِمَاذَا . . . ؟

ضَمَانُ الطّريقِ

وعِشْقُ البَريقِ

وأَمْنُ الشّهيقِ

. . يُؤَكّد فيهم أمانَ الغيرْ ! !

. . يَهَشُّ الوجودُ لهم غافلينْ

ويسْقيهمُ علْمَهُمْ جاهلينْ

. . يلُوذونَ بالعقلِ فى كلِّ سرّْ ؟ ؟

• • •

لماذا . . . ؟

وحين تثُرُّ السّماءُ

ويَغْدُو القَضاءُ ،

ضميراً من الغَيْظِ . . صَبَّ الشّرَرْ

بُروقٌ ، ومَنْ

ورَعْدٌ شقَىْ ،

على صوتِهِ كالْفَتيلِ انْفَجَرْ ؟ ؟ !

وخطْفٌ من الوَمْضِ ،

ايْقَظَ وجْهِى ،

فعانقْتُهُ بانْزياحِ السُّتُرْ

وضَرْبِ الوترْ

وخلّقِ الغِناء بهذا الشرَرْ ؟ ؟ !

• • •

. . لماذا . . ؟

يقولون : هذا مَطَرْ

ورعْدٌ ، وبَرْقٌ ، وشر ؟ ؟ !

ويَغْدُون كالطير عند انْتزاع الشَجَرْ !

وحُزْنِ القَمَرْ !

. . ويأوُون . . : كالذَرْ فى مُرْجفاتِ البحرْ ،

بِكُوخٍ ، وقَصْرٍ ، . . . وعُشٍّ نُجرْ . .

. . . ولاجِئةٍ فى تُراب الرَصيفْ .

كأشْقَى مَضيفْ :

ولا يَذْكُرونَ بأنَّ مدَى العقل تاهْ ،

وأنَّ وراءَ الحياةِ . . . إلهْ ! ! !

موسيقا من الأرض
(البستان والأفاعي)

. . توارتْ زهوري ،
وكانت بساتين ، تَرضَعُ منها شفاهُ اللّيالي
. . وغابتْ عُطوري ،
وكانت رياحينَ خُلْدٍ لقلْبِ الزّوالِ . .
. . ومالَ الشراعْ ،
وداستْ خُطا الرّيح أشلاءَهُ الداميهْ
. . وهبَّ الضّياعْ ،
فلم يبقَ في الروض ، حتى صدَى النغمةِ الباكيه
طيوري مصاليبٌ فوق الفُروعْ
وأحزانُها خيّمَتْ في الجُذوعْ

وتاهتْ بلابلْ !

وشاهتْ خمائلْ ! *

وجفّتْ من الهول كلُّ الجداولْ

وأومأتْ . . كلُّ الوجوه جراحٌ تُطِلّْ

وفى كلّ جَفنٍ مغاراتُ يأسٍ ونُلّْ !

وصوتُ المآذِنِ ، صمتٌ به دهشةُ الغيب تفزَعْ ،

وإصغاءُ ماضٍ حزين التأمُّل فى الأفق يسمَعْ !

جميع النَّبيِّين ، كانوا سؤالاً على راحتيْهْ

وكانوا شعاعاً أذانُ الحقيقة يمشى عليْهْ !

«محمدُهُ . . بالنور ، والحق ، يسأل عن ركعتيْنْ

وعيسى بدرب الدُّموع يفتّشُ عن دمعتيْنْ

وعيْن السماءِ تُطيلُ العتابَ ، على نظرتيْنْ

تطلُّ . . وتدرى !

وتَخفى ، وتسْرِى !

وتُنشِب فى السرِّ أعماقَ سرّ ،

وتنْقَضُّ باللّمحْ فى عشية النور ، فى كل فجْرِ !

. . تديرُ السؤالَ على المِدبرَيْنْ !

وتبحثُ عن ثالثِ المسجديْنْ !

وتضربُ فى قلب سينا تنادى السنينا

وتعْصِر من قَدْسها آهتيْنْ !

وتحصدُ فى العار بالراحتيْنْ !

. . وتَشْوِى ضميرى

وتُحْيى قبورى . .

وتسقى الصدَى من بقايا طيورى

وتسألنى والضحى فى غديرى . :

لماذا مع النور ماتتْ زهورى ؟ ! !

وحطّتْ على أوّل القِبْلتيْنْ ! !

. . . .

. . ومهما الظلامُ الذى كفّن النورَ فى كلّ بابْ ،

ومهما الرياح التى بدّلَتْ عطر هذا الترابْ ،

ومهما الجراحُ التى دوّخَتْ كبْرَ كل الرقابْ :

ومهما استبدّ علَى النور بطشُ الضبابْ :

ومهما تمارَى بروحى الغيابْ :

ومهما ضيائى على الليل نابْ :

. . . . فإنّى على الموتِ أرفض أطيافَ هذا العذابْ ! !

وأرفضُ حِسّى بمعنى الوجودْ ؟ !

إنا لم يَعُدْ للبساتين عطرُ الثرى من جديد !

وتنفُضُ حبّاتُ رملى على كل أرض أساها

وتدفن فى تُربها كلّ عادٍ رماها . .

وصيّرها لبغاء اليهود محاريبَ فِسْقٍ ولعنهْ

وأسمارَ عارٍ ، تلوكُ العصورُ بها كلّ مِحْنهْ ! !

وكانت مصلّى لوجه السماء

فصارتْ مواخيرَ يجارُ فى جانبيْها الخَيّاهْ ! !

وأرفضُ للأرض أىّ انتماءٍ ،

إنا لم يَعُدْ لى تُرابى الحزينْ

وتحيا زهورى

وتحيا عطورى

ويرتدُّ كِبْرى ، يرفرفُ فوق سفوح السّنينْ ! !

ولابُدّ روْضى يُفتّحْ !

وطيْرى مع النور يصدَحْ !

وبستانى العربىُّ المُصوّحْ :

يلُوّحُ بالعِطْر للعابِرينْ ! !

مـوسـيـقـــا مـن الوَحْـــدَةْ

أغنيك من أين ؟ ماغ الرباب

١٩٧١

• أُغنّيك ! من أين ؟
ماَخ الربابُ من الشّدو شوقاً لهالاتِ نورك !
• وداخَ الغناءُ . . .
فاضحى صريراً ،
يُناهِشُ في الصّمتِ بلوىَ مَسيرك
• وبلخَتْ على الأرض ذكرى زمانٍ
به هزّتْ الشمسَ رؤيا عبورك !
• وداخ المغنّى
هذا يصيحُ ،
وهذا يُمارى الصدَى من عطورِك

• وانت على كلّ ثغرٍ نشيد
وجرحٌ تواسيه سلوَى عصورك !
• اناديكِ من اينَ ؟
. . من جازرٍ
يدسُّ ذبائحهَ فى طريقك . .
* ويغْوِى من الزُّورِ شوقاً إليْكِ ،
فإنْ لُحْتِ . . صبَّ الدجى فى شروقكْ
• ويَسْقيكِ لسمارَه فى القصورِ
اباريقَ سمٍّ جرى فى عُروقكْ
• ويبكى عليكِ ! !
وتحت الخيام ،
جنازاتهُ وُلولتْ منْ بَريقكْ
• ابِىُّ الخيانةِ ،
يابى دُجاها ،
فيمْزِجُها جهرةً فى رحيقكْ ! !
• • •
• أغنيكِ من اينَ ؟

. . مِنْ قبَّةٍ ،

لِسُخْطِ النَّبِيِّين صارتْ مرايا

* تُدَوِّى بها لعنَاتُ السَّماءِ

وتَجتاحُها من جميع الزَّوايا

* يُناديكِ منْها جَبِينُ النَّبىّ

مِهادُ السجُود ، وسادُ البغايا ؟

* اطِلّى . . ولا تَفْزَعى . .

فالكرَى بجَفْنَيكِ ما زال منه بقايا

* مشَى العارُ يخْطِرُ فى المِنْبَرَيْنْ

وتفوح من راحتيّه الْمنَايا ! !

* * *

* أغنيكِ من أين ؟

. . مِنْ حبَّةٍ ، بِرْملى الصحارى تنادى عليْكِ

* ومِنْ كلّ مئذنةٍ ،

لم تزَلْ تكبِّر للهِ شوْقاً إليكِ

* وتجأرُ ظمأنةَ الرَّاحتيْنِ ،

إلى دهشةِ الفَجْرِ من راحتيكِ

* إلى النُّور يَحْصدُ ليلَ النّيام ،

عنّى الضُّحى هادراً من يديكِ

* جناحاه ثارٌ تموتُ الرّياحُ ،

ويحْيا به الموْتُ من ساعديكِ !

* اغنّيكِ . . من اينَ ؟

. . صوتُ الذئاب من الغابِ ،

اضْرَمَ نايي الحزينْ !

* ومزّقتُ عمري بنيهِ الغناءِ ،

وتاهَ الصّدَى في صدى السّامدينْ . .

* وما زلتُ ادعوكِ . .

حتّى تلاشتْ

مزاميرُ شدْوى مع العابرينْ

* وما زالتُ ادعوكِ . .

حتّى اهلّتْ

خُطاكِ ، على وَحْدةِ النّائرينْ

* تعالىْ . . .

صباحاً جديدَ الضّياءِ

يُوحّدُ في دربِهِ الزّاحفينْ . .

* * *

* تعالَىْ . .

لهيباً عنيدَ الأوار

يردُّ التراب من الغاصبينْ

* تعالىْ

وضمّى شتَاتَ الصُّفوفِ

فقد بُحّ بالنّار صوْتُ العرينْ

* تُنادِى السماءُ ،

تُنادِى الدماءُ ،

يُناديكِ لهْفانَ جرحُ الجبينْ

* تنادِى المعارُك فى الرّابضينْ

تنادى المضاجع فى الراقدِينْ

* تنادى العُصورُ ، . .

تنادى القُبورُ . . .

يُناديكِ عارٌ ، وثأرٌ طَعِينْ ،

* وماذا من العيْش تبغى الحياةُ ،

إذا ماتَ فيها لهيبُ الإباءْ !

* وماذا ؟ ؟ وماذا ؟

تعالىْ . . وصبّى ،

على كُلّ قلبٍ سعيرَ النداء . .

* وشُدّى الزمامَ على الواقفينْ

فَمَنْ دُون زحْفكِ زحْفُ الفَناءْ !

* لَهَا الله . .

من أمّةٍ أمهلَتْ !

ولا يُمهِلُ الحرُّ غوثُ البقاءْ

* فَسيرى . .

ولابدّ للنّصر يومٌ

بكفّيْكِ يحدوهُ نصرُ السّماءْ ! !

١٩٧١

موسيقا من الإصرار

سلامٌ عليكْ

فرحمةُ ربّى جرت من يديكْ

ولَعنتُه طوّقتْ ساعديكْ

سلامٌ عليك

بُعثنا من الموتِ فى راحتيكْ

وكنا نياما

وكنا ظلاما

يدسُّ الحقيقةَ فى الراقدين

ويُخفى الطريقَ عن الثائرين

وهبّتْ علينا رياحُ النشور

مُزَمْجِرةُ العصْفِ من جانبيكِ
تُذيبُ البِلى من رفاتِ القبور
وتَخْترق الليلَ تحت الصدور
لِتسْئلَ منها العمى والغرور
وتوغلُ فى كلّ ما لفّنته رزايا العصور
وفى كلّ ما قنّعتْهُ الرُّؤَى
وما كشفتْ من رياءٍ وزور
وتُلْقى على كلّ شىءٍ رياحا . .
وبوقايدوْى
وناراندور
وتُشعلُ فيه رميمَ الوجودْ
وتجتثُّ منه بقايا الجذور
وتزرعُ فيها الضُّحَى من جديد
بسانين صحوٍ وأقداحَ نور
وفجراً جديدَ الخُطا والعبُور
يردُّ الظلام ضياءً إليك

سلام عليكْ

• • •

سلامٌ عليْك

ورحمةٌ ربى جرت من يديك

رحْمتَ النيامَ فحرّكتَهمْ

وانقذْتَهم من سُبات السنين

وقلّبتَهم بانتفاضِ الطريق

على غفلةٍ من كَرى الهامدينْ

وانشبْتَ فيهم شعاعَ الحياة

حيارى يلوكون عُمْقَ الجراح

وتسْأمها فى الصباح الحزين

توغّلْتَ فيهم بنارِ الهبوبِ ،

وأصليْتَهم من سياطِ اليقين

وأجريْتَ فيهم دماءَ الوجودِ

وكانوا من التيه كالميّتين

رحمت الظلامَ فعرّيتَهُ

وَمَزَّقْتَ فيه الخداع الدفين
وبعثَرتَ كلَّ خبايا الكهوفِ
وألقيْتَها حسرةَ العابرينْ

* * *

. . رحمتَ الضمائر ، كانت مرايا
مقسِّمةَ اللَّمح للخاتنين
وكانت رُفاتا عنيد الزوالِ
فوحَّدتَ فيها انطلاقَ الجنين
رحمتَ الصدور
وكانت طيورا على الدَّوْحِ تهزِج للصائدين
تُداري أساها
وتُبدي هواها
وتحرقُ بالخوفِ في الباطشين
وتخشَى ظِلالَ الرؤى في الدُّروبِ
فتخشعُ للوهم في كلِّ حين
. . رحمتَ الحقيقةَ ، جرَّدْتها

من البرقع المستعارِ اللعينْ
ومن جنّةِ الزُّورِ تُجرى الظلال
صِلالاً من الإفْكِ للغافلين
فتُخفى الحقائقَ فى كلّ شىءٍ
وتندسُّ فى أوْجهِ الزائفين
كما ينزعُ الموتُ عطرَ النعوشِ
رمَتْ زهْرَها جنّةُ الكافرين
خضوعٌ ورفضٌ وياما صلاةٌ ،
تُغنّى بها حيْرةُ الفاسقين

• • •

رحمت الطريق فأشعلتهُ
لهيباً ، أضلّ خُطا المفسدين
وظنُّوه نورا لهم فى القتامِ
فعاثوا بلا رحمةٍ حائرين
فمِن خاطفٍ بالضياءِ
لظَى العارِ فى أوْجهِ الغاضبين

ومن عازفٍ لحنهَ بالظلامِ
ليمتصَّ إيماضةَ المؤمنين
ومن حالكٍ فى قِناع الضحى
سراديبُه تذهلُ الساحرين
على وجههِ دمعةَ الطاهرين
وفى عَيْنه بَسمةُ المُرْتشين
بقايا من الليل ربُّ السماءِ
أعاد لها ثورةَ الزاحفين
وأحيا لها فجرَها من جديد
ليجتاحَ فى خطوهِ المارقينْ
ومَن خادَعوا النورَ فى جانبيكْ
سلام عليك

* * *

سلام عليكْ . .
فرحمة ربى جرَت من يديك
ولعنتُه طوّقت ساعديك

فتلعنك الأرض حتى تضجَّ السماءْ
ويلعنك الطيرُ حتى يموتُ الغناءْ
ويلعنك الدهرُ حتى تموجَ الدماء
ويلعنك النارُ حتى يصيحَ الفداء

* * *

محوناك من صفحات الزمان
وعدنا بيومٍ تغنّى له الشمسُ في المهرجان
ويصدحُ بالنّصر صوتُ الأذان
على أوّلِ النّورِ للمسْجِدَيْن
وفي جنّةِ النصر بالشاطئين
وفي كلّ شبرٍ بكتّهُ الكرامة
ومعركة الحق ردّت سلامهْ
وشبّت براكينها بالغضبْ
لترجعَ للشمسِ وجهَ العرب ! ! !

موسيقا من للموت

• لا ارْفضُ الموْتَ ! !

لكنّى اسائلهُ :

هلْ ذُقتَ ما انتَ بالإنسانِ فاعلهُ ؟

• شيءٌ . . هو الموت يا جبّارُ

تكتمهُ خطاكَ . . أنْتَ وراء العيْنِ حاملهُ . .

• مُقنّعٌ بمتاهاتٍ ، وأوديةٍ ،

وأغصنٍ . . زهرُها ماتتْ بَلابلهُ

• وتَسْحَرُ الناسَ تأوى فى مخادعهمْ ،

وفى خُطاهم بكهفٍ لا تُزايلهُ

• تَمشى بلا شبَحٍ ،

تَسقى بلا قدَحٍ ،

وكلُّ بابٍ ، ومهما . . انتَ داخلهُ !

• أعمى ! !

عصاكَ ، بلا دربٍ ، ولا بصرٍ

ولا صدًى ، يُرشدُ الآتانَ قائلهُ

• ولا يقودكَ إلا الغيبُ ،

تعلّمهُ ، وكلُّ حيٍّ بوجهِ الأرض جاهلهُ !

• تَزُورُ ،

لا ادبُ التَّزاورِ تعرفهُ

ولا لديكَ إلى إذنٍ وسائلهُ

• ولا تُبالى إذا داهَمْتَ ،

مُنتَهياً يَدْعَوكَ ،

امَ فارساً . . تَمضى تُصاولهُ

• بِكفّهِ املُ الدنيا ، وغفلَتُها

وكفُّكَ الغدْر شتّتْه مناجلهُ

• سكنْتَ فى شرَكِ الأنفاسِ ،

تَرْصدُها كصائدٍ لم تَخبْ يوما حبائلهُ

• تُرخي الحبالَ ، وتُغْفِي كاذباً ،
وعلى جَفْنَيْكَ سَهْمٌ ، يُمارِي مَنْ تحاولهْ
• تَشُدُّ مَنْ شئتَ ،
انّى شئْتَ ،
لا شبكٌ يُلْقَى ، ولا كفُّ صيّادٍ تُحابِلهْ
• ولا انتظارٌ ، ولا خوْفٌ ،
ولا حذرٌ منْ أيّ شيْءٍ توارى فيك حامِلهْ
• كلّ البريّة طيْرٌ ،
انْتَ نَغْمَتُهْ
مهما استكنّت على الدُّنْيا خمائلهْ
تميلُ بالذِّرْوَةِ البلّهاء
• تلْقَفُها من الخليّةِ ،
فى نبضٍ تُغَافِلُهْ
• وتُسكِر الرُّوحَ
حتّى لا تحسُّ بما يَطْوِي رحيقٌ ،
بما يسْقِي تبادِلهْ

• سكْرانُ ،

تَخْبط فى ماشٍ

فتَنْسَخُهُ توقُّفاً ، ويلىّ سكْرى مَجاهلهْ

• وتفْجأ الروْضَ ، غنّاءً مراتعهْ

فيَستحيل ردىّ ، تكلّى هوادله

• لا طيْرَ ، لا زْهَر ،

لا عطراً ، ولا املاً لعاشِقٍ تُشعل الذكرى اصائلهْ

• وتلْمس الجَسَدَ العاتى

فلا جَسَدٌ . .

ولا حياةٌ . .

ولا شىءٌ تقابلهْ !

• سبْحان حاديكَ . .

لا يبْدَى له نغمٌ

ولا لأىّ مدًى تمضى قوافلهْ ! !

موسيقا من الخلود

«بعد ألف عام على رقدة الشاعر العربي الخالد «أبي تمام» .. بتراب الموصل بمدينة «دينوى» بالعراق .. استوحى الشاعر هذه النغمة من الثرى المدفون فيه وقدمها لذكراه في المهرجان الألفي لغيابه ١٢ / ١٢ / ١٩٧٢ م .»

أنا . والمنجّمْ . . فوق قبرك يا ابن أوْسٍ ، ساجدانِ ، مُسبِّحانْ
وترانِ من نغَم الخلود ، على ثراكَ . . يُغرِّدانِ ، يُصلِّيانْ
يتهادلانِ بكل ما خلَّفْتَ فيه من البيانِ ، ويَسْجعانْ
ويكلّ سِحْرٍ رحْتَ تعزِفُهُ جديد الطيْلسانِ ، يُهوِّمانْ
. . نشوانَ ! يرفُضُ أنْ يكون اللفظ مسبوق الكيانِ ، بلاكيانْ
غضبان ! يرفُضُ أنْ يكونَ الوهْمُ مصباحَ التلُّفتِ ، في الزمانْ
عطشانَ للأضواء . . ينْزحُها حقائق ، تَزْدرى كذب اللِّسانْ
صيَّادَ نائهةِ العوالم ، في كُهوفِ نائهاتِ الدرب في غلَس الجَنانْ !

شرابَ عنقود الرّحيق ، ولو لطلّ بغير كَرْم ، أو دنانْ
سلأبَ عاصية للشاعر . . من ضمير الشعر يَلْقَفُها العيانْ ....
. . . خالفتَ أصداءَ الحداةِ . . صدًى وروحاً بالصدَى يتكلمانْ
لا اللفظ جَرْسٌ للسّماع ؛ وإنّما جرْسٌ وهْمسٌ . . عاشقانْ !
متعانقانِ على الرّبابِ . . هواهُما رُوحٌ مُفكّرةُ اللّسانْ
لطمَتْ من التقليد وجْهاً ، كان في شرفاتِ نايكَ دَيْدَبانْ
يذد الصدى ، بصداه تسطعُ نَبْرةٌ أو همسَةٌ . . مَخْلوقتان
لم تسمع الأوتارُ مثلَهما ، ولم يرضَعْ شعاعهما بيانْ
بينَ السطورِ غريبتانِ ، وفي العبور جديدتانِ ، عريقتانْ
لا حدَّ . . لا مقياسَ ، بل بركانَ إحساسٍ به تتألّقانْ . .
بيَدَيْهما شجنُ النفوسِ . . بكلّ أفقٍ للحياة تنابيانْ
في ثورةِ ابنِ الوقوف ؛ بعُمقها ، وجديدها تتفنّيانْ
أصلابُها عربيةٌ ؛ وهما الغد الآتي لها . . عربيتانْ
تتّحركان بكل معنًى . . . لا لجْترار ، ولا اكْترارَ ، ولا اختزانْ !
عبرتْ دُجى التاريخ ، ترفعُ مبدأ . . رفعَ الحقيقةَ بالبنانْ . .
. . . السّيفُ حقٌّ !

والنجومُ خرافةٌ ! والغَمْدُ هيكلُهُ هوانْ !

اصْغَيْتُ . . ثم رأيتُ . . ثم تفجَّرتْ من قاع روحَى نَغْمتانْ

انا . . والنُّجم فوق قبرك ساجِدانْ

انا . . فى الصَّدى ! !

وهو الردَى للحتومُ ! ! تلْكَ حَقيقتانْ ! !

انا كُنْتُ لحنَ السَّيْفِ !

وهو جبينُ عمُّورية . . متناقضانْ !

حدٌّ ، وخدٌّ كان اشْهى فى هواك من الهوى

يوم الهوانْ ! !

كلْمتهُ . . بصباً السُّيوفِ ، وكبْرها وجنونها يوم الطِّعانْ ،

وبأنَّها شرَفُ الثرىَ . . بعد الإله بغيرها لا يُسْتَعانْ

. . جئناك . .

مَزْمورِيْن ، مخمورِيْن . .

من دَهَش المدَى يتَعجَّبانْ !

يتنقَّلان على صداك مع الخلودِ . .

. . ويشربانِ ، ويسْتَقِيانْ !

قُمْ ، واملأ الأقداحَ ثانيةً . .

وجلّجِل فى الصفوفِ بلا اوانْ

فاللّهو ، واللعبُ ، استمرّا فى العُروقِ مع المرارة يَجْرِيانْ ! !

واعِدْ نفيرَ الأرضِ ! !

«عَمّوريّة اخرَى تشوقُ للأذانْ ! !

مـوسـيـقـــى من لحظة الوداع
من لحظة الحزن العظيم !

[مع غـروب الاثنين ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠]

إلى روح الزعيم الخالد جمال عبد الناصر

وفى لحظةٍ . . اسْقَطَ الغيْبُ فيها على كلهِ شىءٍ اسىً لا يراهْ
عميقٌ . . عميقٌ . . كجُبِّ الظنون ، علَى كلِّ حسٍّ تلاشَى مداهْ . .
سحيقٌ . . سحيق . . كما لو نَزَحْتَ من الروح ، كلَّ حياة الحياة
. . وطيرٌ يحطُّ بِلا أىِّ غصْنٍ
علَى شجر مُوغلٍ فى كَرَاهْ
يَفرُّ . . كما لو احسَّ الفناءَ
يُطاردُه من زوايا صداهْ . .

ويرتدُّ . . حيرانَ . . هذى رياهُ ،

وهذى الخمائل فيها هَوَاهْ . .

يمرُّ ، وتَمْضِي ، ويأتى خَفِياً

ويَمْرُقُ فى الوهم كُلَّ اتجاه !

تحسَّسْتُ وجهى ،

لَعلَّى أُلامِسُ طيْفاً على اىِّ طيفٍ رماهْ ! !

تحسستُ صدرى ،

لعلَّى أُصافِحُ سِرّاً توارتْ به راحتاهْ ! !

تحسستُ حولى جُحُوظَ الأثيرِ ،

وتَحْدِيقَهُ فى مرايا فَضَاهْ ! !

وامعنت فى درب ذاتى لَعلِّى ،

تناسَخْتُ أُخْرَى وضلت سُراه !

لعلَّى صهرْتُ المدَى وانتهيْتُ

إلى ابعد البعدِ فى منتهاه . . .

وصمتُ بُطِلٌ . . ضريرَ السكونِ

تلَجْلَجَ . . لم يدْرِ ماذا دهاهْ !

تحيرَ فيه ارتقابُ الوجود ،

وماذا يكون ! وماذا عساه !

تراءَيتُ في عينه جازِراً ،

ومذْبحةً أخْفَتَتْها يداهْ

وسهماً يُصَوِّبهُ ، لا اراهْ ،

وإن كُنْتُ في هلَعٍ من رُؤاهْ . .

اخافُ على جبْهَتي . .

بعدما سَنا الشمْس رشَّ عليها ضحاه !

. . اخافُ على خُطُوتي

بعدما جنّا الرّقُ يدفنُ فيها خُطاهْ

ويَهْرَبُ في الأمس عبْرَ القرُونِ

يُسلّي دُجاها بذكْرَى دُجاهْ !

. . اخافُ على زهرتي

بعد ما اعادتْ لَي العطرَ ،

يَسقي الّذي من يديه سقَاهْ !

اخافْ . . . .

وظلّ اندهاشي يدورُ !

وتضرب في كل كربٍ عصاهْ

وحولي كؤوسُ الغروب الحزين

محطّمةً فوق كل الشّفَاهْ . .

. . . وشقّ النّعيُ عذابَ السكونْ ،

وعاصفةٌ دمْدمَتْ بالجُنُونْ ! !

وتصرخُ . . لا . . لَنْ يكونْ ! !

يَموتُ الضحَى . . والضياءُ العميق الذي بثّهُ – لا يموتْ !

أباريقه لا تزولْ ، بقلْبِ الغُصُونْ ، .

يموت الصباحُ ، ومَوْجُ السنا بعده لا يموتْ !

مصابيحهُ لا تحولُ بخَفْق الجفونْ !

يموت الزمان ، وما شبّهُ في المدى – لا يموتْ !

مشاعله في الليالي تحولُ بخَطْو السنينْ . .

ولو أنها من غيوب الإلٰهِ ،

مقاديرُ تُلجمُ سرَّ الحياهْ ،

فإنّ المسجّى على راحةِ الخلْد . . حَيّ . . وثائر

ومازال . . لم يمض ناصرْ ! !

. . فما زال فى الدرب حياً

وما زال للثائرين اندلاعا ووَحْياً . .

وما زال يرفع للسالكين المبادىءْ . .

ويُعطى شذاها لكلّ الشواطىء . .

تعاليْتَ . . يا مالك السرّ ! !

سَمْعُ الملايين ما زال يُصغى لصوتهْ ،

ويُجهش بالدمع . . حين يراه ، بَصمْتهْ :

. . علَى خطوَة الكادحينْ . .

وفى أوجهُ الشرفاءِ . .

وفى نظرة الفقراء ،

وفى كل فأس بكفّ السنينْ ،

وفى كل صَفْصافةٍ كفكفَتْ ،

بأوراقها ادمع المنقبينْ . .

حيارىَ التّراحيل ، اهل المُعاول والدمع ، اهل الأنين . .

وفى قبضة الزاحفينْ . .

وفى صيْحة الثائرين :

وفى زارة السُّود ، وهى تُذيب العناصرْ

لِسحقِ الفوارقِ بين الوجوه علِى كل سائر . . !

وفى المسجد المستجير الحزينْ ،

وفى القُدْس . . وهى تُناديه من فتْكة الغاصبينْ . .

وفى كل حبَّةِ رملٍ وشاطئِهْ ،

سناهُ يُضوِّى كلَّ المرافئِهْ !

وفى كلِّ شىءٍ ضياهُ . .

مع الشمس مازال يُعطى الحياةْ . .

لِكلِّ الذين أرادوا الحياه ! ! . . . . . .

ورغْم انطفاء السراجِ على عتَبات الجسدْ ،

فما زال منه السنا هادراً للأبد ! !

تُحلِّق راياتُه فى المآذنْ . .

وتنطق آياته فى القُرى والمدائنْ . .

وما دام فى الأرض حرٌ وثائر . .

وما دام فيها حياه . .

فما ماتَ . . ناصرٌ ! !

ولا غَرُبَتْ من يديْه الحياه ! !

موسيقا من الطبيعة

فى شاطىء البحر

مع إصغاءة الشاعر لسحر الطبيعة

وجمالها فى شاطىء المنستير بتونس

٤ اغسطس ١٩٧٣

نزلنا . . والشمسُ فى احضانها حوريةٌ سكرى على شطآنها

لا كأسَ فى راحتها . . لا راحَ فى كاساتها . . لا صوتَ فى إرفاقها

وكلُّ شىءٍ . . نشوةٌ ، وقدحٌ يصب سحرَ السحرِ من اغصانها

وكلُّ أفقٍ وترٌ ، ونغمة وأعينٌ تُصغى إلى ألحانها

وكلُّ خطوٍ قبلةٌ ووجنةٌ مدّتْ دروبَ الحبِّ فى ونيانها

ونظرةٌ ، لم تلقَ إلاّ نظرةً مبهورةَ النور على أجفانها

خضراءُ ؟ لا . . بيضاء ؟ لا . . زرقاءُ ؟ لا . . ثابت حدود اللون فى بُستانها

البحرُ ، والنخيلُ ، والزيتونُ ؛ لا قيودَ للضياءِ فى ألوانها . .

. . كأنها خلاصةٌ من زمنٍ ووطنٍ . . يُطلُّ من أزمانها !

كأنها فى كل وقتٍ ، سجدةٌ لِلّهِ . . لا تُقْبلُ فى آذانها . .

والسِّحْرُ ، والجمالُ . . مؤمنان فى آفاقها . . رُكْنان من أركانها

لاحتْ صلاةً ، وهوًى ، وفتنةً وجنةٌ . . فردوسها فى حانها !

* * *

الشمسُ فيها غيمةٌ ، وخَيمةٌ للظلِّ . . لا يَزورُ عن مكانها

والريح فيها نسمةٌ ، ولثمةٌ ونَغْمةٌ ، تهمسُ من عيدانها

والنخلُ فيها شاعرٌ ، فى صمته قصيدة ثارت على أوْزانها

فنَخْلةٌ كفارسٍ فى حومَةٍ يَحْدُو وغَى الدهر بصَوْلجانها

ونخلةٌ ناسكةٌ موصولةٌ بالغيْب . . . تسقى النور من إيمانها

ونخلةٌ راهبةٌ مشْدُوهةٌ ثكلَى على ما ضاعَ من صلْبانها . .

* * *

أصغيْتُ للتاريخ ، وهْوَ هائمٌ مثلى . . يَعُبُّ السحر من دِنانها

. . وإذْ بصَوْتٍ هادرٍ من قلْبها يَشْوِى رُفات القيْدِ فى نيرانها !

موسيقا من العلم

مهداة إلى الدكتور طه حسين غداة

صبحته الحرة : العلم كالماء والهواء

كتبت عام ١٩٥١

غناءً . . واشجى منه ما أنتَ قائلُهْ

وسحر . . واعتى منه ما أنت فاعلُهْ

• • •

حشدتُ لك الإلهامَ من كل مُهْجَةٍ

ومن كل نورٍ أنت للفنّ بانلُهْ . .

• • •

ومن قمةٍ للفكر أنت بفَجْرِها

شعاعٌ من الرحمن هلّت مشاعلهْ

• • •

ومن صيْحةٍ للحق ، يمضى زئيرُها
كأنّ بدا للغيب خفّت تزاملهْ

• • •

. . ومن ادبٍ حرّ الأعنةِ سقْتَهُ
إلى الناس ركباً لا تُجارَى قوافلهْ

• • •

مددتَ لها الأرْسانَ فى كل وجهةٍ
لمحْتَ بها ليلاً ، فطارت تقاتلهْ

• • •

يَمرُّ على جَدْبِ العقول حُداؤُها
ربيعاً جديدَ الخَطو ، غنّتْ اصائلهْ

• • •

له مذْهبٌ فى السّيْر ، فالأرضُ كلُّها
زمانٌ وافقٌ بمَمْتَهُ فبائلُه :

. . ومن فرحةٍ للعلْم . . . هنا هديرُها
حواليْك ضجّتْ بالوفاء سواحلهْ

• • •

تنادَى لها طيرُ الجزيرة بالْهوَى
وانْطقَ أشواقَ الرّياحين زاجلهْ

• • •

وأصغى إليها النيلُ حتى حسبته
أخا لَوْعةٍ تهفو إليك خمائلهْ

• • •

وسبّحَ صمت النخل فيها ، ولم تكُنْ
لتعْرِفَ فى التّسبيح شيئاً لنامله
لكادُ ولو لم أصغ . . ألقَى بظلّهِ
ترانيمَ طيرٍ بالحنين تُساجِلهُ
فهل هو مِمّنْ يعشق الفكرَ قلبهُ ؟
وممّن لأهل العلم تُنمَى سلائلهُ ؟
. . ومن كلّ إيمانٍ ، وكلّ عقيدةٍ

وكلّ خيالٍ طاوَعَته حبائلُه . .

حشدتُ رباباتي ، وفني ، وصاحباً

هو الشعر لم تهدأ بأرضٍ رواجلُهْ

وجئتُكَ أبغي طيْفَ سحر ، فإنما

بيانُكَ . . يَدري أين تُخْفيه بَابِلُهْ !

برُبك هبّني بعضَ وَحْيٍ لعلّني

بَسَمْعِكَ أشْدُو بعض ما أنا حاملُهْ . .

فلا كانَت الأوتارُ إن هزّ عودَها

هواكَ ، ولم تُشْجِ اللّيالي بلابلُهْ . .

• • •

أتاكَ بُنَاةُ العقل ، من عَهْد آدمٍ

وَهُمْ حَوْلَه نَبْعٌ تَثُرُّ مَنَاهِلُه

يَجيءُ لهم طفْلاً ، غريرا مدثّراً . .

بِثَوْبِ غريرِ الوَعْي ، هُبْلٍ غلائلُهْ

يَمُدُّ يداً ظَمْأى ، وأخرى لَعَلّها

تُشيرُ إلى رِيٍّ بعيد تحاولُهْ

تلقّوه سفْحاً جاهلاً فى مفَازةٍ
بها غيْهَبُ الإظلام طنّتْ مجاهلهْ
عَنيدُ الدُّجى ، إنْ خالَسَ النورُ ليلهُ .
يُضيءُ ، وإنْ يفجأ جماهُ ، يصاولهْ
سقَوْا مَهْدَهُ خَطْوَ الرّسالات رحمةً
وكنّحاً صبوراً ، لا تنُنُّ مَعَاولهْ
وشقُّوا ثَراهُ ، فاستحال يبابُه
حقولاً ، عليها العِلْم صافتْ سنابلهْ
وخلّوْا جناها للحياة . . فإنّهُمْ
هُناها ، وهُمْ فى كل شعبٍ دلائلهْ !
فإن شئْتَ بَعْثاً للبلاد ، فهذه
يَدُ الله فوق الجهل ، هذى جحافلهْ
بَنَانٌ ، وإيماءٌ ، ولَوْحٌ ، ووقفةٌ
وما بعد هذا ، كلُّه أنت خاذلهْ . .
اتَوْكَ . . فجاءُوا للذى سارَقَ الحِجا
فخرّتْ له ابراجُهُ ومنازلُهْ

لَهُ منطقُ النُّور المُبِين ، إذا هوَى
على الشكِّ ، راحتْ تَستجير مقاتلهْ
يُمزِّقُ بالتِّبيانِ كلَّ مُطلّسَمٍ
من الرأى ، حتى تَستبينَ دَخائلهْ
ويَنْفُضُ أسْرارَ النفوس بيانُهُ
كما لو رواها كلُّ طيفٍ تُزاولهْ
إذا رَقَّ ، فالأسحار لحنٌ بكفِّهِ
وطيرُ الرُّبَى نايٌ رخيمٌ يُغازِلهْ
وانْ مَسَّ ظُلْماً ، خِلْتَ ناراً وعاصفاً
وذكرى هشيم فى الفيافى تقابلهْ . .
يسير وحُبُّ النيل لحنٌ مقدسٌ
يَهزُّ به سمْعَ الضُحَى ويُطاوِلهْ
تطوف على الدنيا خُطاهُ ، كأنها
لمصْرَ نشيدٌ لا تَكِلُّ فواصلهْ
فكم رحلةٍ للغربِ طارَتْ بذكرها
وغنَّتْ بواديها العزيز رسائلهْ

يُحبُّ ضنى الأسفارِ حباً لمجدها
وتُشجِيهِ اشحانُ السُّرى وشواغلهْ . .
رأى العلمَ ماسور الضّياء ، كأنّهُ
شقيٌّ على الأصفادِ شدّت سلاسلهْ
أقامُوهُ فى سوقٍ تعادتْ دروبهُ
وصدّتْ أياديه . وسدّتْ مداخلهْ
ونادى مُنادٍ ، فوق أعتاب بابِهِ
بصوتٍ جهيرِ الظُّلْمِ بُحّتْ غوائلهْ :
هنا الألفُ العصماءُ ، عُودٌ ممنّعٌ
من الغُرّةِ القعْساءِ شيدّتَ حوائلهْ !
هنا الباء طير عبقرى مُجنّحٌ
على طيْفِهِ يبكى من اليأس حاملهْ !
هنا «الفُ» «كالباء» كلٌّ بدِرْهمٍ
ومَنْ ساوَمَ الأسعار لستْ اعاملهْ !
هنا كلُّ حرفٍ فى وِعاءٍ مُختّمٍ
شحيح الرُّؤَى ، إيّاكَ يوماً تُسائلهْ !

إذا كنتَ ذا مالٍ فأقدِمْ . . . وإنْ تكُنْ
فقيراً . . فَحلِّمُ الشمس ما أنت آملهْ !
هنا كلُّ سطر تَحْتَ قبّر ، فإن تُرِدْ
نشوراً ، فهات المالَ تخشعْ جنائلهْ
هنا سدُّ يأجوجَ ، هنا العلمُ سلّعةٌ
تُباع وتشْرى كالمتاع مراحلهْ . .
وكم مِنْ يدٍ جاءت تبكى لقَطْرةٍ
فقالتْ لها : بيعى الدموعَ ! جَداولَه !
وكم من أبٍ فى الكوخ أقعى شقاؤه
وناحَتْ عليه فاسهٌ ومناجلهْ
أتى ببنيه ضارعا متوسّلا
لعلَّ حظوظ العاجزين تُفاضلهْ
فهَبَّ المنادى صائحا فى عنابهمْ
بصوتٍ على الآفاق دوّتْ زلازلهْ
إلى الكوخ عودوا يا بنى الفقْر ، واقنعوا . .
فأولى بكم قُطْعانُه وسوابلهْ !

. . أساطيرٌ عن «دنلوب» تُرْوَى وإنها
لفتّكٌ بروح الشعب دقّتْ وسائلُهْ
وقيدٌ لمجدِ النيل طال هوانُهُ
وطالتْ عليه نارُهُ ومشاكلُهْ
خطا نحوه « طه » العظيمُ مؤزّراً
بشعبٍ من الاغلال مَلَّتْ كواهلُهْ
وكرّ عليه فارساً ، في يمينِه
شبا قلم للحقّ سُنّت مناصلُه !!

موسيقا من التاريخ

وانهتك الستار عن وجه التاريخ لحظة ، فتذكر شهيد الدربة والنضال محمد فريد بعد خمسين عاما على رحيله . . .

٢٢ / ١١ / ١٩٦٩

رُفع الستارْ . .

وانشقّ زورُ الليل عن شرفِ الحقيقة كالنهارْ

وأفاق للتاريخ قلبٌ

كان من عبثِ التسلُّط . . فى دُوارْ

اغرَى به الزمنُ الغشومُ

فزاغَ فى وهجِ الحقائِق واستدارْ

وضعَ القناعَ على الشعاع . . وشاد للحلَك المنارْ

ومضى يجوبُ الخلدَ اتّاقاً .

يلصُّ كما تشاء له البراقع ! !

يضعُ القواقع فى الذُّرى ،

ويدُسُّ وَمْضَ النورِ فى كبد القواقعْ !

ويُعيدُ خلْقَ النور

ينسخُهُ دجىً ، متألقَ الآهات ، مشبوب المواجعْ !

ويُزَنّرُ الظُّلُماتِ فى قبَس

من البُهتانِ يسترق الضمائر وَالعيُونْ :

. . فيصوّرُ الأغْلالَ مسبّحةً مُصلّيةً

تُضَوّىء فى رِقاب الصّاغرينْ !

. . والظُّلْمَ بُستاناً يَرفُّ العطرُ منه تمائماً للظالمينْ !

. . والدمْعَ ، اجنحةً من الرّحماتِ

زانتهُ التّبتُّلِ ، والتّهللُ ، وَالحنَينْ . .

. . ويصوّرُ الطّائفين رُهباناً بدَير العدل تجمعُهم صلاةْ !

والغاصبينَ الحقَّ ذُؤباناً . . يُصوّرهُم حُماةْ !

والسّارقينَ المجْدَ تحشُرهُمْ ملائكةَ يداهْ !

والتّاجرين بعزّة الأوطانِ ابطالاً يُخلّدهُمْ هَواهْ !

يَسقيهم النسيانَ لا يبقى لهم ذكرَى حيَاه !

يا للّجحُود ! وللّخلُود ! وللبوار ! !

. . رُفِع السّتَارْ ! ! . .

رُفِع السّتارْ

وتَمزّقَتْ حُجُبٌ من النّسْيانِ عاتيةٌ مكبلة الإزارْ

وانْفَضّ سوقُ العنكبوت . . وشعشَعَتْ بكُهُوفه ظُلَم الجْدار

وارفَضّ من وجه الخلود تَبرُّجُ الألَقِ الجْلَيب المستَعارْ

وانْقَضّ صرحٌ مَوْهَتَهُ يدٌ تُريقُ اللّيلَ من شفةِ النّهارْ

وتَحيكُ أرْوِقَةُ الضياءِ خُيوطَ قَبْرٍ لا يُتاح له مَزارْ

. . ماذا أصاب الخالدِينَ ؟

تحرّكَتْ أصْلابُ سمْعتِهمْ . .

. . وفاجأهُمْ نَهارْ

وتلفّتوا . . فإذا قِبابُ المَجْدِ . .

ضوّاها لهم زورُ الإسارْ

هذا حبيبُ القَيْدِ . .

يُكْتَبُ ؛ كانَ يُلْقِمه الشَّرارْ !

هذا عدوُّ القَيْدِ . .

يُنْسَجُ فوق جذوَتِه بِثارْ !

. . وتلاغَطَ الزَّمَنُ الأسِيرُ . .

فضاعَ حادِي النورِ ، في حادِي الغُبارْ

. . وانْسابَ ساقي اللَّيلِ في ساقي الضياء ، وبَسَت الظُّلَمُ الشَّرارْ ،

. . وغدا رَمَادُ الذَّاهِبينَ على الأسِرَّة والنمارق في الدِّيار ،

والخَائنينَ الخانعينَ لكلِّ طاغٍ في ضفاف النيل سارْ ؛ ؛

إكليلَ مَجْدٍ فوق هاماتٍ معصَّبَة الخَيانَةَ بالشِّعارْ

ويَزُفُّها التاريخ لا يَدْرِي أعارٌ ما بمجْدٍ لم فخارْ !

وسُطُورُ خِزيٍ فيه . . لمْ رَيْحانُ مقبرةٍ وغارْ ! !

وغدا لهيبُ الثائر المستشهد الحرِّ الأمينْ

الرَّافضِ الأغلالَ . . تلمعُ في صُدُورَ الحالِكِين ،

رُتباً وَأوْسمةً يُشَعشِعُ ذُلُّها للنَّاظِرينْ ،

وتزيدُ وَجْهَ الشعبِ إطراقاً لوجْهِ الغاصِبين ، ،

. . وَغداً لظاهُ المستَمِيتُ جَحيمُ ما بيديْه من زاد الأوارْ ! ؛

، لهبَا أبيَّ النَّارِ . . .

يَرْفُضُ أن يكونَ مع السلاسل فى جِوارْ !

ويَموتُ مُغتِرباً على شفتيه للحرية الكبرىَ مَنَارْ

فيتُوهُ بين العائدين ونعشه يُسْقَى العَرَاءَ والانتظار

رُفع السِّتار ! ! !

رُفعَ السِّتارْ . .

وتهاوت الظُّلُماتُ وانقشَعَتْ بفَجْرِ الثائرينْ

ومضَى الصباحُ فنابَ ظل القيد من خَطْر السِّنِين

وتَغيَّر الإنسانُ لم تَعُدِ الرؤى تسقيه خَمْرَ الزائفينْ

وتغيَّرَتْ روحُ الحياةِ فلنْ يلوحُ بها سناً للواقفينْ

وتغيَّرتْ قِيَمُ الخلُود فلَنْ يُطِلَّ شعاعُهُ لِلْخاطِفِينْ

وتغيَّرَ التاريخُ . . نفحةُ غارِه لم تبقَ إلاَّ للحُناةَ المخلِصينْ

فاعْذُرْ زَمانَكَ يا فَريدُ فإنَّهُ أعْشَى تلَمَّس ضوءَهُ فى الغافلينْ !

وانظُرْ خُطانا اليومَ . . وقعُ نضالها لهبٌ تُؤَرِّق نارُهُ المتجبِّرينْ

مَهْما استبدُّوا بالظَّلام فإنَّنا بصُمود وَحْدَتنا سنُصبح غالبِينْ

بالله ، بالدَّم فى العروق ! بكلِّ ما ملكَتْ يداناَ اليومَ نَبْذُلُ

مُفْتَدِينْ

سنُذيبُ وجْهَ اللّيل نمحقُهُ بأجْنحةِ النهارْ

ونشدُّ مِنْ أعماقِ ظلمتِهِ بشائر الانتصارْ

فانْعم علَى بُعْد الجِوارْ . . رُفِعَ السِّتارْ ! !

موسيقا من الخوف

«الخوف»

. . . وأخاف . .

حتى أن أُوَيْن نعشه

وارقص اللعنات خلف رفاته

. وأخاف رفَض الموت ينسخُ وجهَهَ

فيعود زَيف السم من حيّاته

. وأخاف نبضَ الوهم يُرعش صمته

فيعودُ يزأر من وجوه نُعاته

. وأخاف خوفي منه ، وهو مُمَدَّدٌ

تعوى أغانى الذعر فوق سباته

. . وأخاف أنّ صدى يدورُ بحرْفِهِ

ويعيد فحّ الذُّل فى كلماته

. . وأخاف ممّن شيعوهُ

فبعضهُم مسخَ للسوحَ السود عند وفاته

وأخاف انيابَ الحفائر بعده

تلد الأفاعى الخضر من مَخلاته . .

وأخاف من تابوته شبحَ الرُّؤى

وتهُرا الأكفان فى جنباته

. . . وأخاف نشوةَ لا حديه ،

يذيبُها صدأ الضباب المُرّ فى مرآتهِ

. . . وأخاف بعد هلاك اذنابه . .

يتسكّعون على بِلى طرقاته . .

يتسللون كأنهم اعدائُه

وهم عصيرُ الرّق من ظلماتهِ

ويْلاىَ منه ! !

بَنَى الكهوف من الضحى

واذلّ كِبْرَ النور فى ساحاتهِ

. . سلّ الأمان من الحياة ،

فشقّها نصفين محاورين من سطواته

. . هذا جبانُ الوجه يكتم ذاته

ويُقيم مِزْلجَها على لهواته

والخائف الثانى

تكفّن عمرَه بالصمت يحمله على راحاته

ميتٌ ومصلوبٌ على أضلاعه

كهفان ، يزدردان كلّ حياته

لم ينجُ منه سوى الذين تزلّفوا

كالرّغوة الملساءِ فى حركاته

رصدَت عظامُ ظهورهم انواسهُا

لتاوُّد البهتان فى قسماتهِ

أعمى يُطلُّ بألف عين

كلما لاح الضياءُ اندسّ فى نظراته

لخنى عليه الشرفاء

حتى أصبحوا أشياخ إصغاءٍ إلى متكأته

يخشْونَ كلّ رؤى الوجود ، لعلّها
رصدت ضمائرهم لتسجيلاته
يخشْون عطرَ الزهر أن تُخْفَى به
اذن مدوّيةً لسمّاعاته
يخشون ضوءَ الشمس أن يخفى به
متلصص بالذّر فى هالاته . .
يخشون طيف الحق ينبس مرّةً
فيكون همْسُ القيد بعض رواته
يبدون أحرارا
وجرس قيودهم فى الصمت يَمْضُغُهُم بتأويلاته
إيمانُهم ، خاف الإله
وخوفهم خاف الضلال ببعض مخلوقاته . .

موسيقا من الذات
في غروب النفس

. . وماذا ستكتب عني ، إذا غبتَ يوما
وماذا ستحكي لدنياكَ عن سرِّ فنّي ؟ !
وماذا ستَرْوِي عن الناي . . .
لمَا تراهُ حزيناً بلا اي دمع ! بلا اي لحن ؟ !
. . أتعرفني ؟
أين مفتاحُ بابي . . .
وأين الطريقُ إلى جنّتي . . او يبابي ؟
. . أين الحدائق ؟ أين الحدائق ؟
أين الحقائق ؟ . . مصلوبة بين عصري وبيني ؟
وأين اختلاجاتُ روحي ،

واطيارُها حائماتُ السفوح ؟

تجيء ، وتمضى ، وترنو ، وتَغْضى ، . . .

وفى فمها السرُّ . . هيهات يُفضى ! !

. . أتعرف ماذا تريد ؟

وماذا بها من أحاسيس ومضى ؟

. . أتعرف أيّانَ عادتْ ؟

النُّور ؟ أم للدُّجى فى متاهاتِ أرْضى ؟

• • •

وما هى هذى الخمائلُ فى قاع نفسى ؟

وما ذلك السِّحر ؟

مَنْ شبَّهُ فى فراديس كأسى ؟

. . أتعرف كيف انسلالُ الرؤى من خيالى ؟

وكيف انصهارى بلحْنى عند اشتعالى ؟

. . أتعرف كيف انكشافى لعُمقْ الوجود ؟

وأىُّ القُوى حطَّمَت لى جميعَ السدود . . . . ! !

• • •

. . أتعرف كيف امتدادى بنارى لربى ؟ .
وكيف احْتِدادى ورفضى لأشواقِ قلبى ؟
وكيف التناقض يجتاحُ ذاتى ، ويمضى بعيداً
ليرتاد شيئا . . أحِسُّ به فى زمانى ، شريدا !
ينادى علَىّ ، ولخشى صداه
وأهوى لِقاهْ . . . غريبا جديدا ؟ ؟

• • •

أتعرف ما فى كيانى ؟ وعمقى ؟
. . سرٌ غريب
تخطّى العصور
وفات الدُهور
إلى سرِّ روضٍ عجيب :
به الزهر يسكر ! و العطر يسهرْ !
. . والليل داعٍ يتوب ،
ومن غير ذنبٍ يَمُدُّ اليدين . .
ويَرفَعُ لله تسبيحتين !
وقد احتويه ، وانساب فيه ،

ويبقَى بعيدَ المدَى عن خيالى وجفْنى ! !

. . فلا أنا منه

ولا هو منى

ولكننا نغمةٌ فوق غصنٍ :

بلا أى طيرٍ ،

بلا أى نبرٍ ،

. . تغرّد للروح فى جوّها المطمئن !

* * *

. . . أتعرفنى بعد هذا ؟

وتدرك ماذا أغنى !

* * *

أنا من سمائى وأرضى قطوفى ،

ومن ثورة الروح للروح لحنى !

. . وأحرقت ذاتى لضوء التراب ،

وغنّيْتُهُ القمرَ . . .

. . . ماذا تريدون منى ! !

الديوان

الرابع عشر

رياح المغيب

«ريـــاحُ الْـمَـغِـيـــبْ ! !»

«إلى التى شربتْ معها خمر

الرياح فى غروب صيف مات »

يا رِيـــاحَ الْمَغِيبْ ... يا اغـــانى الزَّمَنْ
اىُّ سِـرٍّ رَهِيـــبْ ... فى حَشَاكِ اسْتَكَنْ
للشَّقِىِّ الْغَـــرِيبْ ... فَوْقَ هذا الوطَنْ . .

* * *

هَلْ سَمِعْتِ الجِبَالْ ... فى سُكُونِ الظُّلَمْ ؟
تَشْتَكى للرِّمَـــالْ ... سِجْنَها مِنْ قِـدَمْ
أَمْ سَقَاكِ الْخَيَالْ ... جُرْعَةً مِنْ عَـــدَمْ
فَعَبَرْتِ التِّـــلالْ ... وَالـرُّبَى ، والْقِمَمْ
غَابَـــةً مِنْ زَوَالْ ... أَطْلَقَتْهَـــا السُّدُمْ

شـابَ فَوْدُ الغُيوبْ وَهْيَ ريَّـا الفَنَـنْ
إنْ سَـرَتْ لا تَؤُوبْ لو بكَـتْ لانثنْ...

* * *

«يا رياحَ المغيبْ يا أغاني الزَّمنْ..»

* * *

هلْ سَمِعْتِ البِحارْ لاغطـاتِ الزَّبَـدْ؟
تَشْتكي لِلْقِفَـارْ مِنْ قُيـودِ الأبَـدْ
مِنْ قديم السِّفَـارْ مَوْجُهـا مُضْطَهَـدْ
مَلَّ طُولَ الإسارْ بيْنَ جَـزْرٍ ومَـدْ
فَارْتَمَى واسْتَجارْ مِنْ ضَلال الأمَـدْ..
فَهْوَ مِثْلُ الـذُّنُوبْ صَحْوهـا فى الوَسَنْ
وهْوَ مِثْلُ القُلُوبْ شَجْوُها فى الفتن...

* * *

«يا ريـاحَ المغيبْ يا أغـانى الزَّمَنْ..»

* * *

هلْ سمِعْتِ الرِّياحْ اخْتَـكِ النَّادبـه

خِلْتُها فى البطاحْ ... قِصَّـةً هـــارِبهْ
سَطَّرَتْهـا الْجراحْ ... وَلَدَى الْغـــارِبَهْ
وَرَواهـا الصَّبـــاحْ ... لِلرُّؤَى الكـــاذِبَهْ
فانتشَتْ بالنُّـــواحْ ... وانْثَنَتْ غاضِبَـــهْ
فَهْىَ حيْـرَى تَلُوبْ ... مِنْ زُعـــافِ الْمِحَنْ
وهْىَ سُكْرَى تَـذُوبْ ... فى حَشَا كُلِّ دَنْ . .

• • •

«يـا ريـــاحَ الْغُيُـوبْ ... يا أغانى الزَّمَنْ . .»

• • •

هَلْ رَأَيْتِ الظَّـــلامْ ... فى شِعابِ الْجَبَلْ ؟
قَـــد تَمَطَّى وَنَـامْ ... بَيْنَ حِضْـنِ الأَزَلْ
فَهْـوَ فَوْقَ الرَّغـامْ ... جاثِمـــاً كالأجَـــلْ
مَـا بِهِ مُسْتَضَـامْ ... أَوْ شَقِىٌّ ثَمِـــلْ
مَلَّ عَيْشَ الأنـــام ... وَالصِّبـا ، وَالأَمَلْ
فانْطَوَى كَـــالْمَرِيبْ ... غـالَـــهُ كُلُّ ظَنْ
فَهْوَ ضَيْفٌ غَرِيـبْ ... فَوقَ هَذِى الْقُنَنْ !

• • •

«يـا رياحَ الْغَيبْ يا اغانى الزَّمَنْ..»

• • •

هَلْ رأيْتِ السَّحابْ وهْوَ دام ضَجِرْ؟
فارِسٌ مِنْ عـذابْ فى شِراكِ القَـدَرْ
جرَّ فَوْقَ الْهضابْ رُمْحَـهُ الْمُنْكَسِرْ
فى يَدَيْهِ الإيـاب جَـازِعٌ كالسَّفَرْ..
أنْت فوْقَ التُّرابْ نَوْحُـهُ الْمُسْتَمِرْ
وَهْوَ فَوْقَ الْغَيبْ صَـابِرٌ مُطْمَئِنْ
شابَ قَبْلَ الْمَشِيبْ فَانْدُبِيه إنَنْ..!!

• • •

«يـا رياحَ الْغَيبْ يا اغانى الزَّمن...»

• • •

هَلْ سَمِعْتِ الْقُبورْ والثَّرى مِلْهَـا؟
قافلاتُ الـدهُـورْ خيَّمَتْ حَوْلَهَـا
كُلُّ حَيٍّ يَـدُورْ ثم يـاتى لَهَـا
نَفْسَةٌ مِنْ غُـرورْ عـانَقَتْ ذُلَّهَـا

نَوَّمَتْهَا العُصُورْ ... وَالبِلَى دَلَّهَا ..
فِي صَدَاهَا الرَّهِيبْ ... مَاتَ صَوْتُ الزَّمَنْ
وَانْتَهَى كَالْغَيبْ ... كُلُّ سِحْرٍ وَفَنْ !

• • •

«يَا رِيَاحَ الغَيبْ ... يَا أَغَانِي الزَّمَنْ ..»

• • •

نَشْوَةٌ فِي يَدَيْ ... شَعْشَعَتْ خَمْرَهَا ...
أَيُّ قَلْبٍ شَقِيْ ... لَمْ يَذُقْ سُكْرَهَا ؟
أَيُّ لَحْنٍ شَجِيْ ... لَمْ يَرِدْ سِحْرَهَا ؟
أَيُّ بَحْرٍ عَتِيْ ... لَمْ يَزُرْ نَهْرَهَا ؟
أَيُّ سِرٍّ خَفِيْ ... لَمْ يَكُنْ سِرُّهَا ؟
سُقِيتها فِي الغُرُوبْ ... مِنْ صَحَارَى الحَزَنْ
حَانَةٌ مِن قُلُوبْ ... قَهْقَهَتْ لِلزَّمَنْ ..

• • •

«يَا رِيَاحَ الغَيبْ ... يَا أَغَانِي الزَّمَنْ ...»

• • •

هَلْ سَقَاكِ المساءْ ... أدْمُعَ العاشقينْ ؟ !
فذَرَفْتِ الفَنَاءْ ... مِنْ عُيُونِ السِّنِينْ
وَجَعَلْتِ الفَضَاءْ ... مَعْبَداً مِنْ حَنِينْ
مرَّ فيهِ الهَوَاءْ ... كَمُغَنٍّ حَزِينْ
عَلَّمَ الأشْقِيَاءْ ... كَيْفَ يبكِي الرَّنِينْ . .
فَهْوَ لحْنٌ صَبِيبْ ... وَهْوَ دَمْعٌ يَرِنْ
لَكِ مِنْهُ الوَجِيبْ ... والأغانى لِمَنْ . . ؟ !

* * *

«يا رِياحَ المغيبْ ... يا أغانى الزَّمن . . .»

* * *

خبِّرِى عن أساكِ ... ما الَّذِى تَكْتُمِينْ ؟
لَوْعَةٌ فى صداكِ . . ... ما الَّذِى تَعْشَقِينْ ؟
حَيْرَةٌ فى خُطاكِ . . ... ما الَّذِى تَنْشُدِينْ ؟ !
مَنْ سَقَانِى سَقَاكِ ... خَمْرَةَ التَّائهِينْ ؟
إنَّ قَلْبِى رَاكِ ... قَبْلَمَا تُخْلَقِينْ . .
مِزْهَراً لِلْغُيُوبْ ... هَامِداً لا يَرِن

كلُّ لَحْنٍ طَرُوبْ فى حَشَـــــاهُ كَمَنْ!

• • •

يـا رِيـاحَ المَغِيبْ يا أغـانى الـزَّمَنْ ..»

• • •

عَلِّمينِي الهُـرُوبْ مِنْ ضَجِيـج الحَيَـــاهْ
فَشَبَـابى غُرُوبْ شَابَ فِيـــهِ صِبَـاهْ
وَهُمُومِى وَثُـوبْ عَـاقَ جِسْمِى خُطَاهْ ..
وَرَمَـادِى شَبُوبْ مَـلَّ قَلْبِـى لَظَـــاهْ
كُلُّ لَحْنٍ يَـذُوبْ فى دَمِى .. غَيْرُ آهْ!!
آهِ .. بِنْتِ اللَّهِيبْ وَصَـــلاَةِ المُحَـــنْ
شَيَّدَتْ فى المَغِيبْ مِنْ ضُلُوعِى سَكَنْ ..!!

• • •

«يا رِيـاحَ المَغِيبْ يـا أغانى الزَّمَنْ ...»

• • •

كَمْ سَقَيْتِ الفِراقْ كُـلَّ غُصْنٍ خَمِيـلْ!
وَسَكَبْتِ العِنَـاقْ فى التُّـــرابِ المَهِيـلْ!

أفَهِمْتَنَا بِفِرَاقْ؟ أَمْ عَذَابٌ جَمِيلْ ؟!
فيهِ خَمْرُ التَّلاقْ كَدُمُوعِ الرَّحِيلْ...
لَمْ يَعُدْ لى رِفَاقْ فى طَرِيقِي الطَّوِيلْ..
فَاصْحَبِينى نَجُومْ عَالِيَاتِ القُنُنْ
عَلَّ عُمْرِى يَؤُوبْ صَخْرَةً فَوْقَهُنْ !

• • •

«يا رِياحَ الغَيبْ يا لَغانى الزَّمَنْ..»

• • •

اعْصِفِى بِالعُهُودْ وَالأَمَانى الكِذَابْ
فَأَنَا فى الوُجُودْ قَبْضَةٌ مِنْ تُرَابْ
وَأَنَا فى القُيُودْ حَلْقَةٌ مِنْ عَذَابْ
وَأَنَا فى السُّجُودْ دَعْوَةٌ لا تُجَابْ !!
وَأَنَا فى الخُلُودْ مَوْجَةٌ مِنْ سَرَابْ
وَأَنَا فى الغَيبْ يَقْظَةٌ مِنْ وَسَنْ
وَخَرِيفٌ غَرِيبْ فى مَغَانى الزَّمَنْ !!

• • •

يا رياحَ الْمَغيب ... يا لغاني الزَّمَنْ . . .

• • •

لِيَ ماضٍ شَقِيْ ... هَدَّني أَوْيكادْ

لَمْ أَثِقْ مِنْهُ شَيْ ... غَيْرُ هَذا الرَّمادْ . .

وَضَنَى سَرْمَدِيْ ... لاَ يُرِيدُ النَّفادْ !

ما الَّذي فِي يدَيْ ... غَيْرُ جُرْحٍ مُعادْ ؟ . .

وأَنِينٍ شَجِيْ ... مِنْ بَقايا الفُؤادْ . .

رَقْصَةُ الْخُطُوبْ ... فَوْقَ أَوْتارِ جِنْ

فَهْوَ حُزْنٌ لَعُوبْ ... فِي زَوايا كَفَنْ !!

• • •

«يا رياحَ المغيب ... يا لغاني الزَّمَنْ . .»

• • •

زَارَ كأْسٌ جَدِيدْ ... حَانِيَ الْباكِيَا

خِلْتُهُ مِنْ بَعِيدْ ... رَاحِماً آسِيَا

فإذا بي أُعِيدْ ... مَذْبَحِي ثانِيَا

وأُرِيقُ النَّشِيدْ ... لِلْهَوَى دامِيَا . .

لَيْتَ لى ما أُرِيدْ . . مَعْبَداً غانِيا ،
بَيْنَ لَيْلٍ وَطِيبْ وَصَلاةٍ وَنَدْ
وَالْهَوَى ، وَالْحَبِيبْ يَسْقِيانى الزَّمَنْ !!

• • •

« يا رياحَ الْغَيبْ يا أغانى الزَّمَنْ . .

• • •

كَمْ شِراعٍ شَقِىْ فِى خِضَمٍّ غَزِيرْ !
وَأَقِفْ يَسْتَقِى حَيْرَةَ الْمُسْتَجِيرْ
فَهْوَ كَالْمُغْرَقِ بَيْنَ لُجِّ الأثِيرْ
كِدْتِ أَنْ تَسْبِقِى بِمُنَاهُ الْهَدِيرْ . .
فَاعْذِرِى زَوْرَقِى إِنْ بَكَى فى الْمَسِيرْ
سابِحٍ فى جَدِيبْ مِنْ ثَكَالَى الدِّمَنْ
وَالْهَوَى لا يُجِيبْ سائِلاً بَيْنَهُنْ . .

• • •

« يا رياحَ الْمَغِيبْ يا أغانِى الزَّمَنْ . . »

• • •

تَعْبُرِينَ الْوُجُـودْ ... كُلَّ وَقْـتٍ بِحَـالْ
مَرَّةً كَالرُّعُـودْ ... تُفْضِبِينَ الْجِبَـالْ
وَكَهَمْسِ الْـوُرُودْ ... تُطْرِبِيـنَ الظِّـلالْ
وَكَسِحْرِ الْعُهُودْ ... تُرْقِصِينَ الْخَيَـالْ
وَكَقَلْبِي الشَّرُودْ ... تَطْلُبِينَ الْمُحَالْ . . .
فَاطْوِنَا يَا مَغِيبْ ! ... وَانْسَنَا يَـا زَمَنْ !
عُدْنَا عَنْ قَرِيبْ ... نَتَلاقَى .. بِمَنْ ؟ !

• • •

«يَـا رِيَاحَ الْمَغِيبِ ... يَا أَغَانِي الزَّمَنْ ؟ !»

• • •

رَبِّ مَاذَا هُنَـاكْ ... خَلْفَ هَذَا السِّتَارْ ؟ !
كَادَ قَلْبِي يَـرَاكْ ... فَانْتَشَى وَاسْتَطَارْ . .
مِثْلَ مُوسَى دَعَاكْ ... مِنْ ظَـلامِ الْقِفَـارْ
فَأَتَـاهُ سَنَـاكْ ... هَادِرًا كَالْبِحَـارْ . .
وَأَنَا فِي الشَّـرَاكْ ... صَـارِخٌ لا يُجَـارْ !
ثَـائِـهٌ فِي دُرُوبْ ... تَائِـهٌ لَيْلُهُنْ . .

أتُراهـــا تَئُوبْ ؟ أمْ تُراهَـــا فتَنْ ؟!

• • •

«يا رِياحَ المَغِيبْ يا أغـانى الـزَّمَنْ . . .»

• • •

طَارَ عنّى المَغِيبْ وَالأسَى لَـمْ يـــزَلْ
لَيْتَنِى عَنْ قَرِيـبْ مِن دِيـــارِ الأزل ؟!
الْحَنَـــانُ الرَّهِيبْ فى رَمَادِى اشتَعَلْ . .
وَالزَّمَـــانُ الكَئِيبْ فى قَضَـائى نَزَلْ . .
طَىَّ صَدْرِى غَرِيبْ ضَاعَ مِنْـهُ الأمَلْ !!
آهِ لَوْ يَسْتَجِيـبْ دَعْـــوَةً لِلْفَتَـنْ !
أوْ شَكَتْ أنْ تَغِيبْ نَارُهَا فى الْحَزَنْ !!

• • •

«يا رِياحَ المَغِيبْ يا أغَـــانِى الزَّمَنْ»

• • •

هَلْ رأيْتِ الزَّمَـانْ رَاكِضاً فى المَسِيرْ ؟!
مُسْتَطَارَ الْجَنَـــانْ مُسْتَخَفَّ الضَّمِيـــرْ

أَلْهَبَتْـــهُ يَـــدَانْ تَجْهَلانِ المَصِيرْ..
فَهْوَ مُرْخَى العِنَـانْ فى صَحَارَى الأثيرْ
كُلُّ حَىٍّ وَفَـــانْ مِنْـهُ يَلْقَى النَّذِيرْ..
فَالضُّحَى ، وَالغُرُوبْ وَالصِّبَـــا ، وَالكَفَنْ
كُلُّها فِى شُحُـوبْ مِنْ غُبَـــارِ الزَّمَنْ

• • •

«يَـا رِيَـاحَ المَغِيبْ يا أغانى الزَّمَنْ...»

• • •

هَلْ رَأَيْتِ الخَـرِيفْ فى مَغَانِى الشَّجَرْ ؟
مُسْتَبِـــدٌّ كَفِيَـــفْ مِنْ حِمَاكِ انْحَـــدَرْ
لا يُبَـــالِى يُخِيـــفْ أَنْفُساً أَمْ زَهَـــرْ !
كَمْ خَمِيلٍ وَرِيَـــفْ فى يَـــدَيْهِ انْتَحَرْ !
وَشَبَـــابٍ رَفِيـــفْ فِى خُطَاهُ انْدَثَرْ..
كُلُّ وَادٍ رَطِيـــبْ مَرَّ فيـــهِ يَئِنْ
أَهْـوَ إِثْمُ الكَثِيـــبْ أَمْ خَطَايَا الفَنَنْ ؟ !

• • •

«يا رياحَ المغيبْ يا أغاني الزَّمَنْ»

• • •

هَلْ رأيتِ الهَجيرْ فَوْقَ صَدْرِ التِّلالْ ؟
مَارِدٌ مِنْ سَعيرْ دَاسَ وَجْهَ الظِّلالْ
فى يَدَيْهِ الغَديرْ حَيَّةٌ مِنْ خَيالْ
وَالخَميلُ النَّضيرْ مَاتَ مِنْ جَمالْ
انْتِ فيهِ نَذيرْ باخْتِلاجِ الزَّوالْ . . .
ماتَ جَرْسُ الهُبُوبْ وَاهْتَجاسُ الفَنَنْ
غَيْرُ لَفْحٍ يَجُوبْ كَمُنادِى الدِّمَنْ . .

• • •

«يا رياحَ المغيبْ يا أغانى الزَّمَنْ»

• • •

هَلْ رأيْتِ التُّرابْ فى يَدِ اللأحِدْ ؟ . .
خِطْفَةٌ مِنْ سَرابْ فى صَفَاءِ هَامِدْ
كَمْ أذَلَّتْ رِقَابْ فى الثَّرَى البَارِدْ !
فَهْىَ أقْسَى عِقابْ مَرَّ بالرَّاقِدْ . .

مالَ عنّه الرّكـابْ فى دُجَى خـالِـدِ
فاتْرُكيـهِ يَـذُوبْ فى خُيُوطِ الْكَفَنْ . .
راحِلٌ لَنْ يَؤُوبْ خَطْـوُهُ لِلـزَّمَنْ !

• • •

«يـا رياحَ الْمَغِيبْ يا اغانى الزّمن . .»

• • •

هَلْ رأيت الصَّبَاحْ وَهْوَ يُحْيِى الْحَيَـاهْ ؟
ويُذِيبُ الْبطـاحْ والرُّبى فى هَـوَاهْ
فإذا الدّيكُ صـاحْ فيه . . كانَتْ صَلَاه !
وإذا النُّـورُ لاحْ كـانَ خَمْرَ الإلـه
أَشْرَبى يـا رياحْ وَاجْعَلِينـا شِفاهْ

١٩ من سبتمبر ١٩٤٦ مات الأصيل
بـدايـة مـأسـاة E.A.A

• • •

نَحْنُ صُبْحٌ غريبْ فى بَقَايـا دِمَنْ
للأسَى والنحيبْ خَيْمَـةٌ فَـوقَهُنْ

• • •

يـا ريـاحَ الغيـب يا اغانى الزَّمَنْ ..

• • •

هلْ رأيت الرُّبـاهْ فى وُجُوه العِبادْ
حيَّةٌ من ضيـاهْ فى مرايـا وداد
كيفمـا جِئتُ جاءْ طيْفُهـا واستزادْ
فهىَ قبْل اللّقـاء واحـة من مهـاد
وهى بعـد الْخفَاءْ شوكةٌ من قتادْ ..

• • •

وَخْزُها فى الجُنُوبْ سَـائحٌ مُطْمئنْ
فى خُطـاه لُهُوبْ وصَحارَى محِنْ !
يـا ريـاح الغيـب يا اغانى الزمن ..
هل رأيت الخلودْ ؟ وشهـدتِ القَدَرْ ؟
امْ عبَرتِ السُّدودْ مثلنا فى السفَرْ ؟
ورمتْكِ القُيـودْ فى ظَـلام الحفَرْ
فعرفْتِ الحـدودْ وكتمـتِ الخَبَـرْ

وتـركتِ الوجـــودْ حَوْل تلكَ السُّتُرْ . .

* * *

السِّنا فى القلُوبْ والـــــدجَى فَوْقهُنْ
مَشْرِقٌ فى مغيبْ ! امْ صبا فى كفَنْ ؟

* * *

يـا ريـــاح المغيـب يـا أغـانى الزَّمَنْ ! !

* * *

حدِّثِي عن صبـاىْ والّذى كـان فيـــهْ
وهْوَ لَحنٌ ونَـــاىْ سِـــرُّه لا أعِيـــهْ
وأَسىً فى حَشَاىَ نـــارُهُ تصْطَلِيـــهْ
والْهَوى مِنْ هَواىْ هَـــاربٌ ارتَجِيـــهْ
عُدْتُ منْهُ . . خُطَاىْ فى ضَلالٍ وتيهْ . .
رُحْتُ يومـــا ازُورْ ناسكـا فى العراهْ
صبُّ كلّ الـدُّهورْ فى مَهَبِّ الهبـــاء
ورَمَى بـالعصـــور فى سديم الفنـــاهْ
وإنا بـــى انُورْ مثلـــه فى الغيـاهْ

بين إفـــكٍ وزورْ وســـواقى دُعـــاء
كبقـايـــا بَخُورْ فى بقايـــا فَضَاءْ
فى بقَايـــا غُروبْ ذاهـــلٍ بينَهُـــنْ
صرعةٌ ؟ أم هروبْ ؟ أم تهـــاويل جِنْ ؟

* * *

يـا ريـــاحَ المغيـب يـا أغـانى الزمنْ !!

* * *

سافِرى فى الضبابْ للغـــد القـــادِم
واطـرقى كلّ بـابْ ابكـــم ســـاهِمِ
واعزفينى عتـــاب للبَـلى الْجـــاثِم
ثم رُشِّ العُبـــابْ فى الصـدى الكاظِمَ
وامْسَلِى كل غـابْ أَخْـرسٍ صَائِـــم ..
غلّلتْـــهُ نُيـوبْ فاتكـات .. يُمَنْ ؟!
بجميـــع الْجَنُوبْ فى الثرى حيث كُنْ ..

* * *

يـا ريـــاح المغيبْ يـا أغـــانى الـزَمنْ

* * *

الـذى فاتَ ماتْ وانتهى .. فاتركيـه

غارقـا فى سُبـاتْ مستَضَـامٍ سفيـه

فالغَـدُ الحـرآتْ ساطعـــا فارقُبيهْ

ليس فيه الْتفاتْ لاجترار .. وتيهْ ..

اومَرايَا رُفـــاتْ من هوًى يشتهيهْ ..

فيـه كل الدُّروبْ لجميـــع الْفِتَـنْ

ليس فيه غروبْ لضيـــاء الـزمن

* * *

يـا ريـاح المغيب يـا اغـانى الـزمن

* * *

اِمْضِ بى يا زَمانْ لِزَمـــانٍ بعيـــدْ

ليْس فيـــه أوانْ طوَّقْتْه قُيـــودْ ..

بلْ بـــه راحتـانْ تَغْرفـــان الوُجودْ

مِنْ روابى مكانْ ظَلَّلَتْـــهُ العُهـــود

وكَسَتْهُ الجنـانْ بالشَّـذى والـورودْ

والرؤى والطيُوبْ وَالْهَـــوى حَوْلُهنْ

ودنـــانُ الغُـــروبْ دار عمـــرى بهِنْ

• • •

يـــا ريـــاح المغيب يا اغـــانى الزمن

• • •

أى ســـــر رهيـــب فى حشاك استكنْ
للشـــقى الغـــريب فوق هـــذا الوطن
كـــانَ لى زورقـــانْ يمْخـــران الظَّـــلامْ
زورقٍ من دنـــــان فارغـــات الهَيَـــامْ
ســـابحٌ فى دخـــانى فيـــه رؤيـــا مُدامْ
جُسَّـــــدتْ مَرتَـــانْ ثم عادت حُطَام . .
. . وجَرى فى العَيَان زورق من ضرامْ
لم يَزَلْ فى اللهيبْ لاحْتـــــراقٍ يَحنْ

• • •

يـــا ريـــاح المغيب يا اغـــانى الزَّمنْ

• • •

أى ســـــر رهيـــب فى حشاك استكَنْ
للشـــقى الغـــريب فَـــوق هـــذا الوطنْ !

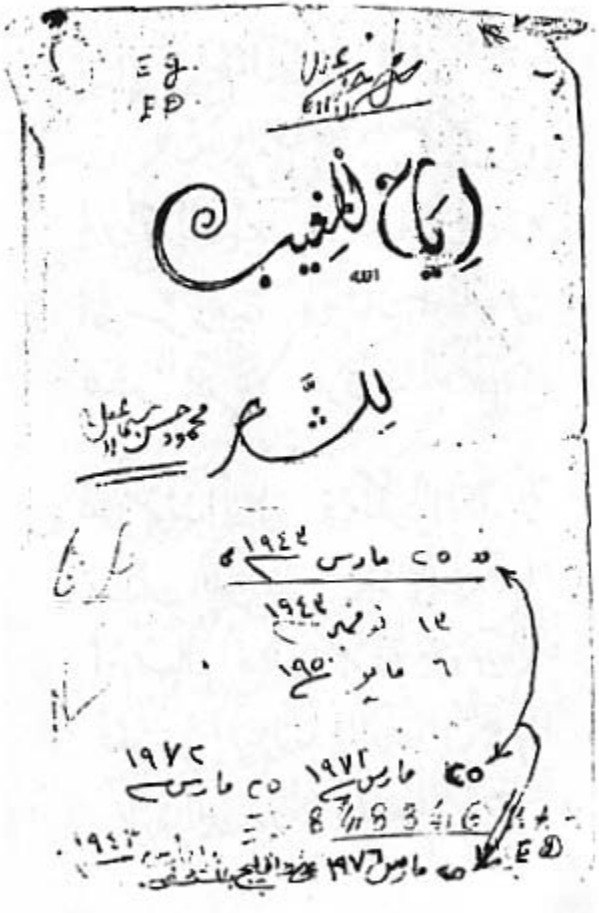
E.g.
F.D.
إياب الغائب
للشاعر
محمود حسن إسماعيل
١٥ مارس ١٩٤٤
١٤ نوفمبر ١٩٤٤
٦ مايو ١٩٥٠
١٩٧٢
١٥ مارس ١٩٧٢
١٩٧٢
١٥ مارس
F.D.

« رِياحُ المَغِيبْ !! »

« إلى التي شربت معي الخمر
الرياح في غروب صيف مات ! »

يا رِياحَ المَغِيبْ يا أغاني الزَّمَنْ
أيّ سِرٍّ رَهِيبْ في جَمالٍ اسْتَكَنْ
للشَّقاءِ الغَرِيبْ فَوقَ هذا الوَطَنْ ..

* * *

هَلْ كَمِثْلِ الجِبالْ في سُكُونِ الظَّلَمْ ؟
تَشْتَكي لِلرِّمالْ سَجْنَها مِنْ قِدَمْ
أمْ كَمِثْلِ الخَيالْ جُرْعَةٌ مِنْ عَدَمْ
فَعَبِيرُ التِّلالْ وَالرُّبى، وَالقِمَمْ
غَايَةٌ مِنْ زَوالْ أطْلَقَتْها السُّدَمْ

شابَ قَودُ الغُيوبْ وَفَتى رَيّا الفَنَنْ
إِنْ سَرَتْ لا تَؤُوبْ أَو بَكَتْ لا تَئِنّْ ...

* * *

«يا رِياحَ المَغيبْ يا أَغاني الزَّمَنْ...»

* * *

هَلْ بِمَعْبَدِ البِحارْ لِغِلمانِ الزَّبَدْ ؟
تَشتَكي لِلقِفارْ مِن قُيودِ الأَبَدْ
مِن قَديمِ السِّفارْ مَوْجُها مُنْطَهِدْ
مَلَّ طُولَ الإِسارْ بَينَ جَزْرٍ وَمَدّْ
فَارتَمى وَاستَجارْ مِن ضَلالِ الأَمَدْ ..
فَهْوَ مِثْلُ الذُّنوبْ صَخْرُها في الوَسَنْ
وَهْوَ مِثْلُ القُلوبْ صَخْرُها في الفِتَنْ ...

* * *

« يا رياحَ المَغيبْ يا أغاني الزَّمَنْ .. »

* * *

هَلْ سَمِعتِ الرِّياحْ أُختَكِ النَّادِبَهْ
خِلتُها في الرياحْ قِصَّةً هارِبَهْ
سَطَّرَتْها الجِراحْ وَالمُنَى الغارِبَهْ
دَرَواها الصَّباحْ لِلرُّؤى الكاذِبَهْ
فانتشَتْ بالنَّواحْ وانثنَتْ غاضِبَهْ
فَهِيَ حَيْرَى تَلُوبْ مِن زُعافِ المِحَنْ
وَهِيَ سُكْرَى تَذُوبْ في حَشَا كُلِّ دَنّْ ..

* * *

يا رياحَ المَغيبْ يا أغاني الزَّمَنْ ..

* * *

هَلْ رَأَيْتِ الظِّبَاءَ فِي شِعَابِ الْجَبَلْ ؟
قَدْ تَمَطَّى وَنَامَ بَيْنَ مَحْضِ الْأَزَلْ
فَهْوَ فَوْقَ الرِّغَامْ يَهْتَاجُ كَالْأَجَلْ.
مَارِدٌ مُسْتَضَامْ أَوْ شَقِيٌّ ثَمِلْ
مَلَّ عَيْشَ الْأَنَامْ وَالصِّبَا، وَالْأَمَلْ
فَانْطَوَى كَالْمَرِيبْ غَالَهُ كُلُّ ظَنّْ
فَهْوَ ضَيْفٌ غَرِيبْ فَوْقَ هَذِي الْقُنَنْ !

× × ×

يَا رِيَاحَ الْمَغِيبْ يَا أَغَانِي الزَّمَنْ...

× × ×

هَلْ رأيتَ السَّحابْ وهْوَ دامٍ ضَجِرْ ؟
فارِسٌ مِنْ عَذابْ فى شِرالِ القَدَرْ
جَرَّ فَوْقَ الهِضابْ رُمْحَهُ المُنكَسِرْ
فى يَدَيْهِ الرِّكابْ جامِدٌ كالسَّفَرْ ..
أنتَ فَوْقَ التُّرابْ نَوْحُهُ المُسْتَمِرّ
وَهْوَ فَوْقَ المَغِيبْ صابِرٌ مُطْمَئِنّ
شابَ قَبْلَ المَشِيبْ فَانْدُبِيهِ إذَنْ ..!!

× × ×

« يا رِياحَ المَغِيبْ يا أعانِى الزَّمَنْ ..

× × ×

-٦-

هَلْ سَمِعْتِ الْقُبُورْ وَالثَّرَى مَلَّهَا ؟
وَافِدَاتُ الدُّهُورْ خَيَّمَتْ حَوْلَهَا
كُلُّ حَيٍّ يَدُورْ ثُمَّ يَأْتِي لَهَا
نَغْمَةٌ مِنْ غُرُورْ عَانَقَتْ ذِكْرَهَا
تَوَّقَتْهَا الْعُصُورْ وَانْطَوَى دَلَّهَا
فِي صَدَاهَا الرَّهِيبْ مَاتَ صَوْتُ الزَّمَنْ
وَانْتَهَى كَالْمَغِيبْ كُلُّ سِحْرٍ وَفَنّْ !

× × ×

.. يَا رِيَاحَ الْمَغِيبْ يَا أَغَانِي الزَّمَنْ ..

× × ×

- ٧ -

نَشْوَةٌ فِي يَدِهَا ... تَشْتَهِي خَمْرَهَا ...
أَيُّ قَلْبٍ شَقِيٍّ ... لَمْ يَذُقْ سُكْرَهَا ؟
أَيُّ لَحْنٍ شَجِيٍّ ... لَمْ يُرِدْ سِحْرَهَا ؟
أَيُّ بَحْرٍ عَتِيٍّ ... لَمْ يَزُرْ نَهْرَهَا ؟
أَيُّ سِرٍّ خَفِيٍّ ... لَمْ يَكُنْ سِرَّهَا ؟
سُقِيَتْهَا فِي الْغُرُوبْ ... مِنْ صَحَارَى الْحَزَنْ
حَانَةٌ مِنْ قُلُوبْ ... فَرْقَصَتْ لِلزَّمَنْ ..

x x x

« يَا رِيَاحَ الْمَغِيبْ ... يَا أَغَانِي الزَّمَنْ .. »

x x x

- ٨ -

هَلْ سَقَاكِ الْمَاءْ أَدْمُعَ الْعَاشِقَيْنْ ؟!
فَذَرَفْتِ الْفَنَاءْ مِنْ عُيُونِ السِّنِينْ
وَجَعَلْتِ الْفَضَاءْ مَعْبَدًا مِنْ حَنِينْ
مَرَّ فِيهِ الْهَوَاءْ كَأَنِينٍ حَزِينْ
عَلَّمَ الْأَشْقِيَاءْ كَيْفَ يَبْكِي الرَّنِينْ ..
فَهْوَ لَحْنٌ صَبِيبْ وَهْوَ دَمْعٌ يَرِنّْ
لَكِ مِنْهُ الْوَجِيبْ وَلِأَغَانِي، لِمَنْ ...؟!

x x x

يَا رِيَاحَ الْمَغِيبْ يَا أَغَانِي الزَّمَنْ ...

x x x

خبّرى عن أمسِ ما الذى تكتمين ؟
لوعةٌ فى صدرِ .. ما الذى تقشعين ؟
حيرةٌ فى خيالِ .. ما الذى تنشدين ؟!
من سقانى سقامَ خمرةَ الثائهين ؟
إنّ قلبى رآكِ قبلما تخلقين ..
مزهرٌ للغيوبِ هائمٌ لا يزين
كلّ لحنٍ أردّدُ فى حشاه كمن !

* * *

« يا رياحَ الغيبِ يا أغانى الزمن »

عَلِّمِينِي الهُرُوبْ مِنْ مَبِيعِ الحَيَاهْ
فَشَبَابِي غُرُوبْ شَابَ فِيهِ صِبَاهْ
وَهُمُومِي ذُنُوبْ عَاقَ جِنِّي خُطَاهْ ..
وَرَمَادِي شُئُونْ مَلَّ قَلْبِي نَظَاهْ
كُلُّ لَحْنٍ يَذُوبْ فِي دَمِي .. غَيْرَ آهْ !!
آهِ .. بِنْتَ اللَّهِيبْ وَصَلَاةُ الْمِحَنْ
شَيَّدَتْ فِي الْمَغِيبْ مِنْ ضُلُوعِي سَكَنْ ..!!

× × ×

« يَا رِيَاحَ الْمَغِيبْ يَا أَغَانِي الزَّمَنْ .... »

كَمْ سَقَيْنَ الْفِرَاقْ كُلَّ غُصْنٍ جَمِيلْ !
وَسَكَبْنَ الْعِنَاقْ فِي التُّرَابِ الْمَهِيلْ !
أَهَذَا نِفَاقْ؟ أَمْ عَذَابٌ جَمِيلْ ؟!
فِيهِ خَمْرُ التَّلَاقْ كَدُمُوعِ الرَّحِيلْ ..
لَمْ يَعُدْ لِي رِفَاقْ فِي طَرِيقِي الطَّوِيلْ ..
فَاصْحَبِينِي نُجُومْ عَالِيَاتِ الْقُنَنْ
عَلَّ عُمْرِي يَعُودْ صَخْرَةً فَوْقَهُنَّ !

× × ×

يَا رِيَاحَ الْمَغِيبْ يَا أَغَانِيَ الزَّمَنْ ..»

اغْصِفِي بِالْعُهُودْ وَانْثَنِي فِي الْكِذَابْ
فَأَنَا فِي الْوُجُودْ قَبْضَةٌ مِنْ تُرَابْ
وَأَنَا فِي الْقُيُودْ حَلْقَةٌ مِنْ عَذَابْ
وَأَنَا فِي السُّجُودْ دَعْوَةٌ لَا تُجَابْ !!
وَأَنَا فِي الْخُلُودْ مَوْجَةٌ مِنْ سَرَابْ ..
وَأَنَا فِي الْمَغِيبْ يَقْظَةٌ مِنْ وَسَنْ
وَخَرِيفٌ غَرِيبْ فِي مَغَانِي الزَّمَنْ !!

× × ×

.. يَا رِيَاحَ الْمَغِيبْ يَا أَغَانِي الزَّمَنْ ....

- ١٣ -

لِحَى ماضٍ شَقِيٍّ هَدَّنِى أَوْ بَكَاهْ
لَمْ أَذُقْ مِنْهُ شَيًّا غَيْرَ هَذَا الرَّمَادْ..
وَغِنَىً سَرْمَدِيٍّ لَا يُرِيدُ النَّفَادْ!
مَا الَّذِى فِى يَدَىَّ غَيْرَ جُرْحٍ مُعَادْ؟..
وَأَنِينٍ شَجِىٍّ مِنْ بَقَايَا الْفُؤَادْ..
رَقَّصَتْهُ الظُّهُورْ فَرَقَ أَوْتَارِ جِنّْ
فَهْوَ حُزْنٌ "لَهُوبْ" فِى زَوَايَا كَفَنْ!!

× × ×

"يَا رِيَاحَ الْمَغِيبْ يَا أَغَانِى الزَّمَنْ"..

زَارَ كَأْسٌ جَدِيدْ .. حَانِيَ الْبَاكِيَا
خِلْتُهُ مِنْ بَعِيدْ رَاحِماً آسِيَا
فَإِذَا بِي أُعِيدْ مَذْ بَحَى ثَانِيَا
وَأُرِيقُ النَّشِيدْ لِلْهَوَى دَامِيَا ..
لَيْتَ لِي مَا أُرِيدْ .. مَعْبَداً غَافِيَا ،
بَيْنَ لَيْلٍ وَطِيبْ وَصَلَاةٍ وَدَنْ
وَالْهَوَى ، وَالْحَبِيبْ يَسْقِيَانِي الزَّمَنْ !!

× × ×

يَا رِيَاحَ الْمَغِيبْ يَا أَغَانِي الزَّمَنْ ..

كَمْ شِرَاعٍ شَقِيَ فِي خِضَمٍّ غَزِيرْ!
وَاقِفٍ يَشْتَقُ حَيْرَةَ الْمُسْتَحِيرْ
فَهْوَ كَالْمُغْرَقِ بَيْنَ لُجِّ الْأَثِيرْ
كِدْتُ أَنْ تَسْبِقَ بِمُنَاهُ النَّهِيرْ...
فَاعْذِرِي زَوْرَقِيَ إِنْ بَكَى فِي الْمَسِيرْ
سَابِحٌ فِي جَدِيبْ مِنْ ثَكَالَى الدِّمَنْ
وَالْهَوَى لَا يُجِيبْ سَائِلًا بَيْنَهُنَّ..

× × ×

«يَا رِيَاحَ الْمَغِيبْ يَا أَغَانِيَ الزَّمَنْ...»

تَعْبُرِينَ الْوُجُوهَ كُلَّ وَقْتٍ بِحَالْ
مَرَّةً كَالرُّعُودِ تَغْضَبِينَ الْجِبَالْ
وَكَهَمْسِ الْوُرُودِ تَمْرِينَ بَيْنَ الظِّلَالْ
وَكَسِحْرِ الْعُهُودِ تَرْقُصِينَ الْخَيَالْ
وَكَقَلْبِي الشَّرُودِ تَتْلُبِينَ الْمُحَالْ ...
فَاظْهَرِينَا يَا مَغِيبْ! وَاتْرُكِينَا يَا زَمَنْ!
عَلَّنَا عَنْ قَرِينْ نَتَلَاقَى .. بِمَنْ ؟!

× × ×

.. يَا رِيَاحَ الْمَغِيبْ يَا أَغَانِيَ الزَّمَنْ ؟!»

رَبِّ مَاذَا هُنَالْ ... خَلْفَ هَذَا السِّتَارْ ؟!
كَادَ قَلْبِي يَزَالْ ... فَانْتَشِي وَاسْتَطَارْ ..
مِثْلَ مُوسَى دَعَانْ ... مِنْ ظَلَامِ الْقِفَارْ
فَأَتَاهُ سَنَاكْ ... هَادِرًا كَالْبِحَارْ ..
وَأَنَا فِي الشَّرَاكْ ... صَارِخٌ لَا يُجَارْ !
تَائِهٌ فِي دُرُوبْ ... تَائِهٌ لَيْلُهُنْ ..
أَتَرَاهَا ذُنُوبْ ؟ أَمْ تُرَى فِتَنْ ؟!

يَا رِيَاحَ الْمَغِيبْ ... بِأَغَانِي الزَّمَنْ

طار عني المغيب ... والذي لم يزل

ليتني من قريب ... من ديار الأزل!؟

أم الحنان الرهيب ... في رمادي اشتعل ..

والزمان الكئيب ... في فضاء نزل ..

ضاع صدري غريب ... ضاع منه الأمل !!

آه لو يستجيب ... دمعة ليلتين !

أو كأن نغيب ... نارها في الحزن !!

(٢٣٣٢)

« يا رياح المغيب ... يا أغاني الزمن! »

هَلْ رأيتَ الزمانْ راكضاً فى المسيرْ!؟
مُستَطارَ الجَنانْ مُستَخِفَّ الضَّميرْ
أَلْهَبَتْهُ يَدانْ تَجْتَلانِ المَصيرْ..
فَهْوَ مُرْخَى العِنانْ فى صَحارَى الأَثيرْ
كلُّ حَيٍّ وَفانْ مِنْهُ يَلْقَى النَّذيرْ..
ثُمَّ فالضُّحَى، والغُرُوبْ والصِّبَا، والكِفَنْ
كلُّها فى شُحُوبْ مِنْ غُبارِ الزَّمَنْ

يا رِياحَ المَغيبْ يا أغانى الزَّمَنْ ...

هَلْ رَأَيْتِ الْحَرِيفْ فِي مَغَانِي الشَّجَرْ ؟
مُسْتَبِدٌّ كَثِيفْ مِنْ جِمَالِ انْحِدَرْ
لَا يُبَالِي بِخِيفْ أَنْفَقَ أَمْ زَمَرْ !
كَمْ خَمِيلٍ وَرِيفْ فِي يَدَيْهِ انْعَصَرْ !
وَشَبَابٍ رَفِيفْ فِي خُطَاهُ انْدَثَرْ ..
كُلُّ وَادٍ رَطِيبْ مَرَّ فِيهِ يَئِنّْ
أَهُوَ إِثْمُ الْكَئِيبْ أَمْ خَطَايَا الْفَنَنْ ؟!!
« يَا رِيَاحَ الْمَغِيبْ يَا أَعَانِي الزَّمَنْ ...

هَلْ رَأَيتِ الْعَبِيرَ فَوْقَ صَدْرِ التِّلَالْ ؟
مَارِدٌ مِنْ سَعِيرٍ دَاسَ وَجْهَ الظِّلَالْ
فِي يَدَيْهِ الْغَدِيرْ حَيَّةٌ مِنْ خَيَالْ
وَالْخَمِيلُ النَّفِيرْ مَأْتَمٌ مِنْ جَمَالْ
أَنْتِ فِيهِ نَذِيرْ بِاخْتِلَاجِ الزَّوَالْ...
مَاتَ حَرْسُ الْبُيُوتْ وَاخْتَبَا حَرْسُ الْفَنَنْ
غَيْرَ لَفْحٍ يَجُوبْ كَمُنَادِي الدِّمَنْ.
«يَا رِيَاحَ الْمَغِيبْ يَا أَغَانِي الزَّمَنْ»

- ٢٢ -

هَلْ رَأَيْتِ التُّرَابْ فِي يَدِ اللَّاحِدِ ؟..
خِرْقَةٌ مِنْ سَرَابْ فِي صَفَا هَامِدِ
كَمْ أَذَلَّتْ رِقَابْ فِي الثَّرَى الْبَارِدِ!
فَهْيَ أَقْسَى عِقَابْ مَرَّ بِالرَّاقِدِ..
مَالَ عَنْهُ الرِّكَابْ فِي دُجَى خَالِدِ
وَانْثَنَى يَبْتَغِي فِي حُنُوطِ الْكَفَنْ..
رُسُلٌ لَنْ يَئُوبْ خَطْوُهُ لَنْ يَمَسَّ!

يَا رِيَاحَ الْمَغِيبْ يَا أَغَانِي الزَّمَنْ...

هَلْ رَأَيْتِ الصَّبَاحْ وَهْوَ يُحْيِي الْحَيَاهْ؟!
وَيُذِيبُ الْبِطَاحْ وَالرُّبَى فِي هَوَاهْ
فَإِذَا الدَّيْلَمِيُّ صَاحْ فِيهِ.. كَانَتْ صَلَاهْ!
وَإِذَا النُّورُ لَاحْ كَانَ خَمْرَ الْإِلَهْ
أَشْرِبِي يَا رِيَاحْ وَاجْعَلِينَا شِفَاهْ

١٩ سبتمبر ١٩٤٦ تاريخ الوصول
بداية تاسا: E.A.A

٦ مايو ١٩٥٠

نَحْنُ صَبْحٌ غَرِيبْ فِي بَقَايَا دِمَنْ
لِلْأَسَى وَالنَّحِيبْ خَيْمَتْ فَوْقَهُنَّ
"يَا رِيَاحَ الْمَغِيبْ يَا أُغَانِيَ الزَّمَنْ..

هَلْ رأيتَ الرِّيَاءَ في وجوهِ العِبادْ
خَيَّمَ من ضِيائِهِ في مرايا وِدَادْ
كيفما جِئتَ جَاءَ لَهْفًا واستِزادْ
فرحَ قبلَ اللِّقاءْ واهمًا من مرادْ
وهي بعدَ الخَفَاءْ شوكةٌ من قتادْ ..

دَرْهَا في الجنونِ تَاهَتْ مُطْمَئِنَّهْ
في شُؤونٍ مُصَارَعَاتٍ مُجِنَّهْ!
سِيرِ يا رِيحُ للمَغِيبِ يا أَغَانِي الزمنْ ..

هل رأيت الخلود ، وسط القدر ؟
أم عبرت السدود ، مثلنا في السفر ؟
ومشت فوق الندى ، في ظلام الحفر
فعرفت الخدود ، وكتمت الخبر
وتركت العهود ، حول تلك السُّتر ..

أم كالسنا في القلوب ، والرجا فوق الشفاه
تمشي في مغيب ، أم صباحٍ في كفنْ
يا رياح المصيب ، يا أغاني الزمن !..

-٢٨-

حدثني عن صباي والذي كان فيه
وهو لحن وناي سره لا أعيبه
وأسى في حشاه نازه تضطلبه
والهوى بين جفوات قارب أن تجيبه
خذت منه.. خلسة في ضلال وتيه..

و

رُحْتُ يومًا أزورُ ناسكَ في العزلة
صبَّ كلَّ الدهورِ في قربِ القبابْ
ورمى بالعصورِ في سديمِ الفضاءْ
وإذا بي أدورُ مثلَه في الفضاءْ
بين إفكٍ وزورْ وسوادٍ دُعاءْ
كبقايا تخورُ في بقايا فضاءْ
في بقايا غروبٍ زاهلٍ يتهيَّبْ
صرعةً؟ أم هروبْ؟ أم تهاويلَ حبلى؟
يا رياحَ المغيبْ يا أغاني الزمنْ !!

سافرى فى الضباب للغد القادم
واطرقى كل باب أبكم ساهم
واعزفى فيه عتاب للتى الجاثم
ثم رشى العنبر فى الصدى الحالم
واشعلى كل ثواب أحرس صلاتهم ..
علّلته بيوبى فاتكات .. يجن ؟!
بجميع الجنوب فى الثرى حيثان ..

***

يا رياح الغيب يا أعالى الزمن
---------- ----------

الذي فاتك مات وانتهت فاتركيه
غارقاً في سبات مستضام سفيه
والذي أنت ساطعا فارقيه
ليس فيه الفتاة للجبراء ونية ..
أو مزايا رفاة من هوى يستريه ..

فيه كل الدروب لجميع الفتن
ليس فيه نحوب لضياء الزمن

* * *

يا رباح المغيب يا أغاني الزمن

إمضِ بي يا زمانْ لزمانٍ بعيدْ
ليس فيه أوانْ لمرقنه قيودْ..
بلّ به رحتانْ تعرفان الوجودْ
بيت رواب كانْ ظلّلته الغيودْ
وكنة [illegible] [illegible]
والترف والهنا والهوى خزلنْ
ودنانُ العزوبْ دار همي بيتْ

يا رياح الهنيب يا أعاف الزمن
أعْ سريعْ وحشاك استكنّ
للشقى الغريبْ دوق هذا الوطن

كان في زورقان ... نغمات الخلود
.. زورق مزدان ... فارعت الرياح
سابح في حنان ... فيه رؤيا مدام
جددت مرتان ... ثم عادت حطام ..
وتعرت في العباب ... زورق موضرام
لم يزل في الملاعب ... لعبة الزعزع

x x x
x x x

يا رياح المغيب ... يا أعاصير زمزم
أي سر رهيب ... في حطام مستكن
للشقي الغريب ... فوق ظهر العطب !

الـزلـــــزال

زلـــزال تـركـيـــا

١٦ يناير ١٩٤٠

مع الأرض الجريحة وهى تتلوى من فجاة
الـزلـزال ، قـبـيـل شـروق الشمـس . . .
«إلى المتنفسجة الباقية على الدوح لتعطر
الضحايا وتواسى المتكوبين»

هات الشدائد للجريحة ، هاتها فالصبرُ فى الأهوال دينُ أُساتِهـا
واحشدْ حروفَك يا زمانُ فربَّما لهَبَ العظائم شبَّ من نكباتها
ولعلَّها خمرٌ تدور ، فيستقى خمرَ الكفاح الشرقُ من كاساتهـا
هى أمة زَلْزَلْتَ جنبَ مهادِها ونَفَخْتَ ريحَ الموت فى جنباتها
شوَّهتَ صفحتَها بمِنْية جازِرٍ الرحمة انتحرت بحدِّ شبـاتهـا
مجنونة الحدَين ، لُوهى لوَّحتْ لا نُهدِّركنَّ الأرض من حركاتها
نِثيبةُ الشهوات ، جاع حديدُها وأراق جوعُ الوحش فى كهواتهـا

ومضى وللأكوان هَجعة شاعرٍ سكرتْ لغانى الليل من سكراتها

والفجرُ فى الوادى رسولُ لشعةٍ يستنزل الإلهام من هالاتهـــا

والصمتُ خاطرُ فيلسوف نائمٍ شردتْ به الأحلامُ فى خطراتهـــا

والغابُ نعسانُ المروج فزهرةٌ نامتْ وأخرى هدهدتْ أخواتهـا

والريحُ فى الأدغال هامدةُ السُّرَى مصلوبة شُنِقَتْ على خطواتها

والليل شابٌ ، فعدٌ لحيةَ ناسكٍ نسجَ الشتاء الثلجُ من شعراتهـا

والطيرُ مغلولُ الحناجر ثاكلٌ أوتارُه نُبِحَتْ على نَغمـــاتهـــا

والناس غرقى فى السكون سجتْ بهم سنة ينام الهولُ فى سكناتهـا

بيّناهمُ فوق المُهود عوالمٌ غشّى ضبابُ الصمت كلَّ جهاتها

وإذا يقلب الأرض يرجفُ رَجْفةً ، دكّ السياحُ ، وناب فى خفقاتها . .

وانشقّتْ الدنيا لديه ، فلم يجد أرضاً يُغيث النورَ فى رِبَواتهـا

فطوى للدائن والقرى ، وهوَى بها فى سُدفةٍ تهوى على ظُلُماتها

وطوى الأثير فلم يغادر ذرّةً فى الجوّ سابحةٍ إلى غاياتها

وطوى الحياةَ ، شقّيها بسعيدها وصفاء فرحتها بدمع شكاتهـا

وطوى المروجَ فمات من أحلالها خطـو الربيع الغض نحـو نباتهـا

وطوى الزمانَ فكان عقرب ساعةٍ سبقت خيال الجنّ فى دوراتها

لاقَى الأجنّةَ بالكهول ، وشادَ من حِبَرَ الحسان مقابراً لرفاتِها
وبنَى اللحودَ على اللهود وهدَّها فنَضاً ستورَ اللوتِ عن عوراتِها
في لحظة عمرُ الصدَى من عمرها وحياة طيف الحلْم كلُّ حياتِها
زارتْ جِراحُ الأرض ، فاهتاج الصدى وتنهَّد الزلزال في ساحاتِها
فهَوتْ قبابٌ كُنَّ لشمخَ عرةً من أنجمُ الجوزاء في داراتِها
وهَوتْ قصورٌ ترقصُ الدنيا بها وتخرُّ جاثيةً على عتباتِها . .
وهَوتْ بروجٌ عرَّسَتْ فيها المُنَى وأطلَّ وجهُ الدهر من شُرفاتِها
وهوتْ مغانٍ لم يفُتْ سَحَرُ الهوى فيها . . وعاثَ الموتُ في رَحباتِها
وهوى بها عزماً ، في جوف الثرى فَزِعَ الجنان مردَّدا آهاتِها
واها على فتَن العذارى . . والصِّبا والطهر ينسكبان من نظراتِها !
واها على الأسحارِ ، والأمل الذي فاضت بشاشتُهُ على لوقاتِها !
واها على الطفل المهدهد في الكرى حملته كفُّ الريح في لطماتِها
وحلَّتْ كراهُ بغفوةٍ أبديةٍ لا يستريحُ اللوت في حفراتِها
بعد الأسرة والحنان يهزُّها صعقته لَمْسُ الصخرِ في هزاتِها . .
يا ربَّ ثاكلةٍ تدور بهَولِها فترى حشاها انسلَّ في طرقاتِها
سرُعَتْ ! فلا مدَّتْ يدا لوحيدها عند الفراق ولا مَرَتْ عبراتُها

وحبيبةٍ فجعَتْ ووعدٌ حبيبها ... يجرى مع الأنفاس فى زفراتها

قبلَ اللقاء هلُكنَ فوق شفاهها ... وبَجاد خانُ اللوت فى مرآتها

ويَحَ المساجد ! مادَهَا أركانها ! ... فهوَتْ منابرُها على سدَّتها !

أين المآذنُ ؟ أين صوت أذانها فى الفجر ؟ أين مَضى رنينُ دُعاتها ؟

أيُّان كُبكِبَ عابدُوها ؟ وانتهتْ بهم ... جراحُ الأرض فى رَعشاتها !

وكنيسة كانت تعيمةُ راهبٍ ... سهران يرقب فى الدُّجَى دقَّاتها

أجراسُها قرعتْ ، فخفَّ بصوْتها ... أهل للسيح وشتموا نبراتها . .

وإذا نواقيسُ القضاء بساحِها ... تُلقى نذير اللوت من أصواتها

وإذا بهم صرعى على صُلُباتهم ... أشلاؤهم نُثِرتْ على خشباتها ! !

أين الدروجُ الفيح ؟ أين خميلُها ؟ ... ورفُ الضحى التمتام فى ورقاتها ؟

أين الكرومُ الناضِبات عُروشها ؟ ... الذُّبـــلات أسى على عتباتها

عرَّى الشتاء غصونها ، وطوى الرَّدَى ... حلْمَ الربيع النَّضر من عـذباتها

يا أرض واستمعى . . رويدك إنها ... دنيا يحار العقلُ فى حالاتها

مَريحةُ الأعصاب تُشبه موسِماً ... الغدرُ والبهتانُ كلُّ صفاتها

بيّنا تعاطيكِ الرحيق ، إذا بها ... ألعى نمَّ السمُّ من ريقاتهـا

نشرت عليك مع المساء هدوءها ... وأتى الصبـــاح (بنَّج) من ثوراتهـا

بعثتْ لشعْدَ حاملاً همَّ الورى ... ومأتم الدنيا ، وإثمَ جُناتِها

في مِحْجَرَيْهِ من الجنون زوابعٌ ... ربعَتْ لها الآسادُ في أجماتِها

لنفاسةٌ لَهَبُ الجحيم ، وخطوُه ... خطوُ المنايا السُّود في فجأتها

ما كان زهرٌ في يديه ولا ندىً ، ... لكن ربيعٌ رَدَّ على راحاتها

ودُجَى دخانٍ من جهنَّم فائرٌ ... سبقَ الرياحَ الهوجَ في فلواتها

كلَحَتْ سريرتُه ، فهبَّ كمارِدٍ ... طعنَ الحياةَ ، وجاء من غفلاتها

ومشى كزنديق يعيثُ بساحةٍ ... يتفجَّرُ الإيمان من ذرَّاتها

ركَمَ الثلوجُ على الدروج ، وخافَ ... من هول المصير فنامَ في طياتها

أتُراه ماتَ ، وهذه لكفافُه ؟ ... أمْ شيْبةُ الدنيا طوَتْ سيواتها !

• • •

يا بنتَ أهوالِ الطبيعة إنَّها ... لم يلْذُ العفْوُ عن هفواتها

حسناءُ ساخرةٌ ، يعابثُ سِحْرُها ... بالموتِ ، فاغتفري لها زلاتِها

واسْقَيْ لغريدٍ كجرحك جُرْحَهُ ، ... والنفسُ كم شقِيَتْ بسرِّ حياتها

غنِّي لسي الزلزال في أنشودةٍ ... سوداء فانيةً على آهاتها ..

حلْمُ الفناءِ يطوف حول رنينِها ... وصدَى الخلودِ يرِنُّ من أبياتها !!

الفهرس

الديوان الثامن : التائهون ٥
قومى إلى الصلاة ٩
بيعة الزحف ١٢
قيامة الثار ١٤
وقالت حبة الرمل ٢٢
محمد لاقى عليها المسيح ٢٥
فلسطين ٢٧
التائهة ٣٣
اللاجئون ٣٩
خيمة البهتان ٤٦
من خطايا التائهين ٤٩
فى عام النكبة ٥٣
زهرة على فلسطين الدامية ٥٩
لحن من النار ٦٤
تكبيرة الزحف ٦٦
راية العرب ٧١
وحدة المصير ٧٥

إلى الأمام يا عرب ٧٨

الديوان التاسع: صلاة ورفض ٨٥
رفض الهزيمة ٨٧
السلام الذى أعرف ٩٥
غضبة الثار ١١٠
سيناء ١٢١
من التابوت ١٢٤
من رصيف الوجوه ١٢٧
جبال الصمود ١٣١
سأشدو ١٣٤
صوت المعركة ١٣٦
القدس تتكلم ١٤٩
الأذان الذبيح ١٥٢
المسجد الصابر ١٥٦
وجئت أصلى ١٦٢
بنت المعز ١٧٠
مصر!! أنشودة الدنيا ١٧٤
أغنية للنيل ١٨٠
أحرار الجنوب ١٨٢
حديث الذنوب ١٨٦
صلاة ١٨٩
أمان الله ١٩٣

موسيقى الوداع الأخير ١٩٦
سفن أقلعت ٢٠٢

الديوان العاشر: هدير البرزخ ٢٠٧
هدير البرزخ ٢٠٩
الديوان الحادى عشر: صوت من الله ٢٤٩
الإهداء ٢٥١
الله ٢٥٣
الله.. والناى ٢٥٩
هو.. الله ٢٦٥
الله.. والذات (وقفة على الأعتاب) ٢٧٠
الله.. والموعد ٢٧٥
الله.. والنفس ٢٧٩
الله.. والمعبد ٢٨٦
الله.. والتوبة ٢٩٤
الله.. والشرك ٣٠٤
الله.. والوثنية ٣١١
الله.. والطريق ٣١٧
الله.. والجبل ٣٢٠
سجدة لله ٣٢٤
الله.. والطبيعة ٣٢٧
الله.. والرياء ٣٣١
أذان الله ٣٣٤
داع إلى الله (المؤذن) ٣٣٦

الله.. والزمن (رمضان) ٢٤١
صلاة الله ٢٤٩
الملك لله ٢٥٢
الحمد لله ٢٥٥
سبحان الله ٢٥٨
بيت الله ٢٦٠

الديوان الثانى عشر: نهر الحقيقة ٢٦٣
الإهداء ٢٦٥
نهر الحقيقة ٢٦٩
التزام ٢٧٣
موسيقا من الجن ٢٨١
هتك البراقع ٢٨٩
أوقدوا الشموع ٤٠٠
الوهج والديدان ٤٠٥
مأتم الطبيعة ٤١١
تغيير ٤١٥
الله ٤١٦
الحب ٤٢٠
الحياة ٤٢٤
الأرض ٤٢٨
النهر ٤٣٢
الطريق ٤٣٥
الشمس ٤٣٩

الأمل ٤٤٢
النفس ٤٤٥
الابتسام ٤٤٧
البقاء ٤٥١
الصلاة ٤٥٤
أهواك ياوطني ٤٥٨
أغنية للصحارى ٤٦٥
قاهر النهر ٤٧٠
مع النور الأعظم ٤٧٣
موسيقا من السرّ ٤٨١
موسيقا من الكلمة ٤٨٤
موسيقا من اللّه ٤٩٢
موسيقا من الزمان ٤٩٨
موسيقا من الضياع ٥٠٩
موسيقا من الروح ٥١٩
موسيقا من الشهداء ٥٢٦
موسيقا من الحقيقة ٥٣٠
موسيقا من الجمال ٥٣٦
موسيقا من النور ٥٤١
موسيقا من الرمز ٥٤٥
موسيقا من الإيمان ٥٤٩
موسيقا من النكران ٥٥٢
موسيقا من الشتاء ٥٥٧
موسيقا من الأرض ٥٦٢

موسيقا من الوحدة ٥٦٧
موسيقا من الإصرار ٥٧٣
موسيقا من الموت ٥٨٠
موسيقا من الخلود ٥٨٤
موسيقا من لحظة الوداع ٥٨٨
موسيقا من الطبيعة ٥٩٥
موسيقا من العلم ٥٩٧
موسيقا من التاريخ ٦٠٦
موسيقا من الخوف ٦١٢
موسيقا من الذات في غروب الشمس ٦١٦

الديوان الرابع عشر: رياح المغيب ٦٢١
رياح المغيب ٦٢٣
الزلزال: زلزال تركيا ٦٧٥

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب
ص.ب : ٢٣٥ الرقم البريدى : ١١٧٩٤ رمسيس
www. egyptianbook. org. eg
E - mail : info @egyptianbook.org. eg